

رفيع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الدكتور
عبد الفتاح إسماعيل شلبي
أستاذ الدراسات القرآنية واللغوية بكلية اللغة العربية
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

في الدراسات القرآنية واللغوية الإيمانية في القراءات واللهجات العربية

دار الشروق
نشر والتوزيع والطباعة

دار ومكتبة الهلال
بيروت



فهرس مجمل

الصفحة	المَوْضُوع
٧	كلمة فضيلة شيخ المقارئ المصرية .
٩	تقديم .
١٩	مدخل البحث .
٢٧	الفصل الاول : معنى الفتح .
٣٩	الفصل الثاني : درجات الفتح والإمالة وأنواعها .
٦١	الفصل الثالث : الإمالة عند المحدثين .
٨٣	الفصل الرابع : الفتح والإمالة وإيهما الاصل ؟
١٠٣	الفصل الخامس : من يعيل من القبائل ومن لا يعيل ؟
١٣٥	الفصل السادس : حكم الإمالة : اواجبة هي ام جائزة ؟
١٤٥	الفصل السابع : القراء السبعة والإمالة .
١٨٧	الفصل الثامن : اسباب الإمالة عند النحاة وعند القراء وموازنة بين قواعد هؤلاء وهؤلاء .
٢٨٧	الفصل التاسع : قد يأتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية .
٢٩٥	الفصل العاشر : إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف .
٣٠٩	الفصل الحادي عشر : إمالة بعض الحروف والراي في ذلك .
٣١٥	الفصل الثاني عشر : موانع الإمالة .
٣٢٩	الفصل الثالث عشر : فقه اسباب الإمالة .
٣٤٧	الفصل الرابع عشر : الأبواب التي وافق النحاة في امالتها .
٣٥١	الفصل الخامس عشر : الوقف على المال .
٣٥٧	الفصل السادس عشر : مذاهب القراء في الإمالة وظهورها في كنب النحاة .
٣٦٧	الفصل السابع عشر : علامات الإمالة الخطية .
٣٨٣	الفصل الثامن عشر : مدى شيوع الإمالة قديما وحديثا .
٣٩٧	خاتمة : بأهم نتائج البحث ، مقترحات .
٤١٩	ثبت المراجع .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

في الدراسات القرآنية واللغوية
الأمثلة في القراءات واللهجات العربية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

2008 م ~ 1429 هـ



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

« هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت علنا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة في مساء الاربعاء : (٢١ من ربيع الاول ١٣٧٢ - ٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٢) ناقشها الاساتذة : الاستاذ ابراهيم مصطفى عضو مجمع اللغة العربية ، والدكتور فؤاد حسنين استاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب (جامعة القاهرة) ، والاستاذ عبد الحميد الدواخلي الاستاذ المساعد بقسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم . ومنح صاحبها درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى » .

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للنشر

ISBN 9953 - 75 - 355 - 5

المتعهد الوحيد لتوزيع منشوراتنا:

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

جادة هادي نصر الله - بناية برج الضخمية - ملكة دار ومكتبة الهلال
تلفون: 00961 1 540891 - فاكس: 00961 1 540892
ص.ب: 15/5003 الرمز البريدي: 1101-2010 البسطة-بيروت-لبنان
<http://www.darelhilal.com> E-mail: info@darelhilal.com



تفضل فضيلة الاستاذ الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية
فاطلع على هذه الرسالة وكتب الكلمة الآتية (١)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
خاتم أنبيائه ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد أتاح لي الاستاذ الجليل عبد الفتاح إسماعيل شلبي فرصة
الاطلاع على سفره : « الإمامة في القراءات واللهجات » فقضيت بين
حدائقه زهرة جميلة تمتع فيها البصر بكل جديد في نسجه وتبويه
واقتراد بما يملأ النفس إعجابا . وإن التوفيق الذي صادفه لنعمة
من الله جديرة باسداء الثناء له . وهبة من الله تعالى الذي لا ينفد
عطاؤه .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

شيخ المقارئ المصرية
(توقيع) علي محمد الضباع
خادم القرآن الكريم

شعبان سنة ١٣٧٢
ابريل سنة ١٩٥٣

(١) اثبت هذا اعتزازا به أولا، وتوثيقا يعتد به من رجل هو شيخ الرواية
والقراء في عصرنا هذا ثانيا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ↑

تقديم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

هذا بحث أخلصت فيه النية وحررته من شوائب الهوى ، وحشدت له
الجهد ، ورجوت من الله فيه التوفيق ؛ إذ كان متصلا بكتابه من قريب •
ولقد شغفت بهذه الدراسات القرآنية منذ أن قدرت على البحث
والإنتاج ؛ فهي أنفع للناس ، وأخلد على الزمن ، وأكرم ما تبذل فيه الجهود .
وفينا الآن دعوة ناهضة الى إحياء تراثنا القديم ، بطبع مخطوطه ،
وتحقيق نصوصه ، وإقامة الدرس حوله ، والعمل في هذه الرسالة نوع من
العناية بذلك التراث ، وتحقيق بطلاب العلم من الباحثين أن يشغلوا به ، وأن
يلتفتوا اليه •

ولموضوع هذا البحث قصة تبدأ حين تقدمت الى معهد الدراسات
العليا للحصول على دبلومه يبحث صغير في القراءات ، من بين البحوث التي
يكلفها الطالب فيما يكلف • وقد قدر هذا البحث حينئذ وظفر بدرجة
الامتياز (٩٥ درجة من مائة) •

كان ذلك سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٩ م ، فأغراني ما أصبت من نجاح أن

أجعل موضوع رسالتي في الماجستير متصلاً كذلك بالقراءات ، ووقر في نفسي أن بحث الدراسات العليا خميرة أنفخ فيها فتكون رسالة ، إذ كنت قد تناولت في ذلك البحث حديث « انزل القرآن على سبعة أحرف » بالشرح والبيان ، وبينت كيف ظهرت لهجات القبائل العربية في قراءات القرآن ، وتناولت مسائل النحو وأبواب اللغة ، ومدى ظهورها في القراءات ورسم المصحف وصلة القراءات به ... الخ .

والتقيت بالاستاذ المشرف الاستاذ ابراهيم مصطفى ، وأخبرته ببحثي الحاضر المهيأ ، وما تناولت في فصوله من مسائل ، وعرف الرجل أنني أريد أن أجعل رسالتي في الماجستير مثل ذلك ، فابتدرني قائلاً : القراءات !!؟ ذلك موضوع شاق يدعوك الى بذل الجهد الجهد ... أي شيء أغراك به؟! ثم ما هذه المسائل المتعددة وكل مسألة منها تستحق أن تكون رسالة في الماجستير ، بل أكبر من ذلك، إن كنت على استعداد للمعاناة فتناول مسألة واحدة من هذه المسائل ، ابحث مثلاً « الإمالة » ، وهي لهجة واحدة من هذه اللهجات التي تعرضت لها بالذكر ، وبين كيف دون النحاة أحكامها في اعصور المختلفة، وكيف تناولها القراء في كتبهم، ووازن بين هؤلاء وهؤلاء. وأخذ الاستاذ يسرد لي منهج البحث حتى أتى على آخره في هذه المشكلة ، وخرجت من عنده وقد أحسست عبئاً ثقيلاً ألقي على كاهلي ، وكان ذلك أول المعاناة :

الإمالة تعد فيها رسالة ...!! وما كدت أخطو خطوات حتى وقفت أقلب صحائف بحثي في الدراسات العليا ؛ لأرى ما يتعلق بالإمالة فيه ، فإذا كل ما كتبت : « تحرص قبيلة بني تميم على إمالة الألف نحو الياء ، والإنحاء بالفتحة نحو الكسرة » ، ثم بينت في أسطر خمسة مذهب بعض القراء في الإمالة (١) .

(١) القراءات وصلتها باللهجات العربية والنحو مخطوط : بالالة الكاتبة للمؤلف . ص ٢٣ .

ودارت بي الأرض إذ فكرت ، ما عساي أن أصنع بهذه الأسطر حتى أجعلها رسالة للماجستير ٠٠؟ ولكن الاطمئنان عاد الي اذ قلت « إن أستاذك يعلم أن الإمالة تستحق أن تكون موضوعاً لرسالة : وما هو ذا منهج البحث بين يديك ، فامض في الطريق ، واستعن بالله ٠

وكان عكوف على الدرس في صبر ومصابرة ، وكان بذل للجهد في أناة واطمئنان ، وكان أن عثاني الهدف ، ورضيت أنا بما أتعنى ، ذلك لأنني كنت أجد ثمرة المعاناة بردا من اليقين ، وتكشفاً لوجه الحق ، وما زال هذا شأني وشأن ما أهدف اليه يعني وأرضي ، ويعذب وأستعذب ، حتى استوى البحث ، وتحقق الهدف الذي أبغيه ٠

وكنت بين أمرين - أحدهما - يريدني على الإكثار من العرض ، والآخر يجذبني إلى الإقلال منه ، فالأول تستلزمه دقة الموضوع ، وغرابته على الناس ، وبعدهم عن مدارسته ، وأني أتناوله في منهج متعدد الجنبات، وذلك يستلزم فضلا من الشرح ، ومزيداً من البيان ٠

وأما الآخر : فيجيبه الى أنا نريد في مثل هذه البحوث الباب بل عصارته ، وروح الجوهر لاعرضه ومادته ، الى أني أكتبه للخاصة من الناس، وهؤلاء تكفيهم اللمحة الدالة ، والإشارة العابرة ٠ فأخذت من كل أمر بقدر ، ولكنني كنت كثير الإيثار للإقلال ما لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى غيره ٠

وكان من منهج الدرس أني رجعت إلى المصادر الاولى في كتب القراءات والنحو فلم أكتف بما هو مطبوع متداول ، فذلك على قلته في كتب القراءات بخاصة - لا يلقي ضوءاً على تطور أحكام الامالة في العصور المختلفة ، الى أن التعرف على كتب المؤلفين القدامى ، والموازنة بين نصوصها ونصوص من أتى بعدهم يهدينا الى تصحيح الاوضاع ، وتحقيق النصوص،

وترجيح نص على نص ، والحكم الصحيح لمذهب دون مذهب ، مما يرى شائعاً في الفصول المختلفة من هذه الرسالة .

وقد هداني الى هذه المصادر المؤلفون المتأخرون أنفسهم ، فابن الجزري (٨٨٣ هـ) في النشر يذكر انه اعتمد على ما كتب مكّي ابن أبي طالب حموش (٤٣٧ هـ) في التبصرة والكشف والإبانة ، وعلى ما كتب الداني (٤٤٤ هـ) في جامع البيان والموضح ، وما كتب الرعيني الأشبيلي الأندلسي (٤٧٦ هـ) في الكافي ، وما كتب سبط الخياط البغدادي (٥٤١ هـ) في المبهج ، وعلم الدين السخاوي (٦٤٣ هـ) في جمال القراء ، والجعبري (٧٣٢ هـ) في شرح حرز الأمان وغير هؤلاء في كتبهم ، فكنت أحاول جهد المستطاع أن أستقي من تلك الينابيع التي استقى منها ابن الجزري وغيره من المؤلفين المتأخرين فبحثت عن هذه المراجع الأولى ، وتعرفت على ما فيها جملة وتفصيلاً ؛ لتلتئم حلقات المراجع في سلسلتها ، وقد ظفرت بما أقنعني وأقنع هذا المنهج ، وكان ما أصبت من نجاح بمقدار ما بذلت من سعي ، غير أنني لم أظفر بكتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ) وقد تعرض له الداني في الموضح ^(١) ، وكتاب الكامل لأبي القاسم الهذلي الذي جمع فيه - كما يقول ابن الجزري - بين الذرة وأذن الجرة من صحيح وشاذ ومشهور ومنكر ^(٢) . ولا زالت في نفسي رغبة ملحّة الى الاطلاع عليهما ، وما زالت هذه الرغبة تلح بي حتى مثول هذه الرسالة للطبع ، وأكبر الظن انها ستظل في لجاجتها وإلحاحها أمداً بعيداً .

ومثل ما فعلت في كتب القراءات فعلت في المخطوط من كتب النحو والمصور منها ، فقرأت المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) وسر صناعة الأعراب لابن

(١) ورقة ٢٤ ص ٦ من الموضح وما بعدها .

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري . ص ٥٨ .

جني (٥٢٩٢) ، والحجة لابن خالويه (٥٣٧٠) وتصفت سبعة أجزاء
الحجة لأبي علي الفارسي (٥٣٧٧) ، وقرأت الجمل الكبيرة للزجاجي
(٥٣٤٠) وشروحها لابن الضائع (٥٦٨٠) ، وارتشاف الضرب لأبي حيان
(٥٧٤٥) ، وشرح التسهيل للدماميني (٥٨٣٧) . الى جانب المطبوع من
متداول وغير متداول .

كذلك فعلت في كتب المحدثين فقرأت المهم من المصادر التي اعتمد
عليها « ماتسون » كاتب مادة إمامة في دائرة المعارف الإسلامية . فوقعت من
كل هذه الآثار للقراء والنحاة والمحدثين على فائدة أي فائدة وكان ذلك
بعض ما عتنتني به الغاية ، ولكنه كان مما أجدى وأغنى .

واقضى المنهج أن تكون الرسالة في ثمانية عشر فصلا يسبقها تمهيد
وتتلوها خاتمة : ففي التمهيد أشرت في إجمال الى من تناول موضوع الإمامة
من القراء والنحاة — والباحثين من القدماء والمحدثين .

ثم أتبت ذلك التمهيد فصول الرسالة حيث تحدثت عن معنى الفتح
والإمامة ودرجاتهما ، والإمامة عند المحدثين ، والفتح والإمامة وأيهما الأصل ،
ومن يميل من القبائل ومن لا يميل ، وحكم الإمامة أو إجابة هي أم جائزة ،
والقراء السبعة والإمامة ، وأسباب الإمامة عند النحاة والقراء ، وما يأتي من
الإمامة تابعا للرواية ، وإمامة ما قبل هاء التأنيث وهاء السكت وبعض
الحروف ، وموانع الإمامة ، وفقه أسباب الإمامة ، والوقف على المال ،
ومذاهب القراء في الإمامة وظهورها في كتب النحاة ، وعلامات الإمامة
الخطية ، ومدى شيوع الإمامة قديما وحديثا ، وموازنة بين قواعد الإمامة
عند النحاة وعند القراء .

وفي الخاتمة ذكرت النتائج التي وصلت اليها في غضون البحث ،
وأبدت ما أرى من مقترحات .

رفعه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مدخل البحث

تناول موضوع الإمامة كل من النحاة والقراء ، وقد ذكر السيوطي ان الإمامة من الموضوعات النحوية الاولى التي يقال إن أبا الأسود الدؤلي وضعها ^(١) وقد احتفل سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في الكتاب بباب الإمامة ، وبعد حديثه في هذا الباب أصلاً بني عليه من أتى بعده من النحاة والقراء . وقد ظفرت الإمامة بعناية خاصة من القراء على مر الأزمان حتى ان بعضهم أفرد لها كتاباً مستقلة ٤ فقد كتب في الإمامة أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣ هـ) ^(٢) وصنف كل من أبي الطيب بن غلبون (٣٨٥ هـ) وأبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ) مجلدة قصرها على حكم الإمامة وما يتعلق بها ^(٣) وألف مكّي بن أبي طالب كتاباً في الإمامة ، وجعله فيما يقول ياقوت في ثلاثة أجزاء ^(٤) ويظهر أن أبا بكر الأذفوي (ت ٣٨٨) ^(٥) غلط مكياً ، فكتب مكّي « الاتتصاف في الرد على الأذفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب الإمامة ، وجعله كذلك في ثلاثة أجزاء ^(٦) » . ولكي فصل في الإمامة جعله

-
- (١) انظر الاقتراح للسيوطي : ٨٤ .
(٢) انظر الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة لأبي عمرو الداني ص ١٣ وما بعدها .
(٣) ابراز المعاني لأبي شامة ص .
(٤) معجم الادباء : ١٧٠/١٩ .
(٥) في طبقات القراء : ١٩٩/٢ الأذفوي « بالذال » .
(٦) معجم الادباء : ١٧٠/١٩ .

ذيلًا لكتابه الإبانة في معاني القراءات ، وقد ذكر مكي في مستهل ذلك الفصل انه ليس من نفس الكتاب وإنما ذكره ليسهل حفظ ذلك (١) .

كذلك كتب مكي (٥٤٣٧ هـ) فصلا في أحكام الإمالة ، واحتج للألفاظ الممالة ، ثم كانت طريقة سبط الخياط البغدادي (ت ٥٥٤١ هـ) في المبهم تخالف السخاوي (٥٦٤٣ هـ) في جمال القراء ، كما يأتي الإمام الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) في شرح باب الإمالة من حرز الأمانى (٢) بزيادات لم ترد في شرح أبي شامة (ت ٥٦٦٥ هـ) من قبله ، ولا في سراج القارىء لابن الحسن القاصح .

وقد كتب ابن القاصح (ت ٨٠١ هـ) قرّة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين كتبها كما يقول لإخوانه المشتغلين بعلم القراءات ؛ ليستعينوا ببطالعتها على نقل الروايات ، وكشف ما أودعه الداني في تيسيره والشاطبي في حرزه من المشكلات (٣) .

* * *

ثم كانت مرحلة التخصص بعد هذه المرحلة العامة : فألف شمس الدين محمد بن محمد الوفائي الشافعي من علماء القرن التاسع الهجري رسالة في الإمالة على قراءة أبي عمرو البصري وقد فرغ من تأليفها سنة (٨٧٢ هـ) (٤) .

وكانت هناك منظومات مستقلة خاصة بموضوعات بأعيانها في الإمالة، ومذاهب القراء فيها . فمن هذه المنظومات « كشف قناع الوهم والخيال

(١) الإبانة لمكي بن ابي طالب مخطوطة رقم ١٩٦٦٤ بدار الكتب .
(٢) منظومة الشاطبي وهي معروفة بالشاطبية معتمد القراء ، نظم فيها التيسير لأبي عمرو الداني .
(٣) انظر مقدمة قرّة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لأبي الحسن القاصح مخطوطة بدار الكتب بالأرقام ٢٦ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٤٠٢ ، قراءات .
(٤) الرسالة ضمن مجموعة في مجلد ١٧٧ مجاميع بمكتبة الازهر .

عن فواصل المال لابن غازي » وذكر في هذه القصيدة ما عده الشيخ أبو عبد الله القيسي في قصيدته اليائية والشيخ أبو الفضل المجراد السلوى في قصيدته اللامية (١) .

وقد شرح قصيدة ابن غازي العوضي البدرى الشافعي (٥١٢١٤) في رسالة صغيرة جعل عنوانها « فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل المال (٢) » .

وكما ظفر بعض الموضوعات الخاصة في الإمامة بمنظومات ظفر بعض القراء بمنظومات تبين مذاهبهم في الإمامة ، فهذا (الفقير) - كما يصف نفسه - عبد الحافظ بن علي غنيم يضع أرجوزة في أحكام الإمامة على مذهب أبي عمرو بن العلاء البصري المازبي أحد القراء السبعة ثم يضع شرحاً لهذه الأرجوزة يسميه « زوال الجهالة بشرح منظومة الإمامة » .

أما ما كان من النحاة فقد يطول بي حبل الكلام إن ذهبت استقصي ما كتبه عن الإمامة منذ سيويه في القرن الثاني حتى هذا الزمان ، وأقرر أن ما كتبه النحاة والقراء خاصاً بالإمامة كان موضع التحقيق في هذا البحث في مختلف ما حوى من فصول .

* * *

وكما ظفر موضوع الإمامة عند القدماء بما ظفر على النحو الذي بينت ، كذلك كان من المحدثين التفاتة نحو هذا الموضوع ، وقد هديت في أثناء رحلتي إلى إنجلترا صيف ١٩٥١ - إلى كتاب في الإمامة لأحد

(١) لم أهتم إلى هاتين القصيدتين وكلام ابن غازي يدل على أنه سبق في التأليف في رؤوس الآي المال بالقيسي والسلوى كما يقول .

(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٦٩ قراءات .

المستشرقين الالمان هو « Max Grunart » أحد الذين عنوا بالدراسات العربية ، وقد ألف رسالته الإمالة « de Imala » سنة ١٨٧٥ وجعلها تشمل على مقدمة وخمسة ابواب تحدث فيها عن معنى الإمالة عند النحويين والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع ، وتاريخ معنى الإمالة ، وعلاقة الإمالة بالرسم .

وقد نبهني ما كتب الدكتور Max Grunart في كتابه هذا الى بعض ما يجب أن يكون في تناول لهذا الموضوع ، كما كان بعض ما كتبه موضع التحقيق والتعقيب .

ولا يفوتني أن أذكر وأنا في معرض الحديث عن جهد المحدثين في الحديث عن الإمالة باحثين من المعاصرين :

اما احدهما فالاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس وقد تعرض للموضوع في كتابه « اللهجات العربية ^(١) » ، وكان لما كتب من الأثر في الهيكل العام لبحثي هذا مثل الأثر الذي كان لكتاب الإمالة للدكتور Max Grunart كما أتاح لي كذلك فرصة المناقشة والتعليق .

واما الآخر فالدكتور محمود سمران في رسالته التي تقدم بها الى جامعة لندن ^(٢) للحصول على درجة الدكتوراه يونية سنة ١٩٥١؛ فقد كتب فصلا عن الإمالة ^(٣) اتجه فيه اتجاها طابعه العام تبويب ما قال النحاة والقراء في هذا الموضوع ، معتمدا - في الغالب - على ما ذكر سيويو وابن يعيش

(١) انظر اللهجات العربية ص ٤١ - ٥٠ .

(٢) The dhonetic observations of the arab grammarians

(٣) من ص ٢٦٩ - ٣٠٢ من الرسالة المذكورة المحفوظة بمكتبة جامعة لندن . وقد استطعت الاطلاع على هذه الرسالة في اثناء رحلتي التي اشترت اليها أنفا بهدي من الاستاذ Firth الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن ، وبمعمونة من الاستاذ الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (رحمه الله) وقد كان استاذا للدراسات العربية والإسلامية بجامعة مانشستر حينئذ .

والزمخشري من النحاة وما جاء في المقنع والتيسير للداني والنشر لابن
الجزري من القراء • وما كتب الدكتور سمران - على ماله من قيمة - لم
أفد منه كثيرا ، وقد وقفت أمام بعض منه موقف الفحص والتمحيص •

هذه كلمة عامة عن المتحدثين في موضوع الإمامة ، من القدماء
والمحدثين قدمتها بين يدي بحثي هذا لتكون مدخلا أخلص منه الى الموضوع
على ما سأعرض له في بيان وتفصيل فيما يلي من الفصول •

ولم آل جهدا في تزويد الرسالة بالمصورات الجغرافية، والرسوم
الموضحة، والوثائق التي تعين على تصور بعض الحقائق الواردة في فصلي
« رسم المصحف » و « علامات الإمامة الخطية » وقد كان في بعض هذه
المصورات شيء من الخفاء والغموض واعتذر منه ، إذ كان من عمل غيري
الذي لا بد من الاستعانة به فيه •

وكان في النية تسجيل أحاديث لأشخاص تظهر الإمامة في لهجاتهم
تمهيدا لالتقاء ذلك التسجيل في أثناء مناقشتي وتلخيص الرسالة • وسرت
في إبراز هذه النية خطوات ، ولكن حال دون ذلك بعض العقبات •

وبعد ، فلن أضع القلم حتى أسجل الشكر لكل من أسدى الي يدا في
سبيل إعداد هذه الرسالة : أشكر لصاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ
إبراهيم حمروش الشيخ الأسبق للجامع الأزهر ، إذ تفضل فأذن لي بالمرور
بكليات الأزهر فيسر مهمة الاستفتاء وقرب غايته ، بما نراه فيما يأتي من
كتابه الكريم الى أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات :

الجامع الأزهر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ شيخ كلية

أذا لحضرة الأستاذ عبد الفتاح شلبي المدرس الأول للغة العربية
بكلية فيكتوريا بالمرور بالكليات والقسم العام للأزهر لعمل استفتاء
بشأن الإمالة في اللهجات الحديثة .

والمرجو تمكين حضرته من مأموريته وتسهيلها له .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

ربيع الأول سنة ١٣٧١ شيخ الجامع الأزهر

ديسمبر سنة ١٩٥١ (توقيع) إبراهيم حدروش

وقد كان لصاحب الفضيلة الشيخ محمد كامل حسن وكيل كلية اللغة
العربية في تيسير الاستفتاء جهد كريم لا ينسى .

وأشكر لأستاذي الدكتور محمد مهدي علام على ما بذل من جهده
ووقته وراحته مخلصاً في سبيل تبصيري بطريقة البحث ، وكيفية الإفادة من
النص ، وإمدادي بمصادر مختلفة عربية وأجنبية . وتفضله بترجمة بعض ما
يتصل بموضوعي منها .

كما أشكر للدكتور فؤاد حسنين ، فقد أرشدني ، الى كثير من المصادر
العربية ، وترجم لي ما كتبه بالالمانية نولده وشاده متعلقاً بالإمالة .

اما الاستاذ ابراهيم مصطفى فأثره وفضله وما رصد لي من وقته في
الاشراف على إعداد الرسالة كل ذلك أجل من الشكر ، وقد أتاح لي إشرافه
فرصة وقتت فيها على بعض ما عليه من فقه النحو وأسرار العربية .

وقد قرأ الدكتور ابراهيم أنيس بعض فصول الرسالة في صورتها الأولى وزودني بملاحظات وتوجيهات بصرتني بطرف من طريقة المحدثين في تناولهم لهذا الموضوع •

كما يسر لي فضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي - مشكوراً - الاطلاع على المخطوطات المتعلقة بهذا الموضوع في بعض نقاط البحث في المكتبة الأزهرية العامرة ، وكنت أرجع الى فضيلة الشيخ أحمد هانيء شيخ القراء بمسجد السيدة نفيسة بالقاهرة في استيضاح بعض ما يتعلق بمذاهب القراء •

وكان للدكتور محمد يوسف موسى (رحمه الله) فضل كبير ، إذ هيناً لي بدار الكتب المصرية مكاناً خاصاً للاطلاع والبحث ، جمعت فيه ما احتجت إليه من كتب مخطوطة ومطبوعة ، كان ذلك بالاتفاق مع الأستاذ توفيق الحكيم المدير العام لدار الكتب حينئذ ، فكثفت مؤونة المتاعب التي نكتنف الاستعارة وخاصة المخطوطات ، ووفرت كثيراً من الوقت الذي كان يضيع في مختلف الإجراءات •

وقد تفضل الاستاذ حسن الجافي المفتش الأول للغة العربية بوزارة التربية والتعليم فقرأ الرسالة قبل تقديمها للطبع ، وكان له جهد مشكور في تحرير العبارة •

وشكري العام لكل من شجع أو أعان •

والله المسئول أن ينفع بهذا المؤلف بقدر ما بذلت من سعي وما أخلصت من نية •

تحريراً في ١٢ من شعبان ١٣٧١ هـ
٦ من مايو ١٩٥٢ م

عبد الفتاح اسماعيل شلبي

رفعه
عبد الرحمن النجدي
أُسلّمه الله الفردوس

الفصل الأول

معنى الفتح والإمالة

منذ أن أصبح لبعض الكلمات دلالتان : إحداهما لغوية ، والأخرى اصطلاحية ، درج الباحثون في مثل موضوعنا أن يتعرضوا أولا إلى معنى اللفظ في اللغة ، ثم إلى معناه في الاصطلاح ، والأصل أن يكون المعنى الاصطلاحي يتصل بالمعنى اللغوي ، ويمت إليه .

وسأسير في شرح كلمتي الفتح والإمالة على هذا النهج ؛ إذ كان ذلك مما يلقي عليهما ضوءا يكشف عن حقيقتهما ، ويجعل من السهل تصورهما .

فماذا يقصد اللغويون بكلمتي فتح وإمالة ؟

وماذا يقصد بهما في الاصطلاح ؟

جاء في القاموس المحيط : فتح كمنح ضد أغلق (١) .

والفتح حركة من الحركات تقابل الكسر والضم ، وقد استمدت الفتحة هذا المعنى من فتح المر الهوائي عند الحلق والشفاه (٢) .

وجاء في سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح : الفتح : أي فتح الصوت لا الحرف (٣) .

(١) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٣٩ مادة فتح .

(٢) ص ٣٤ The phonetics of arabic

(٣) سراج القارئ المبتدئ : ص ١١٦ .

وأما الميل فهو لغة الانحراف والعدول عن الشيء أو الإقبال عليه ، وكذلك الميلان ، ومال الشيء يميل ميلا وممالا وتميالا وأمال الشيء فمال . والميل بالتحريك ما كان في الخلقة والبناء ، تقول « رجل أميل العاتق في عنقه ميل » ، وتقول في الحائط ميل ، وكذلك السنام .

والأميل على أفعل الذي يميل على السرج في جانب ، ولا يستوي عليه ، وقال ابن السكيت « والأميل الذي لا يثبت على ظهور الخيل » ، إنما يميل عن السرج في جانب ، قال جرير :

«لم يركبوا الخيل إلا بعد ما همروا فهم ثقال على أكتافها ميل»

ومالت الشمس ميولا ضيفت للغروب ، أو زالت عن كبد السماء (١) . ويقول الإمام الجعبري « الإمامة لغة الانحناء » (٢) .

أما الإمامة في الاصطلاح فلم يعرفها سيويه صراحة، ولكنه ذكر في الكتاب عبارات استغلها القراء والنحاة من بعده في تعريف الإمامة : فقد قال سيويه ما نصه :

« وإنما أمالوها » يعني الألف في عابد وعالم . . . » « للكسرة التي بعدها ارادوا أن يقربوها منها » ، ثم قال بعد أسطر « فالألف قد تشبه الياء فارادوا أن يقربوها منها . . » (٣)

ولمادة « قرب » في هذين النصين أهمية خاصة تظهر فيما بعد (٤) .

وهناك مادة أخرى تظهر في النصوص الآتية — لها أهمية خاصة كذلك :

قال سيويه : والياء أخف عليهم من الواو فنحووا نحوها » (٥)

(١) لسان العرب وتاج اللغة ثم انظر القاموس « مادة ميل » .

(٢) شرح حرز الاماني للإمام الجعبري .

(٣) من الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٤) انظر ص ٣٥ .

(٥) من المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦١ .

ثم قال: «ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسورا نحو الكسرة كما نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء» (١) .

ومن هذين النصين تظهر مادة «نحا» بأهميتها الخاصة . فلماذا كانت مادة «قرب» ، ومادة «نحا» مهمة هذه الأهمية ؟

ذلك لأن النحاة والقراء الذين جاءوا بعد سيبويه (١٨٢ هـ) عرفوا الإمامة بواحد من التعاريف الآتية :

أ - ففي المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) الإمامة : ان تنحو بالالف نحو الياء (٢) .

ب - وفي الجمل الكبيرة للزجاجي (٣٣٩ هـ) : الإمامة أن تميل الألف نحو الياء ، والفتحة نحو الكسرة (٣) .

ج - وفي التبصرة لمكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) :

معنى الإمامة هو أن تقرب الالف نحو الياء .. ثم قال بعد أن ذكر أسباب الامالة : وإذا قربت الألف إلى الياء في الإمامة لم يكن ذلك حتى تقرب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة (٤) .

د - وفي الكشف لمكي أيضا (٤٣٧ هـ) « واعلم أن معنى الإمامة هو تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة (٥) .

هـ - ونلاحظ في كتاب الموضح للداني (٤٤٤ هـ) مادتي « النحو والتقريب » في النص الآتي :

-
- (١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .
(٢) المقتضب للمبرد مخطوط بدار الكتب برقم ١٥٢٥ ج ٣ القسم الاول ص ٣٤ .
(٣) الجمل الكبيرة للزجاجي الصيمري (٣٣٩ هـ) مخطوط بدار الكتب برقم ١٩ .
(٤) التبصرة لمكي بن أبي طالب مخطوط بدار الكتب برقم ٢٣٩٩٣٦ ب ص ٩٦ .
(٥) الكشف عن علل القراءات وحججها مصور بدار الكتب برقم ١٩٦٨٢ ب ص ٨٠ .

من اختار الإمالة .. نحا بالفتحة نحو الكسرة فمالت الألف التي بعدها نحو الياء ..

فكذلك إذا أريد تقريبها من الياء بالإمالة لزم أن تقرب الفتحة التي قبلها من الكسرة (١) .

وقال الداني في موضع آخر : والإمالة الشديدة حقها أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه (٢) .

وقد نقل هذا الكلام الأخير أبو شامة (٦٦٥ هـ) في إبراز المعاني إذ يقول « فالإمالة الشديدة أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه » (٣) .

و - والزمخشري من النحاة (٥٣٨ هـ) في المفصل يعرف الإمالة فيقول : هي أن تنحو بالألف نحو الكسرة (٤) .

ز - وابن الأنباري (٥٧٧ هـ) في أسرار العربية يعرف الإمالة فيقول : الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (٥) .

ج - وابن يعيش (٦٤٣ هـ) في شرحه المفصل يربط بين الإمالة لغة واصطلاحاً فيقول : « اعلم أن الإمالة مصدر أملته إمالة ، والميل الانحراف عن القصد .. ومنه مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء . وكذلك الإمالة في

(١) كتاب الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة ورقة ٢٤ من (مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ١٠٣) .

(٢) الموضح ورقة ٢٤ .

(٣) إبراز المعاني من حوز الأمانى ص ١٥٢ طبعة مصطفى البابي الحلبي شعبان سنة ١٣٤٩ هـ .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش إدارة الطباعة المنيرية : ج ٩ ص ٥٢ .

(٥) أسرار العربية المطبوع بمدينة لندن بمطبعة بريسل سنة ١٨٨٦ م الموافقة ١٣٠٣ هـ ص ١٦٠ .

العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين
مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء ، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء ،
تكون شدة الإمالة ، وبحسب بعده تكون خفتها » (١) .

ط - وابن الحاجب (٦٤٤هـ) في الشافية يقول: «الإمالة أن تنحي بالفتحة
نحو الكسرة (٢)» .

ي - وقد ذكر هذا التعريف السيد الجرجاني في كتاب التعريفات (٣) .

ك - وأبو حيان (٧٤٥هـ) «الإمالة أن تنحي بالألف نحو الياء فيلزم
أن تنحي بالفتحة قبلها نحو الكسرة (٤)» .

ل - ويتفق ابن الجزري (٥) مع ابن عقيل (٦) في التعريف الآتي :

الإمالة عبارة أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .

م - ولا يختلف السيوطي (٧) في الإلتقان عن ابن الجزري في تعريف
الإمالة .

ن - ولكنه في جمع الجوامع يقول «الإمالة أن تنحو جوازا بالألف نحو

الياء (٨)» .

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ج ٩ ص ٥٤ ولسنا ندري لم قيد الألف بالتفخيم
في قوله فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء .

(٢) الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٤ .

(٣) ص ١٦ المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦ .

(٤) ارتشاف الضرب لأبي حيان : ص ٢٠٤ - مخطوط بدار الكتب برقم
٨٢٨ نحو .

(٥) النشر في القراءات العشر مطبعة مصطفى محمد : ج ٢ ص ٣٠ .

(٦) شرح ابن عقيل لآلفية بن مالك مطبعة مصطفى محمد : ج ٢ ص ٨٨ .

(٧) الإلتقان في علوم القرآن للسيوطي المطبعة الكستلية رمضان ١٢٧٩ هـ : ج ١
ص ١١٤ .

(٨) جمع الجوامع مطبعة السعادة سنة ١٩٢٧ هـ : ج ٢ ص ٢٠٠ .

ويلاحظ هنا أن السيوطي أدخل الحكم في التعريف كمادته في الإيجاز ثم يقول في الهمع: «قاربوا بين الألف والياء بأن نحووا بالالف نحو الياء، ولا يمكن أن ينحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة (١)» .

وهنا يعرض للباحث السؤال الآتي : إذا كان سيويه قد ذكر في معنى الإمامة مادة « قرب » ، ومادة « نحا » ، فلماذا يغلب على القراء المتقدمين (٢) اختيار مادة « قرب » ويغلب على « النحاة » استعمال مادة « نحا » ؟

عندي ان استعمال القراء الأولين مادة « قرب » استعمال يتصل بما يلتزمونه من الدقة في الأداء ، وما يرتضونه من قدر في الإمامة ، فهم يتحدثون في دقة عن درجات الإمامة ، ويفسر تلك الدقة الامام الجعبري إذ يقول :

« الإمامة قسمان - ما ينحى به الى حد لو زاد صار ياء ويسمى إمامة محضة (وكبرى) وهي المفهومة عند الإطلاق ، وما ينحى به إلى لفظ بين الفتح المحقق والمحضة ويسمى (صفري) وبين بين ، وبين اللفظين ، أي بين الفتح والمحضة وزاد أبو العلاء قسمين .

ما هو أقرب الى الفتح ، والى الكبرى ، والتحقيق ما عليه الجمهور ، لعدم تحقق هذين القسمين (٣) .

والقراء يرتضون من الإمامة في أشد حالاتها الا تكون قلبا خالصا ، ولا اشباعا مبالغا فيه (٤) .

(١) همع الهوامع مطبعة السعادة : ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢) نقول القراء المتقدمين لأنهم هم الذين ظهر عندهم ذلك الاستعمال بصورة واضحة ، اما متأخرو النحاة والقراء فقد اقترب كل من كل في قواعده وتعارض كل فريق الأخذ عن الآخر كما سيظهر ذلك فيما بعد .

(٣) شرح حرز الاماني للإمام الجعبري : ورقة ١٢٠ .

(٤) إبراز المعاني لأبي شامة : ص ١٥٢ .

وتلك المعاني تفتيها مادة « قرب » من غير استعمال للقلب الخالص الذي يستكرهونه .

اما مادة نحا فليست نصا في التقريب الذي يحرص عليه القراء ؛ جاء في القاموس : النحو : الطريق والجهة والقصد ، ونحا مال على أحد شقيه ، وعلى هذا قد يفهم من قول النحاة « أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء ^(١) أن تتجه جهة الكسرة ، أو أن تقصد الكسرة ، أو أن تميل جهة الكسرة ، وكل ذلك محتمل قلب الفتحة كسرة والألف ياء ذلك القلب الخالص الذي يكرهه القراء ، ويستجيزه النحاة .

نعم ، جاءت مادة « نحا » في مؤلفات بعض القراء المتقدمين ، ولكننا نجدهم يشترطون بجانبها شروطاً تعين ما يرتضونه من قدر في الإمالة ؛ كالإمام الجعبري حيث يقول في عبارته السابقة إن الإمالة قسمان : ما ينحى به إلى حد لو زاد صار ياء ، ونراه هنا لم يقل ما ينحى به إلى الياء كما عبر النحاة ، وإنما وضع حدوداً للإمالة إلى الياء إمالة محضة بحيث لا تصل إلى القلب الخالص .

ومن هنا نجد رجلاً كأبي علي الفارسي كان من النحاة ، وكان من القراء ^(٢) يتردد بين هذين المذهبين فيقول :

وأما قصده - يريد ورشاً - في الإمالة بها نحو الياء وتوسطه في ذلك فلا نه كره أن يبالغ في الالتحاء نحو الياء فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الألف - وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمالة ^(٣) وعلى الرغم من أن التشبيه في كأنه يعطي معنى التقريب إلى الياء من غير اشباع مبالغ فيه - فإن النص على الكراهية يحتمل ذلك القلب الخالص إلى الياء .

(١) القاموس المحيط « مادة نحا » .

(٢) غابة النهاية في طبقات القراء مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ : ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي : ج ١ ص ٣٥٣ .

وهكذا ترى أبا علي الفارسي يعلل تعليل النحاة ، ويحكم حكم القراء .

حكم حكم القراء متفقاً معهم في الأداء إذ يقول :

« وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمالة » يعني من غير قلب خالص إلى الكسر أو الياء ولا إشباع مبالغ فيه (١) .

وانظر قول الداني المقرئ (٤٤٤ هـ) في رده على أبي عبيد القاسم ابن سلام (٢٢٢ هـ) في معرض قول أبي عبيد بأصالة الفتح ، واحتجاج أبي عبيد على ذلك بقوله « ولو نظر في مثل هذا - يعني فيما أميل لانتقال اللغة من ياء إلى الأصل للزم من رد الياء إلى الياء أن يرد الواو إلى الواو ، وهم إنما يرجعون الواو إلى الألف فيقولون « عفا ودنا » بالألف ، لأنهما من دنوت وغفوت (٢) .

قال الداني « وأما ما حكاه من أنه لو نظر في مثل هذا إلى الأصل للزم من رد الياء إلى الياء أن يرد الواو إلى الواو ، وهم إنما يرجعون الواو إلى الألف ، فإنه لا يلزم أيضاً ، وذلك لأنه من أمال ما كان من ذوات الياء يرد الياء إلى الياء وإنما يقرب الحرف المال من الياء بالإمالة ، وليس المقرب من الشيء هو هو ، ولا مردود إلى جملة » (٣) .

وهكذا يبدو واضحاً مذهب القراء في كلام الداني من تخرجهم لذلك القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه .

وهذا معنى قول الداني « أن الإمالة الحرف بين حرفين : (٤) .

(١) انظر كلامه في الإمالة المحضة عند حمزه ج ٣٧٣ .

(٢) الموضح ورقة ٢٤ .

(٣) الموضح ورقة ٢٥ .

(٤) الموضح ورقة ٢٥ .

وقد نقل كلامه ابن الجزري في كتابه النشر^(١) .

ويسلك Wright في كتابه Arabic Grammar

مسلك النحاة لا القراء - لأنه لا يتجه اتجاهمهم في حرصهم على درجات الإمالة ودقتهم في أدائها فيقول :

« الفتحة المتلوة بألف (سا) تميل في العصور الأخيرة كما تميل في بعض المناطق من آ الى أي بمثل ما تميل الفتحة من - الى - ويسمى هذا التعبير إمالة^(٢) .

(١) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٥٢ .
(٢) Wwright, Arbic Grammar. Vol. I. P. 10

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

درجات الفتح والإيمان وأنواعها

أورد الداني في كتابه الموضح نوعين للفتح إذ يقول :

« والفتح على ضربين فتح شديد ، وفتح متوسط ، والفتح الشديد هو نهاية فتح القارئ فيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف ويسمى أيضاً التفخيم ، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه ، وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم ؛ لأن طباعهم في العجمة جرت عليه واستعملوه كذلك في اللغة العربية ، وهو في القراءة مكروه ومعيب . والفتح المتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما (١) .

وأما درجات الإمالة فقد جاء في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ما نصه :

قال أحمد بن موسى (٢) : كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعدها

(١) الموضح للداني ورقة ٢٤ وانظر ص ١٥١ وما بعدها من إبراز المعاني لأبي شامة ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) أحمد بن موسى هو الحافظ الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي شيخ الصنعة وأول من سبع السبعة (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ) قرأ عليه وروى عنه الحروف أبو علي الفارسي . انظر طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ١٣٩ وما بعدها .

راء مكسورة مثل من النار ، ومن قرار ، والأبرار ، والأشرار ، ودار البوار ،
والأنصار ، وقنطار ، ودينار ، وديارهم ، وعلى آثارهم ، بل كان في ذلك
كله بين الفتح والكسر ، وهو إلى الفتح أقرب •

وكان ابن كثير وابن عامر وعاصم يفتحون ذلك كله •

قال أبو علي : « ... وقول أحمد في حكايته عن نافع لا يميل الالف
التي تأتي بعدها راء مكسورة يريد ان شاء الله لا يميل الفتح نحو الكسرة
إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيرا ولكن لا يشبع إمالة الفتح نحو
الكسرة فيخف لذلك إجناح الالف وإضجاعها لأن أحمد قال بعد : كان في
ذلك كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح أقرب ، وإذا زال عن الفتح
الخالص ، كان بعض الإمالة أزيد من بعض » (١) •

وقد عرض لنا الإمام الجعبري (٧٢٢ هـ) في نصه السابق
الأنواع الآتية للإمالة :

(أ) شديدة - قريبة من الكسر ، وهي المحضة والكبرى •

(ب) بين بين (صغرى) •

ونقل عن أبي العلاء (٢) زيادة قسمين :

(ج) ما هو أقرب الى الفتح •

(د) وإلى الكبرى •

ومن تقسيم أبي العلاء نراه يجعل التقليل تقليلين ، والمحضة محضتين •
ولكن الذي عليه العمل - كما قال الجعبري - إمالتان فقط هما :

(أ) الكبرى •

(١) الحجة لابي علي الفارسي ج ١ ص ١٧٣ •

(٢) هو أبو العلاء الهمداني قال عنه ابن الجوزي « انه في المشاركة كأبي عمرو
الداني في المغاربة بل هذا اوسع منه بكثير توفي (٥٦٩ هـ) رحمه الله ،
انظر ج ١ ص ٢٠٤ وما بعدها من طبقات القراء » •

(ب) الصغرى •

وربما كان نص أبي علي الفارسي يرجح رأي أبي العلاء حيث يروي عن شيخه ابن مجاهد أن نافعاً كان لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة ، ويفسر ذلك بأنه لم يكن يميل ذلك إمالة شديدة ، وإنما كان في ذلك كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح أقرب ، وهو اعتراف بالحالة الثالثة من الاحوال السابقة التي استبعدها الجعبري بقوله : والتحقيق ما عليه الجمهور لعدم تحقق ما هو أقرب إلى الفتح وما هو أقرب إلى الكبرى •

ولكن أبا علي الفارسي في موضع آخر يرجح رأي الإمام الجعبري حيث يقول عن ورش - وهو تلميذ نافع وراو عنه :

وأما قصده - يريد ورشاً - في الإمالة بها نحو الياء وتوسطه في ذلك فلائنه كره أن يبالغ في الالتجاء نحو الياء فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الألف - وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمالة (١) •

فالظاهر من نص أبي علي الفارسي الأخير أن الذي عليه العمل عند نافع وراويته الإمالة المتوسطة الصغرى أو بين بين لا تلك التي هي أقرب إلى الياء وهو الذي عليه العمل عند الجمهور كما نص الإمام الجعبري •

ويشير ابن جني في كتابه « سر صناعة الإعراب » عند كلامه على الحركات - إلى أن هناك حركات محضة أصلية هي « الفتحة والكسرة والضمة » وإشباعها يحدث الألف والياء والواو •

كما أن هناك حركات فرعية هي :

(أ) الفتحة مشوبة بالكسرة في عالم وعابد •

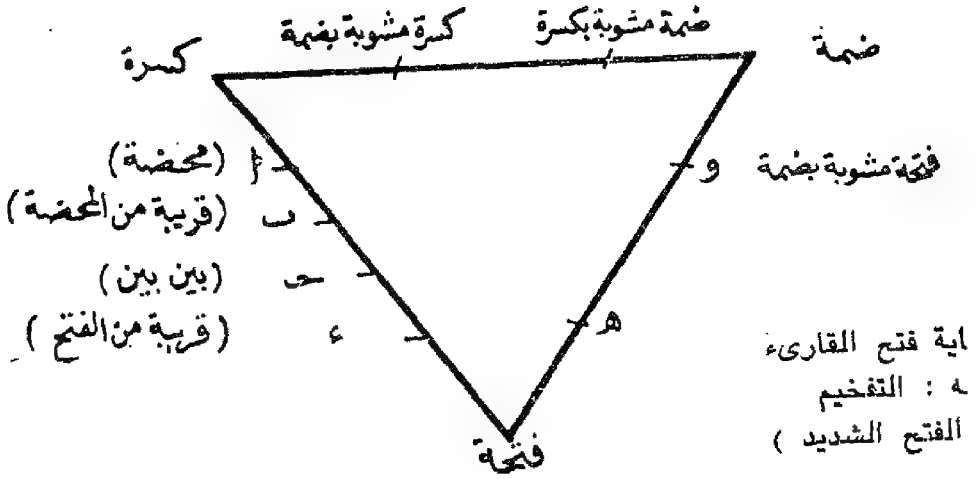
(ب) الفتحة مشوبة بالضمة نحو قام وصام ، والصلاة والزكاة •

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ج ١ ص ٣٥٣ •

(ج) الكسرة مشوبة بضمة نحو قيل وغيض .

(د) الضمة مشوبة بكسرة في نحو مذعور وابن بور .

وإذن قد تجمع لدينا من نص الجعبري، وكلام ابن جني حركات متنوعة متفرعة عن الحركات الأصلية التي هي الفتحة والكسرة والضمة ، ولو أنا سلطنا مسلك المحدثين في بيان هذه الحركات في عقد حركي لكان كالآتي :



ما كان بين الفتح والضم (أ) التفخيم (ب) فتحة مشوبة بضمة .

ما كان بين الضم والكسر (أ) ضمة مشوبة بكسرة (ب) كسرة مشوبة بضمة .

ما كان بين الكسرة والفتح (أ) محضة (ب) قريبة من المحضة (ج) بين بين (د) قريبة من الفتح .

فماذا أثر عن القراء من هذه الأنواع جميعاً ؟

لقد أثر عنهم نوعا الأمالة (أ) المحضة . (ب) وبين اللفظين .

كما أثر عنهم (ج) التفخيم الذي فيه يخلص نطق الفتحة أو الألف من غير مبالغة في لفظها تصيرها كالضمة أو الواو • كما يفعل الأعاجم •

قال ابن الجزري: « أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق بها هو اطلاق التفخيئات والتغليظات على طريق ألفتها الطباعات (كذا !!) تلقيت من العجم ، واعتادها النبط ، واكتسبها بعض العرب حيث لم يققوا على الصواب ممن يرجع إلى علمه ، ويوثق بفضل وفهمه ، وإذا انتهى الحال إلى هذا فلا بد من قانون صحيح يرجع إليه ، وميزان مستقيم يعول عليه •

ثم قال « وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فانها تتبعه ترقيقا وتفخيما ، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فانما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو ، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه (١)

ولعل هذا كان قصد ابن الجزري إذ يقول في المقدمة الجزرية :

« وحاذراً تفخيم لفظ الألف » (٢) •

وليس يعني بالتحذير من تفخيئها سوى التحذير من المبالغة في لفظها مبالغة تصير واوا •

قال في وضع آخر من النشر : والميم حرف أغن ، وتظهر غنته من الخيشوم إذا كان مدغماً أو مخففاً فإن أتى محرراً فليحذر من تفخيئها ولا سيما إذا أتى بعده حرف مفخم نحو مخمصة ، مرض ، مريم وما الله بغافل فان أتى بعده ألف كان التحرز من تفخيئها أكد ، فكثيراً ما يجري عليه الألسنة خصوصاً الأعاجم نحو مالك ، و « بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » (٣) •

(١) النشر لابن الجزري : ج ١ ص ٢١٥ •

(٢) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة - المكتبة الأزهرية : ص ٨ •

(٣) النشر ج ١ ص ٢٢٢ •

(د) كما أثر عن القراء أيضا الكسرة مشوبة بالضمّة في قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيء وسيئت . فقد قرأها الكسائي ورويس بإشمام الضم كسر اوائلهن ووافقهم ابن ذكوان في (حيل وسيق وسيء وسيئت) ووافقهم المدنيان في (سيء وسيئت فقط) وقرأ الباقر بن باخلاص الكسر (١) . ويستشهد النحاة في كتبهم بقول الشاعر «ليت شابا بوع فاشتريت» . وإذا كان من طبع الأعاجم التفخيم ، فانهم لا يجنحون الى إمالة ولا ترخيم ولعلمهم بعض الدين حكى عنهم ابو شامة في إبراز المعاني من أنهم ينطقون بنوعي الإمالة ، الخفيفة والشديدة من غير تفرقة بينهما من حيث حقيقتهما وجوهر النطق بهما ، بل كانوا يؤدونهما برفع الصوت في الشديدة ، وخفضه في الخفيفة ، قال أبو شامة ما نصه :

وصفة إمالة بين بين أن يكون بين لفظي الفتح والإمالة المحضة كما تقول في همزة بين بين أنها بين لفظي الهمز وحرف المد ، فلا هي همزة ولا هي حرف مد ، فكذا هنا لا هي فتح ولا إمالة ، وأكثر الناس ممن سمعنا قراءتهم أو بلغنا عنهم يلفظون بها على لفظة الإمالة المحضة ، ويجعلون الفرق بين المحضة وبين بين رفع الصوت بالمحضة وخفضه بين بين ، وهذا خطأ ظاهر فلا أثر لرفع الصوت وخفضه في ذلك ما دامت الحقيقة واحدة ، وإنما الغرض تمييز حقيقة المحضة من حقيقة بين بين وهو ما ذكرناه « (٢) .

ثم نراه يضع مقياسا تقاس عليه إمالة بين بين إذ يقول « واسهل ما يظهر فيه إمالة بين بين الرء ، فهو في نحو ذكرى أشد بيانا فافهم ذلك وابن عليه » (٣) .

ومن هنا نرى أن الأعاجم ومن لف لفهم من النبط وبعض العرب كان لهم في أداء الفتح والإمالة أثران :

- (١) النشر ج ٢ ص ٢٠٨ .
- (٢) إبراز المعاني ص ١٦٣ .
- (٣) المصدر السابق ص ١٦٤ .

أحدهما - ذلك « الفتح الشديد » الذي هو نهاية فتح القارئ، لفيه
بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف ويسمى أيضا التفخيم، والقراء يعدلون عنه
ولا يستعملونه (١) .

والآخر - عدم التفرقة بين التقليل والإمالة المحضة (٢) .

كما نرى أن القراء حفظوا لنا :

(أ) نطق الفتحة صحيحاً خالياً من التفخيم .

(ب) الإمالتين : التقليل والمحضة . والقراء والنحاة جميعاً أضعوا
إحدى درجتي التقليل وإحدى درجتي المحضة اللتين أوردتهما الجعبري عن
أبي العلاء (٣) .

هذا وفي الجدول الآتي بيان لتطور أسماء كل من درجات الفتح
والإمالة عند النحاة والقراء . وقد اخترت من كل قرن مؤلفاً - على الأقل -
من النحاة وآخر من القراء ، منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر ؛
لتكون صورة التطور أقرب إلى الدقة ، وأشد عوناً في الحكم على أي
الطائفتين كان أقدر على ضبط درجات الإمالة والدقة في الأداء ، وليس
القصود من ذلك بيان هذا التطور على وجه الاستقصاء ، فذلك لا يعين عليه
إلا التعرف على الكتب التي ألقت في النحو والقراءات جميعاً ، وذلك ما
يحتمه الاستقراء الصحيح ، ولكننا أردنا أن نعطي صورة بالقدر الذي أعاننا
عليه الجهد منذ سبويه في القرن الثاني (١٨٣ هـ) ، إلى السيوطي (٩١١ هـ)
من القراء (٤) والأشمونى (٩٢٩ هـ) من النحاة في القرن العاشر .

(١) الموضح ورقة ٢٤ (ص ٥) .

(٢) انظر نص الداني السابق إبراز المعاني و ص ١٦٣ .

(٣) انظر نص الجعبري السابق .

(٤) كان أول من جمع القراءات السبع ابن مجاهد المتوفى في القرن الرابع
الهجري (٣٢٤ هـ) فليس بالمستطاع العثور على كتب في هذه القراءات
السبع قبل هذا التاريخ .

تطور الفاظ الفتح والإمالة عند النحاة والقراء

المؤلف	الاسماء التي يستخدمها للامالة	الاسماء التي يستخدمها لعدم الامالة	القرن الذي توفي فيه	المؤلف	
				انحوي هو؟	اقارئ هو؟
سيبويه في الكتاب (نحوي)		الفتح (١) النصب (٢) التفخيم (٣)	(١٨٣ هـ) القرن الثاني		الامالة (٤) الكسر (٥) الترخيم (٦) الروم (٧)
المبرد في المقتضب (نحوي)		النصب (٨) ترك الامالة (٩) الفتح (١٠)	(٢٨٥ هـ) القرن الثالث		الامالة (١١)
ابن خالويه في الحجة (نحوي)		التفخيم (١٢)	(٣٧٠ هـ)		الامالة (١٣)

- (١) ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٦ .
- (٢) ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٦٦٦ و ٢٦٨ و ٢٧١ .
- (٣) شرح الشافية ج ٣ ص ٢٥٥ .
- (٤) ج ٢ ص ٢٥٩ وما بعدها .
- (٥) ج ٢ ص ٢٦٣ .
- (٦) شرح الشافية ج ٣ ص ٢٦٦ .
- (٧) الارشاف ص ٢٢٣ .
- (٨) ص ٢٤ و ص ٣٥ و ص ٤٠ و ص ٤١ و ص ٤٥ من الجزء الثالث .
- (٩) ج ٣ ص ٣٩ .
- (١٠) ج ٢ ص ٤٢ .
- (١١) ج ٣ ص ٢٥ و ص ٣٧ و ص ٣٨ .
- (١٢) انظر ورقات ٣ و ٥ و ٦ و ٧ من كتاب الحجة مخطوط برقم ١٩٥٢٣ ب دار الكتب المصرية .
- (١٣) انظر الورقات السابقة وغيرها .

المؤلف	القرن الذي توفي فيه	الاسماء التي يستعملها لعدم الإمالة	الاسماء التي يستعملها للإمالة
انحوي هو؟ اقاريء هو؟			
ابو علي الفارسي في الحجة (نحوي)	(٣٧٧ هـ) القرن الرابع	(١) الفتح (٢) النصب (٣) التفخيم	الإمالة - الكسر (٤) الاجنح (٥) البطح (٦) الاضجاع (٧) إمالة شديدة (٨) اشباع الإمالة (٩) لا يفتح ولا يكسر (١٠) بين الفتح والكسر (١١) بين الكسر والتفخيم (١٢) بين الإمالة والتفخيم (١٣)
مكي بن ابي طالب في التبصرة والكشف قاريء	(٤٣٧ هـ) القرن الخامس	الفتح (١٤)	الإمالة بين اللفظين (١٤) صول بين صوتين (١٥)

(١) ج ٢ ص ٥٤٨ .

(٢) ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) ج ١ ص ٣٦١ و ج ٢ ص ١٥٢ .

(٤) الا ج ٢ ص ١٤٦ .

(٥) الا ج ١ ص ٣٧٣ .

(٦) ج ٧ ص ٢٨٢ .

(٧) ج ١ ص ٢٨٢ .

(٨) ص ٣٧٢ ج ١ .

(٩) ج ١ ص ٣٧٣ .

(١٠) ج ١ ص ٣٤٨ .

(١١) ج ١ ص ٣٧٦ .

(١٢) ج ١ ص ٣٨١ .

(١٣) ٩٦ وما بعدها من التبصرة ص ٨٠ وما بعدها .

(١٤) ص ٩٦ وما بعدها في التبصرة بين اللفظين اي بين الفتح والإمالة ص ٨٧

من الكشف .

(١٥) ص ٨٠ وما بعدها من الكشف و ص ١٦٤ ابراز المعاني لابي شامة .

تابع تطور الفاظ الفتح والامالة عند النحاة والقراء

المؤلف	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الاسماء التي يستعملها للامالة	القرن الذي توفي فيه	انحوي هو	أقارء هو
الداني في الموضح (قارئ)	(٤٤ هـ) القرن الخامس	الفتح (١) شديد التفخيم لا يستعمل ، معيب عند القراء . متوسط وهو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما والتفخيم فيما يقابل الفح المتوسط (٢) الامالة : (٣) أ - شديدة ب - ومتوسطة وهما مستعملتان الكسر } لنوعي الاشباع } الامالة البطح } الشديدة (٤) الاضجاع } والمتوسطة الامالة المتوسطة (٥) بين بين (٦) الامالة البسيرة (٧) بين الفتح والامالة (٨) بين التفخيم والكسر (٩) بين الكسر والفتح (١٠) لامفتوح ولا مكسور (١١) الإشارة الى الكسر (١٢)			

- (١) ورقة ٢٤ ص ٥ .
(٢) ص ١٥٨ وما بعدها .
(٣) ورقة ٢٤ ص ٥ .
(٤) ص ٦ ورقة ٢٤ .
(٥) ورقة ٥٣ ص ٢١٦ .
(٦) ورقة ٥٩ ص ٢٦١ .
(٧) ص ٢١١ و ٢٤٢ ورقة ٥٦ .
(٨) ص ٢٨ ورقة ٢٨ .
(٩) ص ٣٨ ورقة ٢٨ .
(١٠) ص ١٦٢ ورقة ٤٦ .
(١١) ص ١٦٢ ورقة ٤٦ .
(١٢) ص ١٦٢ ورقة ٤٦ .

تابع تطور الفاظ الفتح والامالة عند النحاة والقراء

المؤلف	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الاسماء التي يستعملها للامالة	القرن الذي توفي فيه	المؤلف	
				أنحوي هو	أقارىء هو
	الفتح	الامالة بين اللفظين	٤٧٦ هـ القرن الخامس	الرعياني في الكافي	
الزمخشري في المفصل	النصب نقلا عن سيبويه (١) التفخيم (٢)	الامالة	٥٣٨ هـ القرن السادس		
	التفخيم (٣)	الامالة امالة لطيفة (٤) بين بين (٥)	٥٤١ هـ القرن السادس	سبط الخياط البغدادي في المبهج	
	الفتح - التفخيم (٦)	الامالة فيما يقابل الشديدة عند الداني بين اللفظين - الترقيق (٧)	٥٩٠ هـ القرن السادس	الشاطبي في حرز الاماني	

- (١) ص ٦١ .
 (٢) ص ٦١ .
 (٣) ص ٨٠ وص ٨٩ من النسخة المصورة فيما يقابل الفتح المتوسط عند الداني ص ١٢٩ من المنهج .
 (٤) ص ٨٠ .
 (٥) ص ٨٨ .
 (٦) ص ١٨٢ ابراز المعاني .
 (٧) ص ١٨٢ ابراز المعاني .

تابع تطور الالفاظ الفتح والإمالة عند النحاة والقراء

المؤلف	الاسماء التي يستعملها لعدم الإمالة	الاسماء التي يستعملها للإمالة	القرن الذي توفي في	المؤلف	
				انحوي هو	أقارء هو
ابن يعيش في شرح المفصل	التفخيم - الفتح - النصب (١)	الإمالة { خفيفة - شديدة } يسرون الى الكسر الكسر بين الكسر المفرط والفتح المفرط (٢)	٦٤٣ هـ القرن السابع		
ابن الحاجب	الفتح	الإمالة (٣)	٦٤٤ هـ القرن السابع		
أبو شامة في إبراز المعاني	نقل عن الداني التقسيم الآتي: { شديد } الفتح { التفخيم متوسط } الألف - التفخيم بمعنى الفتح المتوسط	متوسطة - بين بين - شديدة - الإضجاع { ومحضة (٤) } الياء - بين بين (٥)	٦٦٥ هـ القرن السابع		

(١) ج ٩ ص ٥٤ وما بعدها .

(٢) ج ٩ ص ٥٤ .

(٣) شرح الشافية ج ٢ ص ٢٠ .

(٤) إبراز المعاني ص ١٦٨ .

(٥) ص ١٦٤ .

تابع تطور الفاظ الفتح والامالة عند النحاة والقراء

المؤلف	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الاسماء التي يستعملها للامالة	القرن الذي توفي فيه	المؤلف	
				انحوي هو	اقارء هو
الرضى في شرح الشافية		أ - يطلق امالة على الشديدة التي بولغ في امالة الفتحة نحو الكسر. ب - ما لم يبالغ فيه يسمى بين اللفظين، وترقيقا، وخص الترقيق بالفتحة التي قبل الالف فقط (١)	٦٨٨ هـ القرن السابع		
الجعبري في شرح حرز الاماني	نقل حديثا عن الأعشى عن ابراهيم - الالف ينقسم الى مستقيم وهو الفتح وهو مرقق على كل حال، وتفخيمه لحن (٢) .	والى معوج ويسمى: امالة واضجاعا وليا وبطحا وهو قسمان : (١) محضة وكبرى (٢) صفري وبين وبين اللفظين .	٧٣٢ هـ القرن الثامن		
ابو حيان في الارتشاف	النصب (٣) والفتح - لم يعمل	الامالة امال	٧٤٥ هـ القرن الثامن		

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ٤ .

(٢) شرح حرز الاماني ورقة ١٢٠ - مخطوط بدار الكتب برقم ٦١٢ قراءات .

(٣) ص ٢٠٥ وما بعدها .

ملاحظات على (١) تعبیراتهم عن الفتح

١ - يقصر الداني وتابعه أبو شامة التفخيم على تخلص الألف من مشابهة الياء على حين أن ابن خالويه جعل التفخيم لتخلص الفتحة من شبه الكسرة ، والألف من مشابهة الياء ، ويطرد ذلك في كتابه الحجة اطراداً ظاهراً فهو يستعمله بجانب الألف .

٢ - نجد التفخيم يتردد عند النحاة مرادفاً للفتح ، كما نجد هذه الظاهرة عند النحاة الذين اشتغلوا بالقراءات أيضاً كابن خالويه وأبي علي الفارسي .

٣ - الترقيق عند الجعبري وابن الجزري وهما قارئان نوع من الفتح المتوسط وهو يقابل التفخيم المغيب عند الداني وأبي شامة والشاطبي من القراء وعند الرضى من النحاة يقابل الإمالة المتوسطة (بين بين) ، ويقصره الرضى على إمالة الفتحة التي قبل الألف لا غير على حد تعبيره هو . وهذا على ما فيه من غرابة عند كل من الرضى النحوي ، والجعبري وابن الجزري القارئان لكل وجهة تتصل بمذهبه نحوياً أو قارئاً ؛ فقد سبق أن النحاة يستعملون التفخيم فيما يرادف الفتح ، وعلى هذا يكون ضد التفخيم الترقيق ، أما القراء فيحرصون على بيان درجات الفتح ، فالشديد هو التفخيم ، والمتوسط ترقيق .

٤ - اصطلاح الفتح الشديد جاء متأخراً بعد أن سموا الفتحة الخالصة تفخيماً ، وبعد أن سمعوا الأعاجم ينطقونها فتحة شديدة مفخمة ، فوضعوا

الاصطلاحين : الفتح الشديد للنطق الأعجمي المفخم ، والفتح المتوسط
الخالص من التفخيم •

٥ - وقد قصر الرضى الترقيق على الألف فقط على حد تعبير المحدثين
مع انه كما يكون في الألف يكون أيضاً في ذوات الراء مما لم يقع فيه ألف،
فهو كما يكون في نحو ميراث وفقيرا والمغيرات والمديرات ، يكون في غير
والخير ، ولا خير ، والآخرة ، وباسرة •

٦ - الترقيق عند القراء نوع من الإمالة المتوسطة (بين اللفظين) -
والفتح المتوسط •

(ب) ومن الملاحظات على تعبيرهم عن الإمالة :

ان الكسر والبطح والاضجاع والاشباع والألف المموج واللّئي كلها
تطلق على الإمالة بنوعها (الشديدة والخفيفة) حتى جاء ابن الجوزي
فجعل المحض والاضجاع والبطح والكسر من اسماء الإمالة الشديدة ،
وجعل بين اللفظين والتلطيف والتقليل وبين وبين للإمالة الخفيفة ، وتابعه
السيوطي في ذلك •

(ج) ملاحظة هامة :

مما سبق تبين أن القراء هم الذين يتكلمون في درجات الإمالة •
ويضعون لنوعها الأسماء المختلفة ، أما النحاة فلا يتعرضون لذلك إلا ما
كان من ابن يعيش في شرحه المفصل ، ولعله قد نقل عن القراء واحتذى
حذوهم •

قال الداني : « والقراء قد يعبرون عن هذين الضربين من
الممال بالكسر مجازاً وإشباعاً... ويعبرون أيضاً عنهما بالبطح والاضجاع »
ثم قال « وذلك كله حسن مستعمل بدليل تسمية العرب الشيء باسم ما هو

منه وما قاربه وجاوره ، وكان بسبب منه ، وتعلق به ضرباً من التعلق (١) » .

ثم جاء ابن الجزري وفصل على النحو الذي سبق . ولو رجعنا الى القواميس (٢) واستشهدنا بها لوجدنا في كل هذه الكلمات . البطح

(١) ورقة ٢٤ الموضح للداني .

وان كان يفهم من كل منهما العدول عن الاستواء الى درجة بعيدة كما يرى ابن الجزري في تخصيص بعض هذه الالفاظ بالإمالة المحضة - كما سنوضح فيما يلي :

(٢) جاء في القاموس - فيما يتعلق بمادة بطح - :

« بطحه كمنعه القاء على وجهه (١) » .

وقال الصبان « واصل بطح الشيء القاؤه ورميه ويلزمه امالته (٢) » .
اما مادة ، ضجع ، فقد جاء في اللسان « ضجعت الشمس وضجعت وخفقت وضرعت مالت للمغيب ، وكذلك ضجع النجم فهو ضاجع ، ونجوم ضواجع قال :

على حين ضم الليل من كل جانب جناحه ، وانصب النجوم الضواجع
ويقال « أراك ضاجعا الى فلان اي مائلا اليه » ، ورجل اضجع الشيايا
اي مائلها والضعجوع من الإبل التي ترعى ناحية ، ودلو ضاجعة ممثلة عن ابن
الأعرابي وانشد « ضاجعة تعدل ميل الدف »
وقيل هي المألى التي تعيل في ارتفاعها من البئر لثقلها، وانشد بعض
الرجاز :

ان لم تجيء كالأجدل المسف ضاجعة تعدل ميل الدف
إذا فلا آبت إلى كفى أو يقطع العرق من الألف (٣)
ثم قال : والاضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض (٤) ،
وسميت الإمالة كسراً لما فيها من ميل الى الكسر (٥) .

واما التي فيقال « لوى الرجل رأسه والوى برأسه امال واعرض وقوله
تعالى وان تلوا أو تعرضوا » براوين ، قال ابن عباس (رضي الله عنه) هو
القاضي يكون ليه واعراضه لاحد الخصمين على الآخر (تاج اللغة) وزاد عليه
اللسان : أي تشدده وصلابته (لسان العرب) .

(١) القاموس مادة بطح - لم انظر تاج اللغة للشيخ ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري

(٢) ج ٤ اشعوني ص ٢٠٧ حاشية الصبان .

(٣) الألف عرق في المضد .

(٤) مادة ضجع - لسان العرب .

(٥) حاشية الصبان ص ٢٠٧ .

والإضجاع والإشباع والكسر واللي معنى الإمالة مطلقا كما يرى الداني
ومن قبله من القراء .

وبعد فعلى ضوء هذا التسبّع التاريخي للاستعمالات المختلفة للفظ
الإمالة ودرجاتها ، والالفاظ الدالة على هذه الدرجات ، نستطيع ان نخالف
الدكتور أنو ليتمان إذ يقول : -

أما الإمالة فسامها النحويون أيضا كسرا وبطحا وإضجاعا ، وسموا
النطق الصحيح للفتحة بتفخيم أو بنصب (١) .

فقد هدانا ذلك التسبّع التاريخي الى أن القراء - على وجه العموم -
لا النحاة هم المعنيون بدرجات الإمالة ، وهم المعنيون أيضا بوضع أسماء
مختلفة لهذه الدرجات من نحو الكسر والبطح والاضجاع ، وغيرها على
النحو الذي بيناه .

= وقد جاء لفظ (اللي) في القرآن الكريم قال الله تعالى « وراعنا ليا
بالسنتهم ، يعني تحريكا منهم بالسنتهم بتحريف منهم لعناه الى المكروه من
معنييه واستخفافا منهم بحق النبي (صلى الله عليه وسلم) (٢) .
وفي ذلك التفسير معنى الميل بالسنتهم الى التحريف . وربما كان في
البطح والإشباع من المعاني ما يقصده ابن الجزري في الإمالة الشديدة ولكن
الاضجاع واللي يراد منها الإمالة مطلقا بل ان لفظ الكسر بالذات لا يتفق مع ما
يقصده ابن الجزري في الإمالة الشديدة بل هو الى الإمالة الضعيفة (بين بين)
أقرب . جاء في اللسان في مادة كسر :

وفي حديث : العجين قد انكسر أي لان واختمره وكل شيء فتر فقد
انكسر ومنه الحديث بسوط مكسور أي لين ضعيف (٣) فإذا تقلنا هذه المعاني
الى الكسر الذي يرد عند القراء في حديثهم عن درجات الإمالة فإنما يراد به
إمالة ضعيفة لينة لا شديدة قوية كما يقرر ابن الجزري .

(١) ص ٣٢ بقايا اللهجات العربية في الادب العربي بقلم الاستاذ الدكتور
أنوليتمان . فصل من المجلد الاول من مجلة كلية الآداب العدد العاشر
مايو سنة ١٩٤٧ .

(٢) تفسير الطبري ج ٥ ص ٧١ .

(٣) مادة كسر من اللسان .

وقد تابع الدكتور محمود سمران ما كان من انوليتمان — اذ ذكر في رسالته^(١) أن النحاة اتفقوا على أن الإمالة على درجات مختلفة، فيتحدثون عن الإمالة القوية وهي ما تسمى الإمالة الشديدة، والكسر القوي وهو ما يسمى في الاصطلاح بالكسر المفرط، وذكر المصادر التي استقى منها الكلام عن هذه الدرجات .

وزيادة في التوضيح نعرض الجدول الآتي : —

رقم المرجع في رسالة دكتور سمران	النص	من أسند اليه النص
(١)	الإمالة الشديدة	جرنيرت
(٢)	الكسر المفرط	ابن يعيش
(٣)	بين الفتح والإمالة	ابن الجزري والداني
	بين اللفظين	« »
(٤)	بين بين	الداني
(٥)	تقليل الإمالة	ابن الجزري

وهكذا نرى ان الدكتور سمران لم يتنبه الى صفة من استشهد بهم على الأسماء المختلفة للإمالة ودرجاتها فجعلهم من النحاة^(٢)، على حين أنهم من القراء فابن الجزري وقد استشهد به ثلاث مرات قارئ، والداني وقد استشهد به مرتين قارئ كذلك، وأما جرنيرت فهو معتمد في كتابه الإمالة على السيوطي في الاتقان الذي اعتمد على ابن الجزري في النشر، بقي ابن يعيش وهو متأثر بالقراء .

هذا وهناك خلاف ملحوظ بين القراء في كتبهم والنحاة فيما يتعلق بمنونة هذا الباب، فالنحاة يتخذون له لفظ « الإمالة » لا غير^(٣) . على

(١) رسالة تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن يونية سنة ١٩٥١ وجعل موضوعها « ملاحظات على ما قاله النحاة في الأصوات اللغوية » .

(٢) ص ٢٦٨ من الرسالة المذكورة .

(٣) انظر كتب النحاة .

حين ان القراء يعنونونه حيناً بالفتح والإمالة (١) . او الإمالة والتفخيم (٢) .
واحياناً بالفتح والإمالة وبين اللفظين (٣) .

ولكل وجهة : فالنحاة عندما يتكلمون عن الإمالة إنما يتناولونها من حيث حقيقتها ، وفائدتها ، وحكمها ، ومحلها ، وأصحابها من القبائل ، وأسبابها دون اهتمام بمذاهب القراء في الأداء من فتح ، أو إمالة ، أو بين هذين (٤) ، إذ كان ذلك لا يتصل بصميم ما يبحثون أو يتناولون .

ولكن القراء يهتمون في كتبهم اهتماماً خاصاً بأصحاب الإمالة من القراء ، ومذاهبهم المختلفة فيها : فمن القراء من يفتح ، والفتح على درجات فمنه الشديد ومنه المتوسط ، ومنهم من يكسر على درجات كذلك ، ومنهم من اتخذ لنفسه طريقاً وسطاً بين المذهبين ، فكانت قراءته بين اللفظين .

ولهذا عنون كثير منهم هذا الباب « بالفتح والإمالة وبين اللفظين » ومنهم من اقتصر على لفظي « الفتح والإمالة » كابن الجزري في كتابه الدرّة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية (التي فوق السبعة) ؛ لأنه لم يرد عن أحد من هؤلاء القراء الثلاث إمالة بين اللفظين (٥) .

(١) ابن الجزري في الدرّة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية .

(٢) انظر المنهج .

(٣) انظر الكشف لمكي والتيسير للداني والسراج لابن القاصح والنشر لابن

الجزري .

(٤) انظر شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٠٧ .

(٥) البهجة المرضية في شرح الدرّة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر

للشيخ الضباع .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثالث

الإمالة عند المحدثين

وكلام المحدثين من علماء الأصوات عن ظاهرة الفتح والإمالة لا يكاد يختلف في أصوله العامة عن كلام القدامى من النحاة والقراء ، وإنا لنجد في كتب هؤلاء وهؤلاء أصلاً لما ذكره المحدثون في تفسير الفتح والإمالة ظاهرتين من الظواهر الصوتية بوجه عام .

فالمحدثون حين يتحدثون عن الإمالة يقسمون الأصوات الى Consonants و Vowels ويسمون الأولى ساكنة - والأخرى لينة .
وأصوات اللين في اللغة العربية هي الحركات من فتحة وكسرة وضمة ، وكذلك الألف اللينة ، والياء اللينة ، والواو اللينة ، وليس عند المحدثين فرق بين الحركات والحروف إلا في الكمية ، فالألف فتحة طويلة (١) وكذلك كل من الياء والواو كسرة وضمة طويلتان ، ولا فرق إذن بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد ؛ لأن العملية العضلية في الحالتين واحدة (٢) ، وكل ما هناك أن الأصوات اللينة تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها وفي العادة يستمر الصوت اللين الطويل ضعف الصوت القصير (٣) .

(١) وهذا ما يقرره شادة في ص ٣٤ من كلام له عن « Sibawaihi, slautlehre »

(٢) اللهجات العربية ص ٤٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٨١ .

فمثلا الصوت (a) في كلمة Father يستمر ضعف نفس الصوت في كلمة Fatter والصوت (i) في كلمة Bead ضعف نفس الصوت في Beat . وفي اللغة العربية الفصحى نلاحظ هذه النسبة في الطول وبدقة خصوصا في طريقة القراءة المجودة (١) .

ويقول Gairdner في موضع آخر ، إن العلاقة بين الحرف اللين العربي في كلمة (Si : n) والحرف في (سن) مفرد أسنان يماثل العلاقة بين الحرفين في الكلمتين الانجليزييتين Saens (مرثي) و (Sin) أي جرم (٢) .

وإننا لنجد أصلا لذلك الكلام عند القدامى من النحاة والقراء ، فهذا ابن جني في كتابه « سر صناعة الأعراب » عند حديثه عن الحركات يذكر أن الحركات أبعاض حروف اللين ، فالحركات المحضة وهي الفتحة والكسرة والضمة يحدث اشباعها الألف والياء والواو (٣) .

ومن قبل ابن جني قال سيبويه في الكتاب « الفتحة من الألف » ، وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء (٤) .

فاذا ما تركت هذه الأصول العامة إلى التوضيح والتفاصيل وجدنا الاختلاف شاسعا بين القدامى والمحدثين من علماء الاصوات ذلك لأن المحدثين قطعوا مراحل واسعة في قياس أصوات اللين المختلفة بقدر ما واتاهم به البحث العلمي من عمق وتدقيق، وما أمدتهم به الآلة من أسباب وتحديد.

وأول من غني بهذه المقاييس بروفير (دانيال جونز) في جامعة لندن (٥) إذ وضع لنا المقاييس العامة لأصوات اللين ، وسجلها فوق

(١) ص ٣٥ « The phonetics of arabic »

(٢) ص ٣٨ « The phonetics of arabic »

(٣) سر صناعة الاعراب نسخة للاستاذ ابراهيم مصطفى .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٥) الاصوات اللغوية دكتور ابراهيم انيس ص ٣٢ وما بعدها .

أسطوانات هي الآن في متناول كل من ينبغي تعلمها .

وقد بدأ بتحديد الموضع الذي يمكن أن يصعد اليه اللسان نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء دون أن يحدث في مروره أي نوع من الحفيف ، فأقصى ما يصل اليه اللسان متجهاً نحو الحنك الأعلى بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أي نوع من الحفيف يعد موضعاً مضبوطاً بين أصوات اللين وقد رمز اليه بالرمز (i) او ما يشبه الكسرة الرقيقة في لغة العربية .

وقد عد المحدثون هذا الصوت أول مقياس لأصوات اللين لتحديد موضعه؛ إذ لو صعد اللسان نحو الحنك أكثر من هذا سمع الحفيف الذي يخرج به صوت اللين إلى محيط الصوت الساكن الذي نسميه (الياء) . فالفرق بين الياء وصوت اللين (i) هو ان موضع اللسان مع الأولى أقرب إلى الحنك الأعلى ، والفراغ الذي بين اللسان والحنك معها أضيق منه في حالة صوت اللين (i)؛ ويترتب على هذا اننا نسمع بعض الحفيف مع الياء (١) .

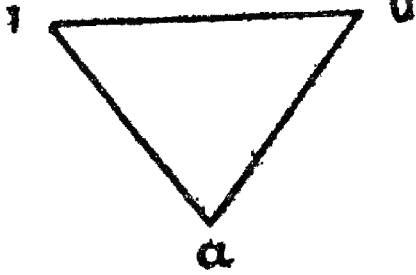
وتكون المقياس الثاني بأن هبط اللسان الى أقصى ما يمكن ان يصل إليه في الفم بحيث يستوى في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك فتحدد لنا بهذا مقياس آخر يرمز اليه عادة بالرمز (a) وهو ما يشبه الفتحة المفخمة في اللغة العربية (٢) وبين أقصى ما يصل اليه اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى وأقصى ما يصل إليه في هبوطه بقاع الفم استنبط المحدثون أربع مراحل عند كل منها يتكون صوت لين فاللسان في هبوطه من موضع (i) الى موضع (a) يمر بمواضع ثلاثة رمز لها

(١) انظر the phonetics of arabic p. 32

(٢) الاصوات اللغوية ص ٢٣ . وانظر The phonetics of arabic p. 4

بالتدريج . (ase) (١)

وقد اتخذ علماء الاصوات المحدثون ثلاث مراحل أخرى تلي الصوت (a) ناظرين في هذه المرة الى نسبة صعود أقصى اللسان نحو الحنك ، فآخر ما يصل إليه أقصى اللسان في صعوده نحو أقصى الحنك ليكون الفراغ بينهما من السعة لا يحدث الهواء



أي نوع من الخفيف هو المقياس الأخير لأصوات اللين ، وهو ما يرمز إليه بالرمز (u) وهو الذي يشبه الضمة المرققة في اللغة العربية (٢) .

وعلى هذا تكون (u) و (i) و (a) هي الأصوات المتطرفة الأساسية ويمكن رسمها على صورة مثلث مقلوب رأسه الأسفل a وقاعدته u و i وترتب الاصوات اللينة الأخرى على الجانبين (a'i) و (a'u) (٣) .

ويرمز لأصوات اللين التي بين o و u بالرمزين الآتين على الترتيب : oa .

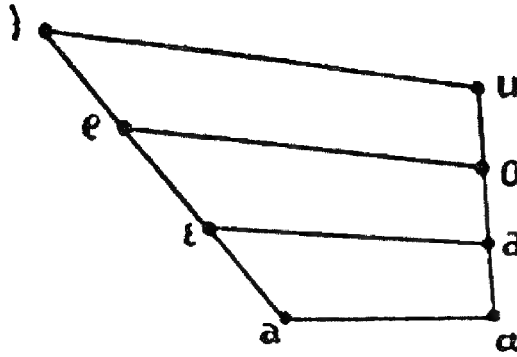
وبهذا يتكون لنا ثمانية مقاييس تبدأ بصوت اللين i وتنتهي بصوت اللين (u) وتوضع عادة مدرجة في شكل كالآتي (٤) .

(١) The phonetics of arabic p. 38 . واقرأ الرموز من اليمين

(٢) الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ص ٣٤ .

(٣) The phonetics of arabic p. 38

(٤) كتاب الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ص ٣٤ و ص ٣٨ .
The phonetics of arabic



فما سماء القدماء
بالفتح هو أحد تلك
المقاييس ، فإذا قيس
الفتحة العربية بمقاييس
أصوات اللين وجدناها
قريبة الشبه بذلك

المقياس الذي يرمز اليه بالرمز a ولكنها لا تنطبق عليه تمام الانطباق (١) .

ويقول Gairdner ان «a» العربية اكثر قرباً من الصوت الممثل في

الرمز الدولي a (٢) .

والإمالة عند القدماء لها درجات كما ذكرنا من قبل ، وهذه الدرجات
بين الفتح الذي يرمز اليه في الرمز الدولي بـ a والكسر الذي يرمز اليه
(بالرمز الدولي i) ويمكن ان يكون الرمز الدولي (e) للإمالة
الشديدة وهي القريبة من الكسر ، والرمز (E) للإمالة الخفيفة وهي القريبة
من الفتح المرموز اليه بـ æ

واللسان مع a ينخفض حتى يصير مسطحا في الفم (٣) على حين
انه مع (i) يرتفع الى اقصى ما يصل اليه في صعوده نحو الحنك الأعلى .

وبين هذين الوضعين تتكون الدرجات الآتية : فتحة مرققة æ
وإمالة خفيفة (E) وإمالة شديدة (e) .

والشكل (١) يبين وضع اللسان في هذه المراحل التي بين

(١) ' (a) (٤) .

(١) كتاب الاصوات اللغوية ص ٤٣ .

(٢) The phonetics of arabic p. 37

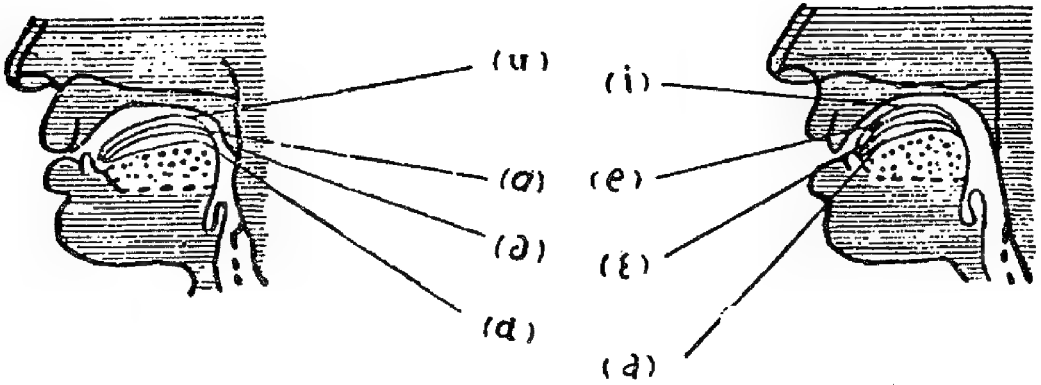
(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) انظر The phonetics of arabic p. 38 و ص ٣٥ من الاصوات اللغوية .

كما أن الشكل (ب) يبين وضع اللسان في المراحل التي بين (u' o) وهكذا يمتاز المحدثون في تناولهم لأصوات اللين وتفسيرهم لظاهرة الإمالة بهذه المقاييس الدولية العامة التي لا تقاس بها أصوات لغة واحدة بل يندرج تحتها أي صوت لين من أية لغة من اللغات .

(ب)

(٢)



كما يمتازون بهذه الرموز التي وضعوها معبرة عن أصوات اللين الأصلية ، وفروعها قصيرة كانت أو طويلة (١) .

وايضا بهذه الرسوم الموضحة شكل الشفتين وتأثيرهما مع كل مقياس (٢) ووضع اللسان في كل مقياس من هذه المقاييس . وأمدتهم الآلة فأمكنهم من تحديد الدرجة الصوتية لكل مقياس من هذه المقاييس ، وعرفت أعداد الذبذبات في الوترين الصوتيين مع كل منها . كما مكنتهم من تسجيل مقياس الصوت على أسطوانات حفظت في تحديد دقيق هذه المقاييس .

والحق أن القدامى لم يألوا جهدا بقدر ما وسعتهم الطاقة في تحديد هذه الأوضاع ، والتنبيه عليها بطريق التعبير .

(١) توضع نقطتان امام كل رمز خاص بصوت من اصوات اللين للفرقة بين صوت اللين الطويل والقصير فالرمز a للقصير و : e للطويل وهكذا .
(٢) انظر The phonetics of arabic ص ٣٢ وما بعدها .

فهم يقولون مثلا : التفخيم نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف ،
والإمالة المتوسطة حقها أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط ، والإمالة
الشديدة •

والإمالة الشديدة حقها أن تقرب الفتح من الكسرة والألف الساكنة
من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه ^(١) إلى نحو ما جاء في
كتاب النشر وغيره من كتب النحو والقراءات ^(٢) •

ولا يزال الطلبة المجودون للقرآن يوصيهم شيوخهم عمليا بملاحظة
حركة اللسان والشفاه عند النطق بالفتح والتفخيم والترقيق والإمالة •

وهناك فرق ظاهر بين وصف القراء لظاهرة الإمالة ووصف المحدثين
لها ، فالقراء يسهون على المعيب وغير المعيب في أداء الفتح والإمالة ، على
حين ان المحدثين يصفون هذه الظواهر ويسجلونها معترفين بها جميعا من
غير تفريق •

(١) من الموضح للداني ص ٦ ورقة ٢٤ •

(٢) انظر مثلا ج ١ ص ٢٠٥ وما بعدها من النشر •

مناقشة القدامى في تعاريف الإمامة
على ضوء نظرة المحدثين

بعد أن بينا سبيل كل من النحاة والقراء في تعريف الإمالة ، وحرص القراء على مادة « قرب » ، وظهور مادة (نحا) عند النحاة ومسلك هؤلاء وهؤلاء في التحدث عن درجات الإمالة ، نبدأ في مناقشة تعاريف النحاة والقراء للإمالة بوجه عام ، فقد وقع بعض من هؤلاء وهؤلاء في خلط واضح أبعدهم عن التحقيق الدقيق .

وقبل الأخذ في مناقشة هذه التعاريف تقدم الحقائق الآتية :

إن الفرق بين الفتحة والالف اللينة ، وبين الكسرة والياء اللينة لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية ، فالالف اللينة هي فتحة طويلة ، والياء اللينة كسرة طويلة كذلك . فكيفية النطق بالفتحة ، وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى الالف اللينة مع ملاحظة فرق الكمية بينهما^(١) .

وهذا هو الذي لحظ الأقدمون من النحاة ، وقد أشار الى ذلك سيبويه في الكتاب ، اذ يقول « أمالوا المفتوح كما أمالوا الألف » ؛ لأن الفتحة من الألف وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء^(٢) .

وابن جني يقول : « اعلم أن الحركات أبعاض لحروف المد واللين وهي الألف والواو والياء ، فكما ان هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث

(١) انظر ص ٤٠ الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس وانظر ص ٣٨ من :
The phonetics of arabic

(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ .

وهي الفتحة والكسرة والضمة ، وقد كان متقدمو النحاة (رحمهم الله تعالى) يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة ، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توائم كوامل قد تجدهن في بعض الاحوال أطول وأتم منهن في بعض ، وذلك اذا وقعت بعدهن الهمزة والحرف المدغم ، نحو « يشاء ذابة » وهن في كلا الموضعين يسمين حروفا كوامل ، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغيرة بأبعد في القياس منه . ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه إلا أن هذه الحروف التي يحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن : لأنهن مدات والمدات لا يحركن أبدا » (١) .

ويشير إلى هذه الحقيقة بعض النحاة والقراء من المتأخرين إذ يقول : « الفتحة من الألف (٢) ، والكسرة من الياء (٣) ، وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ؛ لأن الحركات والحروف أصوات ، وإنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفا ، والضعيف حركة ، وإن كانا في الحقيقة شيئا واحدا (٤) .

وهناك حقيقة أخرى يجب ضمها الى الحقيقة السابقة ، وهي ان الامالة في المفتوح ذات شعب ثلاث .

(١) ما كانت في نحو كتاب ، وعالم ، وطاب ، وهدي ، وربا ، وهنا تمال ألف المد فتصبح مشوبة بالكسرة .

-
- (١) سر صناعة الاعراب نسخة خاصة ملك الاستاذ ابراهيم مصطفى .
 (٢) شرح الفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٤ وانظر الموضح للداني ورقة / ٢٤
 (٣) الموضح للداني ورقة ٢٤ .
 (٤) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٤ .

(ب) ما كانت في نحو رحمة ، وهي إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف فتصبح الفتحة مشوبة بالكسرة .

(ج) ما كانت في نحو : من الكبر وهي إمالة ما قبل الراء ، فتصبح الفتحة مشوبة بالكسرة .

ولا فرق بين النوعين الأخيرين والنوع الاول إلا في الكمية .

وبناء على هاتين الحقيقتين السابقتين نرتضي كل تعريف يتفق مع الحقيقة الأولى من أن الألف فتحة طويلة ، والياء كسرة طويلة . أو أن الفتحة ألف قصيرة . والكسرة ياء قصيرة كذلك ، على أن يشمل ذلك التعريف الأنواع الثلاثة السابقة للإمالة . فنحن نرتضي من تعاريف القدماء للإمالة :

(أ) تعريف مكّي بن أبي طالب في التبصرة (٥٤٣٧) .
« أن تقرب الألف نحو الياء »

(ب) تعريف الزمخشري في المفصل (٥٥٣٨) :
« أن تنحو بالألف نحو الكسرة »

(ج) تعريف ابن يعيش في شرح المفصل (٥٦٤٣) . عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به الى الياء .

(د) تعريف ابن الحاجب في الشافية (٥٦٤٤) أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة .

ولا نسلم في سهولة بالتعاريف الآتية :

(أ) تعريف ابن شامة (٥٦٦٥) من القراء :

أن تقرب الفتحة من الكسرة ، والألف من الياء .

(ب) تعريف أبي عقيل (٥٧٦٩) من النحاة :

أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .

(ج) تعريف ابن الجزري (٨٨٨٣) :

أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .

ونخطئ السيوطي (٨٩١١) في تعريفه الآتي :

أن تنحو جوازا بالألف نحو الياء « جمع الجوامع » ولو اقتصر على ذلك التعريف لكان مصيبا ؛ إذ يحتمل أن يكون المراد بالألف والياء في ذلك التعريف الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة — كما يحتمل أن يكون المراد بهما شيئا آخر غير الفتحة والكسرة الطويلتين وهو ما يسمونه بالألف والياء ، ولكن السيوطي نفسه جاء في (همع الهوامع) فحدد المراد بالألف والياء وهو تحديد تنفيه ولا نرتضيه ؛ إذ جعل الألف والياء شيئا آخر غير الفتحة والكسرة الطويلتين وذلك إذ يقول في الهمع :

ولا يمكن أن ينحى بها « أي الألف — نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة » وعلى هذا التفسير لا يشمل تعريفه إلا نحو (هدى) ليس إلا .

وإنما ارتضينا تعريف مكّي في تبصرته ، والزمخشري في مفصله ، وابن يعيش في شرحه المفصل ، وابن الحاجب في شافيته ؛ لأن هذه التعاريف جمعاء شاملة للإمالة بأنواعها الثلاث ^(١) ، ولأنها تتفق مع الحقيقة التي قررها الأقدمون وارتضاها المحدثون في أن الألف — عند مكّي والزمخشري وابن يعيش يراد بها الفتحة القصيرة أو الطويلة ، وأن الياء عند مكّي ، وابن يعيش يراد بها الكسرة قصيرة أو طويلة كذلك ^(٢) .

أما النص على تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء فهو لا يتفق مع الحقيقة التي قررها الأقدمون ، وارتضاها المحدثون ؛ إذ فيه تفريق ظاهر بين الفتحة والألف والكسرة والياء ، مع أنهما في الحقيقة لا فرق بينهما ^(٣) .

(١) انظر الصحيفة السابقة .

(٢) هل كان هؤلاء الذين ارتضينا تعاريفهم يفسرون الألف والياء بما فسرناه ؟

(٣) انظر نصوص سيبويه وابن جني والداني السابقة .

على أنه إذا جارينا من اختار ذلك التعريف - في التفرقة بين الألف والفتحة ، والياء والكسرة - فإن النص على تقريب الفتحة من الكسرة ، والالف من الياء ، لا يشمل إلا حالة واحدة من حالات الإمالة فقط هي التي نحو « هدى »^(١) : وذلك إذا اعتبرنا ذلك التعريف وحدة متماسكة ، وهذا هو الظاهر من قول أبي حيان^(٢) : الإمالة أن تنحو بالالف نحو الياء ، فيلزم أن تنحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة ، فهذا التعريف صريح في إمالة نحو هدى فقط دون الحالتين الأخيرتين .

فإن اعتبرنا قولهم « وبالالف نحو الياء » مستقلا عن قولهم « بالفتحة نحو الكسرة » كان هذا التخريج شاملا لأنواع الإمالة الثلاث ، وكان يغني عنه الاقتصار على السطر الأول وهو « تقريب الفتحة من الكسرة » دون حاجة الى السطر الآخر الذي هو « وبالالف نحو الياء » .

ومن هنا اضطر ابن هشام الى أن ينص على هذه الحالات الثلاث نصا ظاهرا اذ قال في تعريف الإمالة :

« أن تذهب بالفتحة الى جهة الكسرة ، فإن كان بعدها ألف ذهبت الى جهة الياء كالفتي ، وإلا فالمال الفتحة وحدها كنعمة وسحر »^(٣) .

وتعريف ابن هشام كذلك يتيح لنا مناقشته ؛ إذ فرق بين الألف والفتحة ، فجعل هناك فتحة ، وجعل هناك ألفا ، وهما في الحقيقة ظاهرة صوتية واحدة .

وقوله « إن كان بعدها ألف ذهبت الى جهة الياء كالفتي شرط لا ضرورة له » وقوله وإلا فالمال الفتحة وحدها كنعمة وسحر نص لا فائدة

(١) انظر الحالة الاولى من الحالات الثلاث من قبل .

(٢) ارتشاف الضرب ص ٢٠٤ .

(٣) التوضيح ج ٢ ص ٢٥٠ .

منه ؛ لأن المال في كل الأحوال هو الفتحة وحدها ، غاية الأمر انها فتحة طويلة - أي الألف - في الفتى ، وفتحة قصيرة في نعمة وسحر .

والملاحظ أن المتقدمين من النحاة والقراء كانوا أدق تعريفا للإمالة من المتأخرين ، فهؤلاء منذ القرن السابع - على حسب الكتب التي فحصناها - حتى السيوطي ينصون في تعريف الإمالة - على الفتحة والألف - مفرقين بذلك بينهما ، ويظهر أنهم أرادوا بذلك النص صراحة على حالة الإمالة في نحو هدى ، فأضاع منهم الحاليتين الآخرين في نحو نعمة وسحر .

على أننا إذا أردنا تعريفا يتفق مع مذهب المتقدمين في عدم التفرقة بين الفتحة والألف كما يتمشى مع اتجاه المتأخرين من المحدثين أمكننا أن نرضى التعريف الآتي للإمالة : -

فهى « أن تقرب الفتحة قصيرة كانت أو طويلة الى الكسرة قصيرة أو طويلة كذلك » .

ومن هنا نقبل قول ابن منظور في كتابه لسان العرب : والإمالة هي التي بين الألف والياء (١) نحو قولك في عالم وخاتم عالم وخاتم (٢) .

وقد نقل ابن منظور (٥٧١١ هـ) عن بعض النحويين ما لا يتفق مع نصه السابق الذي ارتضيناه وذلك إذ يقول « واستعمل بعض النحويين الشوب في الحركات ، فقال أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف ، قال وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت ، فكما أن الحركة ليست بفتحة محضة ، كذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة . وهذا هو القياس ؛ لأن الألف تابعة للفتحة فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك

(١) أي القصيرتين أو الطويلتين

(٢) مادة مال في لسان العرب .

الألف اللاحقة لها أ ه^(١) . ونرى من نقل عنه ابن منظور قد جعل هناك فتحة وجعل هناك ألفا في نحو (عابد) مع أنها في الحقيقة شيء واحد .

وتفهم كلام سيبويه يجعلنا نطمئن الى النتيجة التي وصلنا اليها ، والتعريف الذي ارتضيناه ، ذلك لأن سيبويه لم يفرق بين الكسرة والياء في نصه الآتي الذي استغله القراء والنحاة من بعده في تعريف الإمالة : —

قال سيبويه « فالألف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذاقر وهابيل ، وإنما أملوها للكسرة التي بعدها ؛ أرادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي فكما يريد في الادغام ان يرفع لسانه من موضع واحد كذلك يقرب الحرف الى الحرف على قدر ذلك ، فالألف قد تشبه الياء فارادوا ان يقربوها منها^(٢) ونحن نوجه النظر الى عبارتين في ذلك النص تنتهيان بنا الى ان الكسرة عند سيبويه هي الياء قوله أولا : —

« أرادوا أن يقربوها منها » أي الألف من الكسرة ، ثم قوله ثانيا : —

« أرادوا أن يقربوها منها » أي الألف من الياء ، فهذا دليل على أنه لم يفرق بين الكسرة والياء .

كل ما نريد أن ننفيه في تلك التعاريف ما وقع فيه أصحابها من أن هناك فتحة وأن هناك ألفا في نحو كتاب وعالم وهدى . والحقيقة ان الفتحة لا وجود لها في هذه المواضع من الكلمات وأشباهاها فكل من التاء في كتاب والعين في عالم والذال في هدى محركة بألف المد وحدها .

ومن الإنصاف لسيبويه تقرير أنه لم يقع في مثل ذلك الخلط الذي وقع فيه النحاة من بعده ، وتتبع نصوص سيبويه يهدينا الى أنه لم يعترف

(١) لسان العرب (مادة شوب) ج ١ ص ٤٩٣ .

(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٥٩ .

بافتحة عند حديثه على الإمالة فيما كان فيه ألف المد ، واليك جدولاً يبين أمثلة سيويه ونصه على ما يمال فيها .

الأمثلة	ما يمال فيها
(١) عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل	الألف (١)
(٢) عماد	الممال الألف (٢)
(٣) الاسوداد	الممال الألف (٣)
(٤) معزى وحبل	الممال الألف (٤)
(٥) خاف وطاب وهاب	الممال الألف (٥)
(٦) كيال وياع	الممال الألف (٦)
(٧) في النجادين ومررت ببابه	أمالوا الألف (٧)

ثم انظر قوله هذا باب من امالة الالف يميلها فيه ناس من العرب كثير . (٨)

ذكر فيه امالة الالف في يريد ان يضربها ويريد أن ينزعها ، وفي مضربها ، وبها وبنا ، وبينها ، ويريد أن يكيلها ، ولم يكلها ، وليس شيء من ذلك تمال الفه في الرفع إذ قال هو يكيلها .

(١) ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٣) ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٦٠ .

(٥) ج ٢ ص ٢٦١ .

(٦) المصدر السابق ج ٢ الكتاب لسيويه ص ٢٦٠ .

(٧) ج ٢ ص ٢٦١ المصدر السابق .

(٨) ج ٢ ص ٢٦٢ المصدر السابق .

فلم يرد في هذه النصوص ذكر لإمالة الفتحة ، ومن هنا كان سيويه دقيقا في تعبيره ، ملتزما الطريق السوي في نصوصه ، متفقا مع المحدثين فيما أوردوا ولكن بعض القدامى لم ينتبهوا الى ذلك على النحو الذي رأيناه من قبل .

هذا واذا علمنا أن القراء لم ترد عنهم إمالة في نحو سحر ، وإنما أمالوا الألف في نحو طاب وهدى والأبصار ، وأمالوا الهاء وما قبلها في نعمة لشبهها بالألف كذلك ^(١) — اذا علمنا ذلك أمكننا أن نرتضي :

التعريف الآتي للقراء :

« الإمالة تقرب الألف حقيقة أو حكما (٢) من الياء :

قال الداني « واعلم ان الفتح والامالة وبين اللفظين في جميع ما قدمناه في كتابنا هذا إنما تكون هذه الثلاثة في الألف ، ولا يتوصل الى ذلك فيها إلا ان يبدأ بذلك في الحركة التي قبلها ؛ لكي تتبعها الألف فيه كما تقدم، لأن الألف صوت لا معتمد له في الفم ، وإنما تديرها الحركة التي قبلها وتتبعها، ألا ترى أنك اذا فتحت ما قبلها صارت ألفاً كقولك آ آ . فهذا حكمها حيث وقعت ^(٣) ، ويتفق معه مكِّي في التبصرة اذ يقول: « اعلم أن الإمالة إنما تكون في الألف ومعناها هو أن تقرب الألف نحو الياء » ^(٤) .

(١) انظر الموضح ص ٣١٥ .

(٢) حقيقة كما في هدى وحكما كما في نعمة

(٣) الموضح للداني ورقة ٦٢ .

(٤) التبصرة لمكي ص ٩٦ .

الفصل الرابع

الفتح والامالة أيهما الأصل

ما المراد بالإصالة ؟ وما المراد بالفرعية ؟ ٤٠٠ لم يفسر القدامى من النحاة والقراء المراد من هذين اللفظين في باب الإمالة ، ولكنهم أصدروا أحكامهم عن الفرعية والأصالة في كل من الفتح والإمالة من غير تعرض لشرح المراد من هذين اللفظين . فلم يعد أمامنا إلا الاتجاه إلى كتب اللغة نستوضحها المراد من هذين ، ثم نتبع كتب النحاة والقراء لتتعرف الرأي في أصالة الإمالة أو فرعيتهما . متخيرين كتابا على الأقل من كل قرن . على النحو الذي اتبعناه من قبل في التحدث عن درجات الإمالة واسماؤها عند النحاة والقراء .

جاء في القاموس مادة فرع « فرع من هذا الأصل مسائل جعلها فروعه فتفرعت » (١) وليس في مادة (أصل) في القاموس ما يعيننا على تفهم المراد من الأصل في موضوع بحثنا (٢) .

فالمفهوم من كلمة الأصل في قولنا الفتح أصل والإمالة فرع مثلا أن الفتح نطق به أولا ، وكان النطق به سابقا على النطق بالإمالة ، وذلك ما

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ٣ ص ٦٢ مادة فرع .

(٢) انظر لسان العرب وغيره من المعاجم .

يشير إليه صاحب المبهج في كلامه إذ يقول في معرض التدليل على أصالة
الفتح :

« ان التفخيم هو اللغة القديمة السابقة ، وان الإمالة هي اللغة الطارئة
اللاحقة » (١) .

أو أن الفتح أعم في كلام العرب وأكثر من الإمالة ، فكل ممال يجوز
فتحه (٢) ، وليس كل مفتوح تجوز إمالته، ثم لنبدأ في تتبع أقوال النحاة
والقراء في هذا الموضوع على الوجه الذي بيناه من قبل .

(١) المبهج ورقة ٧٣ مصور بدار الكتب .
(٢) ص ٨٠ من كتاب الكشف عن علل القراءات وحججها وورقة ٧٣ من المبهج
وابن الجزري في النشر، ثم انظر ج ٩ ص ٥٤ شرح المفصل لابن يعيش .

المؤلف	سنة وفاته	أنحوي هو أم قارئ	النصوص التي أوردها خاصة بإصالة الفتح أو الإمالة
سيبويه في الكتاب	١٨٣ هـ	نحوي	لم يتعرض سيبويه في (الكتاب) لهذا الموضوع نصاً - ولكنه قال (١) : الأصل في فاعل أن تنصب الألف ولكنها تمال لما ذكرت لك من العلة - ألا تراها لا تمال في (تابل) فلما كان ذلك الأصل تركوها على حالتها في الرفع والنصب وقد نقل صاحب المبهج عن سيبويه « أن الفتح هي اللغة القديمة السابقة (٢) » . أورد له الداني في كتابه الموضح ما ينص على أن الأصل هو التفخيم (٣) .
أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتابه القراءات	٢٢٣ هـ	قارئ	الحجة لمن فخم أنه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذي كان له؛ لأن الأصل التفخيم، والإمالة فرع عليه (٤) .
ابن خالويه في الحجة	٣٧٠ هـ	قارئ	الفتح في نحو مجراها هو الأصل (٥) .
أبو علي الفارسي في الحجة	٣٧٧ هـ	قارئ	أعلم أن أصل الكلام كله الفتح والإمالة تدخل في بعضه - في بعض اللغات لعل - والدليل على ذلك جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائزه وليسست الإمالة بداخله إلا في بعضه في بعض اللغات لعل ، والأصل ما عم وهو الفتح (٦) .
مكي بن أبي طالب في الكشف	٤٣٧ هـ	قارئ	قال : « والفتح عند علمائنا الأصل ، والإمالة فرع داخل عليه » ثم ساق أدلة خمسة على ذلك، وسناقش هذه الأدلة فيما بعد بعد إيرادها (٧) .
الداني في الموضح	٤٤٤ هـ	قارئ	لم يتحدث عن الفرعية أو الإصالة في الفتح أو الإمالة .
الزمخشري في الفصل	٥٤٨ هـ	نحوي	

- (١) المبهج ورقة ٧٣ .
(٢) ج ١ ص ٣ الحجة .
(٣) ج ١ ص ٨٠ .
(٤) ج ١ ص ٨٠ .
(٥) ج ١ ص ٨٠ .
(٦) الكشف ص ٨٠ .
(٧) الموضح ورقة ٢٣ .

- (١) ج ٢ ص ٢٦٨ .
(٢) ورقة ٢٣ من المبهج .
(٣) الحجة ج ١ ص ٣٥٨ .
(٤) الموضح ورقة ٢٣ .

المؤلف	سنة وفاته	أنحوي هو أم قارئ	انصوص التي اوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
سبط الخياط البغدادي في المبهج	٥٤١ هـ	قارئ	التفخيم هو الاصل والإمالة فرع عليه لان التفخيم هو اللغة القديمة السابقة والإمالة هي اللغة الطارئة اللاحقة واستدل بالحديث « وان القرآن نزل بالتفخيم » وكل ممال يجوز فتحه والفتح يطرد في الجميع (١) .
ابن الانباري في اسرار العربية	٥٧٧ هـ	نحوي لقوي	والإمالة فرع عن التفخيم والتفخيم هو الاصل بدليل ان الإمالة تفتقر الى اسباب توجبها .
السخاوي في جمال القراء	٦٤٣ هـ	قارئ	الإمالة والتفخيم لغتان وبجميع ذلك نزل القرآن وليس بعض القراء بذلك اولى من بعض ولم يزل ثقل ذلك متواترا من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل الينا (٢) .
ابن يعيش في شرح المفصل	٦٤٣ هـ	نحوي	التفخيم هو الاصل والإمالة طارئة ، ويبرهن على ذلك بقوله « والذي يدل على ان التفخيم هو الاصل انه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز امالة كل مفخم ، وايضا فان التفخيم لا يحتاج الى سبب ، والإمالة تحتاج الى سبب (٣) .
ابن الحاجب في الشافية	٦٤٤ هـ	نحوي	لم يتحدث عن الفرعية أو الاصالة في الفتح أو الإمالة .
الرضي في شرح الشافية	٦٨٨ هـ	نحوي	لم يتحدث الرضى شارح الشافية عن اصالة الفتح أو الإمالة ، ولكنه اورد في كلامه ما يدل على ان الاصل الفتح ، وذلك اذ يقول « وكل موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز ذلك الفتح (٤) » وهذا قريب من كلام ابن يعيش في المفصل .

(١) المبهج ورقة ٧٣ .

(٢) جمال القراء باب الإمالة .

(٣) شرح المفصل ج ٩ ص ١٥٤ .

(٤) شرح الشافية ص ٥ .

المؤلف	سنة موته	أنحوي هو ام قارىء	النصوص التي اوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
الجعبري في شرح الحرز	٧٣٢ هـ	قارىء	قال الجعبري « الاصل الفتح لعدم توقفه على أمر زائد . . والإمالة فرعية » ثم عاد يقول « وقول الناظم : باب الفتح أي فتح الصوت لا الحركة وبدأ به لأصالة (١) » .
أبو حيان في الارشاف ابن القاصح في شرح الشاطبية	٧٤٥ هـ	نحوي	لم يتحدث أبو حيان عن الفرعية أو الإصالة في الفتح أو الإمالة .
	٨٠١ هـ	قارىء	قال في شرح الشاطبية . والفتح ضد الإمالة ، وقدمه لأنه الاصل والامالة فرع عنه ، فكل ممال يجوز فتحه ، وليس كل ما يفتح يجوز امالته ، لأن الإمالة لا تكون الا لسبب من الاسباب (٢) .
ابن الجزري في النشر	٨٨٣ هـ	قارىء	حكى ابن الجزري آراء من تقدّمه في ذلك الموضوع فقال « وقد اختلف ائمتنا في كون الإمالة فرعا عن الفتح ، أو أن كلا منهما أصل براه مع اتفاقهم على انهما لفتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن ، فذهب جماعة الى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر . . . وكما انه لا يكون امالة الا بسبب فكذا لا يكون فتح ولا تفخيم الا بسبب قالوا ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الإصالة وقال آخرون : ان الفتح هو الأصل ، وان الإمالة فرع بدليل ان الأمالة لا تكون الا عند وجود سبب من الاسباب ، فان فقد سبب منها لزم الفتح ، وان وجد شيء منها جاز الفتح والامالة . فما من كلمة تمال الا وفي

(١) ورقة ١٢٠ شرح حرز الاماني للجعبري . / ٦١٢ قراءات دار الكتب .

(٢) شرح الشاطبية ص ١١٦ .

المؤلف	سنة وفاته	أنحوي هو أم قارئ	النصوص التي أوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
تابع ابن الجزري			<p>العرب من يفتحها ، ولا يقال كل كلمة تفتح ففي العرب من يميلها . قالوا فاستدللنا باطراد الفتح ، وتوقف الإمالة على أصالة الفتح ، وفرعية الإمالة . قالوا وايضا فان الإمالة تصير الحرف بين حرفين بمعنى ان الالف الممالة بين الالف الخالصة والياء ، وكذلك الفتحة الممالة بين الفتحة الخالصة والكسرة والفتح يبقى الالف والفتحة على اصلهما . قالوا : فلزم ان الفتح هو الاصل والإمالة فرع . ثم قال : قلت (أي ابن الجزري) ولكل من الرايين وجه وليس هذا موضع الترجيح (١) .</p> <p>وهكذا حكى ابن الجزري حجة من يقول باصالة الفتح وفرعية الإمالة . وحجة من يقول باصالة كل منهما دون ان يبين رايه الخاص في هذه المسألة .</p> <p>وكلامه في موضع آخر لا يحدد موقفه من هذه المسألة تحديدا واضحا اذ يقول : « ان اللسان يرتفع بالفتح ، ويتجدد بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ؛ فلهذا أمال من أمال .</p> <p>وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح امتن أو الاصل (٢) وان كانت عبارته الأخيرة من هذا النص تشير إلى انه يرى أصالة الفتح . وهو في كتابه منجد المقرئين يرى أصالة كل من الفتح والإمالة وذلك اذ يقول : « الإمالة والتفخيم لفتان ليست</p>

(١) النشر ج ٢ ص ٣٢ .

(٢) النشر ج ٢ ص ٣٥ .

المؤلف	سنة وفاته	انحوي هو أم قارئ	النصوص التي أوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
السيوطي في الاتقان	٩١١ هـ	قارئ	أحدهما أقدم من الأخرى ، بل نزل القرآن بهما جميعاً . تقل كلام من قبله (أكثره معتمد على ابن الجزري) إذ يقول : واختلفوا . هل الإمالة فرع من الفتح ، أو كل منهما أصل برايه ووجه الأول أن الإمالة لا تكون إلا لسبب فإن فُقدَ لزم الفتح ، وإن وُجدَ جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تعال إلا في العرب من يفتحها ، فدل أطراد الفتح على أصالته وفرعيتها (١) . لم يتحدث في جمع الجوامع ولا شرحه الهمع عن هذه المسألة (٢) . جاء في شرح الفية ابن مالك للأشموني « وأما أهل الحجاز فيفخمون بالفتح وهو الأصل » وقال من قبل ذلك : « كل معال يجوز فتحه » وهي قضية يذكرها من يرى أصالة الفتح وفرعية الإمالة (٣) .
السيوطي في الجمع وشرحه الهمع	٩١١ هـ	نحوي	
الأشموني في شرح الآلفية	٩٢٩ هـ	نحوي	

- (١) الإتقان ج ١ ص ١٤ .
(٢) جمع الجوامع والهمع ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٣) شرح الأشموني ج ٤ ص ٢٠٧ .

ملاحظات

يتبين من العرض السابق ما يأتي : —

(١) الحديث في إفاضة مقصودة عن أصالة الإمامة أو فرعيتها عن الفتح إنما هو من صنيع القراء لا النحاة ، فلم يتحدث قصداً في ذلك الموضوع سيويه في كتابه (١٨٣ هـ) ولا المبرد في مقتضبه (٢٨٥ هـ) ولا أبو القاسم الزجاجي في جملة (٣٤٠ هـ) ولا الزمخشري في مفصله (٥٣٨ هـ) ولا ابن الحاجب في شافيته (٦٤٤ هـ) ولا أبو حيان في ارتشافه (٧٤٥ هـ) ونرى السيوطي (٩١١ هـ) في الإتيان يتحدث عن هذه المسألة على حين أنه في الجمع والهمع لا يتحدث ، فهو في الأول قارئ وفي الآخر نحوي . وهذا هو ما لحظه جريرت في كتابه الإمامة (١) حيث نسب هذا الخلاف في أصالة الإمامة أو فرعيتها إلى القراء ولم ينسبه إلى النحاة .

(٢) إن أول من تحدث في هذا الموضوع من القراء — على حسب الكتب التي فحصنا — أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه القراءات (٢٢٣ هـ) ثم ابن خالويه (٣٧٠ هـ) في كتابه الحجة ، وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) (٢) . وجاء من بعدهم مكي (٤٣٧ هـ) والداني (٤٤٤ هـ) .

(٣) إن الحديث في هذه المسألة اتخذ صورة واضحة في كتاب

(١) ص ٣٤ Die imala

(٢) كل من ابن خالويه وأبي علي الفارسي نحوي قارئ ، ولكنهما في كتابهما الحجة قارئان نحويان .

الموضح للداني (٥٤٤٤) حيث احتج لأصحاب الفتح ، ثم احتج لأصحاب الإمامة مستندا في ذلك الى أحاديث أسندها ، ثم الى علل أوردها . وسناقش الداني فيما أورده في ختام هذا الفصل .

(٤) إن الذي دفع القراء - في رأينا - الى التحدث في ذلك الموضوع أحد أمور ثلاثة :

١ - ما رواه زيد بن ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم « من أن القرآن نزل بالتفخيم » ، فدفعهم ذلك الى القول بأصالة الفتح ، وفرعية الإمامة ، واحتج أبو عبيد القاسم بن سلام بهذا الحديث في اختياره الفتح وتغليب إياه بذلك على الإمامة (١) .

وقد كره قوم الإمامة - كما يقول السيوطي - لهذا الحديث (٢) ، ولكن الذين ينتصرون لها يؤولون المراد بالتفخيم - الغلظة والشدة والتعظيم والتبجيل ، وتحريك أوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المختلفة فيها دون إسكانها (٣) .

أو معناه يقرأ على قراءة الرجال لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء (٤) .

ب - تعرض القراء لتعليل الفتح في أمثال « طارد وماد ومارج » التي أمالها النحاة ولم يملها القراء ، فاستغل القراء القول بأصالة الفتح ، واتخذوا القاعدة الأصولية سنداً فقالوا « ما جاء على أصله لا يسأل عن سببه » (٥) .

ج - اختلاف مذاهب القراء في الفتح والإمالة ، فكان طبيعياً أن يتحدثوا عن الأصالة أو الفرعية في كل منهما .

(١) الموضح ورقة ٢٤ .

(٢) الاتقان ج ١ ص ١١٧ .

(٣) الموضح للداني ورقة ٢٤ .

(٤) الاتقان للسيوطي ص ١١٧ .

(٥) الكشف في علل القراءات وحججها لمكي بن أبي طالب ج ١ ص ٩٦ .

(٥) إن النمو الملحوظ في هذا الموضوع إنما هو في التعليل لأصالة الفتح أو الإمالة ، وإن هذا النمو يبلغ أقصى مراحل عند الداني في كتابه الموضح ، وقد اعتمد القراء بخاصة وبعض النحاة - على الداني في موضحه ، فأخذوا بعض العلل ، وتركوا الأخرى كما فعل ابن يعيش وابن الجزري (١) .

ومن المناسب أن نبين هنا أن بعض القراء لهم أقوال متضاربة في هذا الموضوع ، فقارئ مثل مكّي بن أبي طالب يحكم بأصالة الفتح وفرعية الإمالة في كتابه الكشف في صدر كلامه عن علل الفتح والإمالة ، وما هو بين اللفظين (٢) ، ولكنه عندما يتكلم في أقسام العلل نراه يقول : -

« اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث: وهي الكسرة وما أميل ليدل على أصله ، والإمالة للإمالة ، والذي يهمننا من هذا النص هو قوله وما أميل ليدل على أصله ، ثم نراه بعد ذلك يعلل لامالة جاء وشاء بأربع علل ، ويذكر العلة الثانية « أن الالف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء فيهما » ، وبمثل هذه العلة يعلل للإمالة في بقية الأفعال الجوف التي أمالها حمزة ما عدا خاف ، فانه يقول معللاً إمالتها: « أن عين الفعل منها أصله الكسر » .

على أنه في الامكان أن نظفر بحالة ثالثة عند مكّي ذكر أن الإمالة أصل فيها وذلك في الأفعال « قضى ورمى وسعى » إذ يقول « إن قضى ورمى وسعى » إنما كتبن بالياء ؛ لأن أصل ألفهن الياء (٣) .

وفي موضع آخر نرى مكّي يحكم بالأصالة للفتح في ما رد وطارد وشارب وبارد ومارج ونحوه « فيقول » ما بال أهل الإمالة - يقصد من

(١) ينظر كلام الداني في آخر الفصل ويوازن بينه وبين ما أورده سابقاً من كلام ابن يعيش في شرح المفصل وابن الجزري في النشر :

(٢) الكشف ج ١ ص ٨٠ .

(٣) الكشف لمكّي بن أبي طالب ج ١ ص ٩٢ .

القراء - لم يميلوا مارد وطارده...، فالجواب انهم عدلوا الى الفتح في ذلك
لانه الاصل ، ولأن ما أتى على أصله يجب ألا يقال فيه لم أتى على أصله ،
والفتح هو الأصل لكن لم ترد عن أحد من القراء علمته (١) .

وعلى هذا نستطيع أن نفهم رأي مكي بن أبي طالب فيما يختص
بالأصالة والفرعية على النحو الآتي : -

ا - ما كان له أصل يائي فالامالة فيه هي الأصل والفتح فرع منها .
ب - ما كانت فيه كسرة لاحقة أو سابقة للالف فالفتح هو الأصل
والامالة فرع عنه .

وهذا الذي استتجنه من كلام مكي يتفق مع المخطوطات الكوفية
القديمة قال « جرنيرت » في كتابه الامالة ما ترجمته « نجد في بعض
مخطوطات كوفية قديمة كل القدم ان - ي التي هي لام الفعل الفعل كرمي ،
وفي بعض صيغ الاشتقاق (تداعى) مكتوبة بشكل - ي وليس هناك من
تعليل لهذه الظاهرة إلا قدم نطق رمى بالامالة عنه مفتوحا (٢) .

كما يتفق مع ما انتهى اليه الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه اللهجات
العربية (٣) اذ قال : -

« في مثل الفعلين باع وقال ، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر
كان ينطق بها « بيع وقول » ثم تطور الصوت الأول « أ a » الى « e : »
والصوت الثاني « au » الى « o : » أي أن فتحة فاء الكلمة في الفعل الاول
قد أميلت الى الكسرة ، وأنها في الفعل الثاني قد أميلت الى الضمة ثم قال
بعد ان نقل عن ابن جني أنواع الامالة : -

(١) الكشف ج ١ ص ٩٦ واقول ان الامالة في هذه الكلمات قد رواها قتيبة عن
الكسائي .

(٢) ص ٧ ، ص ٩ من كتاب الامالة لجرنيرت .

(٣) ص ٤٧ وما بعدها من كتاب اللهجات العربية .

« أشهر أنواع الامالة إمالة الفتح الى الكسر » وهذا النوع هو المراد بالامالة حين تطلق في كتب القراءات واللغة ، وعلى هذا اذا قيل لنا إن من أسباب إمالة ألف المدّ كون أصلها ياء كما في باع وجب أن نفهم من هذا ان الأصل اليائي قد تطور أولا الى الامالة ، ثم تطورت الامالة الى الفتح أي ان المراحل التي مر فيها مثل هذا الفعل باع هي : -

(بيع) ثم (إمالة) ثم (فتح)

فالصوت المركب « ai » قد تطور أولا الى « e » ثم الى « a » تلك هي المراحل التي تبرزها القوانين الصوتية ، والتي لها نظائر في اللغات الأخرى ، ولذلك نستطيع أن نرجح ان بعض الكلمات العربية التي اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولا الى إمالة ثم الى الفتح ، فالاصل إذن في مثل هذه الكلمات هو الامالة وقد تفرع الفتح عنها .

أما نحو « مارد وطارد ... » فالامالة فيه فرع عن الفتح « وذلك لأن الانسان الاول كان ينفق مجهودا عضليا أكثر مما ينفقه الانسان المتحضر فهذا الاخير مال الى السهولة في النطق ، والاقتصاد في الجهد العضلي ، ومن هنا تطور النطق (بمارد) واشباهها من الفتح الى الامالة ، اذ ان الانتقال من الفتح ثم الى الكسر في (مارد) أو بالعكس كما في كتاب يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض بأن تصبح متشابهة « لأن حركة الامالة أقرب الى الكسرة منها الى الفتحة » (١) « اذ ان الفتحة - طويلة أو قصيرة - تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة طويلة أو قصيرة تطلب أسفله وأدناه فتتافرا ، فلما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسر ... فصار الصوت بين بين ، فاعتدل الامر بينهما ، وزال الاستتقال الحاصل بالتنافر فاعرفه » (٢) .

(١) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ص ٤٨ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٥ .

وهكذا تجد ان الانسجام الصوتي ، والاقتصاد في المجهود العضلي ،
كان سببا في التطور من الفتح الى الامالة في مثل هذه الكلمات • مارد -
طارد - عالم - كتاب • الخ •

كما كان الانسجام الصوتي سببا في الفتح مع حروف الاستعلاء في
نحو « صاعد وضامن وطائف وظالم وغائب وخامد وقاعد ، لأن هذه
الحروف منفتحة الخارج ، فلذلك وجب الفتح معها ، ورفضت الامالة فيها ،
فكانت ألفها منصوبة غير ممالاة لارادة تجانس الصوت (١) •

على أي حال كان اضطراب أقوال الأقدمين من القراء والنحاة في
إصالة الفتح أو الامالة (٢) • دليلا على انهم ادركوا ان الامالة أحيانا تكون
لها الاصالة دون أن يهتدوا الى تعليل يعتمد على أسس علمية صحيحة ،
وإنما عللوا بتلك العلل النحوية التي شغف بها النحاة زمنا والتي بدت
واضحة فيما كتبوا وألفوا •

على أنه ليس أحد منهم قال بفرعية الفتح واصالة الامالة ، وإنما الذي
حكى من اختلافهم في كتبهم : -

(أ) اصالة كل من الفتح والإمالة • (٣)

(ب) اصالة الفتح وفرعية الإمالة • (٤)

على ان نظرة المحدثين الى هذه المسألة تبين لنا كما تقدم اصالة الامالة
وفرعية الفتح في بعض الحالات ، كما تبين لنا اصالة الفتح وفرعية الامالة
في حالات آخر •

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٩ •

(٢) انظر ابراز المعاني ص ١٣٥ •

(٣) انظر ابن خالويه ج ١ ص ٣ والكشف ص ٨٠ والمبجج ص ١٢٩ والمفصل
ص ٥٤ ج ٩ و ابراز المعاني ص ١٣٥ وشرح الرضى على الشافية ص ٥
والنشر ج ٢ ص ٣٢ •

(٤) قد سبقت هذه العلل مع نصوصها •

وإذا كنا قد انتهينا الى هذه النتيجة فيجدر بنا أن نعرض للداني فيما أورده في كتابه الموضح من الأدلة على اصالة الفتح وفرعية الامالة ، وما أطلقه من ذلك من غير تقييد لحالات دون أخرى ، ومناقشتنا لأدلة الداني تغني عن مناقشة أدلة غيره ممن تعرض للكلام في اصالة الفتح أو الامالة ، اذ كان الداني كما قلنا يمثل أقصى مرحلة من مراحل النصوص في هذا الموضوع ، جعلته معلمة يأخذ منه من جاء بعده من القراء والمؤلفين •

وسنورد أدلته ثم نأخذ في مناقشتها واحدا واحدا : —

قال (رحمه الله) : والفتح عند علمائنا الأصل ، والامالة فرع داخل عليه وذلك بدلائل خمسة : —

(أحدها) ان كل حرف يمال جائز ان يفتح ابتداء ، ولا يجوز أن يمال إلا عند وجود سبب يدعو الى إمالة كالياء والكسرة ونحوهما مما سنأتي به إن شاء الله تعالى •

(والثاني) أن الامالة تجعل الحرف بين حرفين ، وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين ، وإنما الاصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصا غير مختلط بغيره •

(والثالث) ان إطلاق جميع النحويين القول بجواز رسم ما كان من ذوات الياء بالألف الذي الفتح منها — وإن لم يقع — فيه إشكال •

(والرابع) ان الكاتب اذا أشكل عليه الحرف فلم يدر أمن ذوات الياء هو أم من ذوات الواو رسمه بالألف لا غير •

(والخامس) أن الصحابة (رضوان الله عليهم) رسموا في المصاحف كلها الصلوة والزكوة والحبوة والنجوة وكمشكوة ومنوة الثالثة بالواو ، وأجاب عن ذلك النحويون قالوا : رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو فرسموها على ذلك ، ودل

هذا كله على أن الأصل هو الفتح . وإنما عدل عنه من اختار الإمالة من القراء والعرب رغبة في أن يتناسب الصوت ^(١) اه كلام الداني .

أما الدليل الاول فلا نسلم للداني به ، ذلك لأن الإمالة واجبة لا جائزة عند من هي في لغته ، فان قصد الداني ان كل حرف لا يمال عند قبيلة من القبائل فجائز أن يفتح عند قبيلة أخرى فذلك ما لا يؤيد الداني ، لأن محط الموازنة إنما يكون في القبيلة الواحدة لا بين القبائل المتعددة ، فلو ان قبيلة ما كان في لهجة أفرادها الإمالة ، فإنها تلتزم ذلك ولا تفتح لقول سيبويه « فان من يميل يلزمها - يقصد ناب ومال وباع - الإمالة على كل حال ^(٢) » وكذلك الحال في الفتح . وقول الداني « لا يجوز أن يمال الحرف إلا عند وجود سبب يدعو الى امالته كالياء والكسرة ... » لا ينهض دليلا على ما أراد من أصالة الفتح وفرعية الإمالة ، فكما أنه لا يكون إمالة إلا لسبب كذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب ، ووجود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة ^(٣) .

وأما قوله في الدليل الثاني ان الإمالة تجعل الحرف بين حرفين وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين ... الخ فانا نقول كذلك إن الألف المفخمة تجعل الحرف بين حرفين ^(٤) بين الألف الخالصة والواو - والداني يعترف بذلك في الدليل الخامس ^(٥) وكذلك الفتحة المفخمة بين الفتحة الخالصة والضممة . على أن الحروف وإن كانت عدتها ٢٩ فهناك حروف

(١) الموضح ورقة ٢٣ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) النشر ج ٢ ص ٣٢ .

(٤) شرح الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٣٥٥ ، شرح المفصل لابن يعيش و ج ١٠ ص ١٢٧ .

(٥) راجع دليله الخامس فيما قبل .

أخرى مستحسنة منها ألف الامالة ^(١) والتفخيم ^(٢) وقد عدها الصرفيون والنحاة متفرعة عن الألف الخالصة ، ولماذا لا يكون كل منهما أصلاً ؟ وقد رأينا في مقاييس أصوات اللين الدولية أن كل مقياس أصل قائم بذاته مع ان E, c ، بين a, i وأت a, o , a بين u , a ^(٣) ولو ملنا جـدلاً بفرعية ألف الترخيم فذلك ليس معناه فرعية لهجة الأماله وأصالة لهجة الفتح ، فهذان شيان مغايران كل المغايرة لفرعية ألف الترخيم أو اصلتها .

ولا نسلم بأن جواز رسم اليائي بالألف الذي الفتح منها دليل على أصالة الفتح ، فقد أجاز النحويون تشية الواوي بالياء في ربا وضحا فقالوا ريان وضحيان فهل معنى ذلك أن الأصل في مثل هذه الكلمات الياء ؟

وقول الداني (في الدليل الرابع) ان الكاتب اذا أشكل عليه الحرف فلم يدر أمن ذوات الياء هو أم من ذوات الواو رسم بالألف لا غير ، هذا أمر طبيعي أقرب الى طبيعة النطق ، فالواو مثل (دعا) بالألف لفظا وخطا واليائي مثل (رمى) بالألف لفظا وبالياء خطأ ، فاذا اختلط على الكاتب اللفظ والخط رجح بطبيعة الحال النطق المملفوظ به وهو الألف لا على ان ذلك رجوع منه الى الأصل ؛ بل لأن ذلك ما يتسق مع طبيعة النطق ، ومن هنا رسم بعض الكتاب على الجارة بالألف ^(٤) وليس لها أصالة في اليائية أو الواوية كما رسموا حتى في بعض المصاحف بالألف كذلك ^(٥) .

واحتجاه في (الدليل الخامس) يرسم الصحابة الصلوة ونحوها بالواو على أصالة الفتح منفي بما يأتي : -

« لا شك ان كتبة المصاحف كانوا حجازيين ، والحجازيون مأثور عنهم

(١) شرح الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ١٠ ص ١٢٥ .

(٣) انظر الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس ص ٣٤١ .

(٤) راجع اللوحة المصورة من المصحف الكوفي وسترده فيما بعد .

(٥) الموضح للداني ص ٥ وانظر المصاحف للسجستاني ص ١٤٠ .

الفتح والتفخيم ، فهم ان كتبوا الصلوة والزكوة والحبوة ... الخ بالواو فقد كان ذلك تأثرا منهم بلهجتهم ، ومطاوعة لألسنتهم ، ^(١) لا لكون الفتح أصلا والامالة متفرعة عنه ، فنحن متفقون مع الداني في التعليل لكتابة الصلوة ونحوها بالواو ، ومختلفون فيما يدل عليه ؛ فهو يتخذ ذلك دليلا على اصالة الفتح مطلقا ، ونحن نتخذه على فشو لهجة الفتح عند الحجازيين ، دون ان يكون لذلك أي أثر في اصالة الفتح أو فرعية الامالة ، ولو كان كتابة المصاحف من التميميين أو القيسيين أو الأسديين ^(٢) فهل كانوا يكتبون هذه الكلمات بالواو ؟

أغلب الظن أنهم كانوا يرسمونها بالياء متبعين في ذلك لهجتهم التي يلتزمونها في الامالة .

وأما قوله في نهاية الدليل الخامس : وإنما عدل عن الفتح من اختار الامالة ، رغبة في أن يتناسب الصوت ، فنحن نقول بدورنا أيضا إنما يعدل عن الامالة الى الفتح رغبة في أن يتناسب الصوت كذلك وهو ما سنعرض له بالشرح والبيان في فصل « فقه أسباب الامالة » ان شاء الله .

(١) سنعود الى رسم المصحف في بيان مفصل في فصل تال ان شاء الله
(٢) هذه القبائل من لهجاتها الإمالة .

الفصل الخامس

مَنْ يَمِيلُ مِنَ الْقَبَائِلِ وَمَنْ لَا يَمِيلُ

كم كان يود الباحث في موضوع كموضوعنا يتصل باللهجات العربية أن يتعرف هذه اللهجات المختلفة بالتفصيل ؛ حتى يستطيع أن ينسب كل قراءة تتصل بلهجة من اللهجات الى قبيلة من القبائل ، ويتعرف مدى دوران كل لهجة من هذه اللهجات المختلفة في القراءات ، ولكن الباحث لا يظفر من ذلك إلا بالقليل مما دوّن في بطون الكتب التي تعرضت - فيما تعرضت - للهجات القبائل ، وربما كان ذلك عرضا غير مقصود لذاته . وأهم ما يعين الباحث من هذا القليل المدون - في التعرف على هذه اللهجات - كتب اللغة كلسان العرب مثلا ، وكتب النحو كالكتاب لسيبويه ومن جاء بعده من النحاة، وكتب الأدب ككتاب «الكامل للمبرد» والبيان والتبيين للجاحظ ، وكتب التفسير كتفسير ابن جرير الطبري المسمى «جامع البيان في تفسير القرآن» والتفسير الكبير المسمى «بالبحر المحيط» لأبي حيان ، وكتب التاريخ كمقدمة ابن خلدون وتاريخ ولا سيما الجزء الاول منه ، ففي غضون هذه الكتب تعيين لبعض اللهجات التي ظهرت على الألسنة في القبائل العربية ؛ ومع ذلك إن الذي ذكر في هذه الكتب لا ينقح الغلة ، ذلك لأن العلماء في تدوينهم للغة ساروا جميعا على اعتبار «وحدة اللغة العربية» فلم يرجعوا الألفاظ التي جمعوها الى قبائلها ، ولم

يعنوا بـرد اللهجات على ألسنة المتكلمين بها، ولو فعلوا لظفرنا بالشيء الكثير من اللهجات المختلفة مردودة الى أصحابها معزوة اليهم ، ولأمكننا أن نكتب كتاب نحو اللهجات القديمة كاملا .

يقول أنو ليمان :

« لو روى العلماء القدماء كل ما يخص اللهجات ، وأضافوا اليه كل أسماء العشائر والتواريخ التي كانت تستعمل فيها اللغات لأمكننا أن نكتب كتاب نحو اللهجات القديمة كاملا ، ولكن ما يمكننا الآن هو اقتباس بعض اللغات واللغات من الأدب ومن شروح الأدب فقط (١) .

نعم ، جمع هؤلاء العلماء اللغة من القبائل العربية ، فورثنا عنهم كثيرا من المترادفات وكثيرا من الصيغ المختلفة للكلمة الواحدة غير منسوبة الى القبائل الناطقة بها ، فمن أمثلة المترادفات ما نقوله في معنى « قصير » مثلا . فابو عمرو بن العلاء ، والأصمعي ينقلان : « حنبل ، وحنبل » وابن الأعرابي ينقل « حنزاب وكهمس » والكسائي والفراء ينقلان « بحتر وحبتر » ، والليث وابن دريد يرويان « حنتار وحندل » (٢) فلم ينسب واحد من هؤلاء الجامعين الكلمة التي رواها الى القبيلة التي نقل عنها ، وهذه النقول المختلفة لمرادف « قصير » : (بحتر - حبتر) و (حنتار - حندل) وإن كان للغوي الحديث يستفيد منها فائدة ما ، فإن الباحث في موضوعنا لا يستفيد من معرفة هذه الألفاظ المرادفة لكلمة قصير ؛ لأن هدفه إنما هو معرفة القبائل التي استخدمت هذه المترادفات .

ومن أمثلة الصيغ المختلفة في بناء الكلمة الواحدة قول العرب « الصَّدَاق والصَّدَاق ، والصَّدُقة ، والصَّدُقة » وقولهم « الشَّمال ،

(١) بقايا اللهجات العربية في الادب العربي بقلم الاستاذ الدكتور انوليمان
فصلة من مجلة كلية الآداب ص ٤ .

(٢) فقه اللغة للثعالبي ص ٢٧ - طبعة مصطفى محمد .

والشَمَل ، والشَمَل ، والشامل والشَمَل (١) فهذه الثروة اللغوية على ما لها من فائدة في قرض الشعر مثلاً - لا تعرفنا أكانت هذه الصيغ أو بعضها لقبيلة واحدة أم كانت كل كلمة منها لقبيلة ، وعلى أي حال لا تعرفنا شيئاً عن أسماء القبائل التي استعملتها . ومن هنا أيضاً ورثنا للأسد خمسمائة اسم ، وللحجة مائتين (٢) ، وللعسل ثمانين (٣) وقد جمع حمزة بن حسن الاصفهاني من أسماء الدواهي ما يزيد على اربعمائة : وذكر ان تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي (٤) ١١٠٠٠ !!

والمهم عند جامعي اللغة أن يكون ما جمعه من كلام العرب بقطع النظر عن كونه كلام قبيلة بعينها (٥) فان الغرض الذي كانوا يسعون اليه من جمع اللغة هو خدمة الكتاب والسنة والوقوف على اسرارها ، ولم يكن في نسبة اللهجات الى قبائلها ما يزيد هذا الموضوع وضوحاً لديهم . . .

جاء في مقدمة ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨) لما جاء الاسلام وفارق العرب الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالقات التي للمستعربين . . . ففسدت بما ألقى اليها مما يغيرها لجنوحها اليه باعتياد السمع ، وخشي أهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم (٦) . . . ولما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب ، واستنبطت القوانين لحفظها ، ثم استمر

(١) الصاحبى لابن فارس ص ٣٨ - مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠ .

(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ١٨٩ - مطبعة صبيح .

(٣) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٢٤٢ .

(٤) فقه اللغة للثعالبي ص ٤٥٨

(٥) كثيراً ما نجد في كتب اللغة التعبير الآتي :

« من سنن العرب كذا وكذا - انظر ص ٥٦٤ وما بعدها من فقه اللغة

لثعالبي او العرب تقول كذا وكذا - انظر ص ٢٢١ من الصاحبى لابن

فارس وما بعدها ، وص ٥٧٩ من فقه اللغة للثعالبي .

(٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٦ - مطبعة مصطفى محمد .

ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات
الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ، ميلا مع
هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية - احتيج
الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين ؛ خشية الدروس
«وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمع كثير من أئمة اللسان
بذلك ، وأملوا فيه الدواوين ...» (١)

وقد نقل السيوطي في المزهري عن الفارابي في خطبته ديوان الادب ما
يؤيد ابن خلدون في رأيه اذ يقول (الفارابي) : « القرآن كلام الله
وتنزيله » فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم مما يأتون ويذرون ،
ولا سبيل الى علمه وادراك معانيه الا بالتبحر في هذه اللغة » (٢) .

حتى العلماء الذين رحلوا الى البادية يأخذون عن اعرابها لم تذكر كتب
أسماء القبائل التي رحلوا اليها ، فهذا ابو عمرو بن العلاء يقول « سمعت
أعرابيا يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها...» (٣) فمن ذلك الاعرابي ؟
والى أي قبيلة ينتسب ؟ لم يكن ذلك مهماً عند أبي عمرو بقدر أهمية ان
ذلك الكلام من كلام الأعراب .

وهذا يونس بن حبيب البصري يذكر عنه أبو البركات الانباري
(٥٧٥ هـ) « انه سمع من العرب » (٤) فمن هؤلاء الذين سمع عنهم يونس
ابن حبيب البصري ؟ لم يكن ذلك مهماً عند من روى اخبار يونس .
والذين نقل عنهم الانباري والخليل - وقد سأله الكسائي « من أين علمك
هذا ؟ » يقول « من بوادي الحجاز ونجد وتهامة » . فخرج الكسائي

(١) من المصدر السابق ص ٥٤٨ .

(٢) المزهري ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن البركات الانباري ص ٢١ - اخراج
جمعية احياء مآثر علماء العرب .

(٤) المصدر السابق ص ٣٢ .

وأثخذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه» (١)
 فلم يبين الخليل أي هذه القبائل الساكنة في بوادي الحجاز ونجد وتهامة ..
 بل هي معظم قبائل العرب ، فاجابة الخليل مبهمة لا تحدد قبيلة بعينها ، ثم
 يخرج الكسائي فينفذ خمس عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن العرب ،
 دون أن يبين النص هذه القبائل التي كتب عنها الكسائي .

ومن الحق أن نذكر ان جامعي اللغة لم يعينوا القبائل لا جهلا منهم بها
 ولكنهم تركوا ذلك ، لأنه لم يكن في حسابهم ، ولأن ذبوعها على السنة
 المتكلمين بها جعلها متعاورة بينهم . قال الصاحبى بعد ان ذكر اختلاف لغات
 العرب : « وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها لكن هذا موضع
 اختصار ، وهي إن كانت لقوم دون قوم إنما لما انتشرت تعاورها كل » (٢)
 فلم تعد اللهجات متميزة كل التمييز .

وإذا كان الباحث يلقي هذه العقبات في التعرف على اللهجات العربية
 بوجه عام فأمامه عقبات أكثر حين يبحث في موضوع الامالة ، ذلك لأن
 الامالة لهجة من هذه اللهجات التي لم تحظ بنسبها الى القبائل الناطقة بها
 إلا بمقدار يجيء في كتب النحو واللغة عرضا غير مقصود ، وتزيد على هذه
 اللهجات صعوبة في أنها لا يسهل تسجيلها في الرواية المكتوبة (٣) ، فمن
 العسير محاولة استطلاع شواهد بها امالة من مجموعات الشعر الغزيرة التي
 لدينا ، ومما يقلل الاهتمام بها انه لا يترتب عليها شيء من اللحن الذي كان

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) الصاحبى لابن فارس ص ٢٢ .

(٣) يقول الأستاذ ماتسون « وقام جدال كبير حول ما اذا كانت الامالة ترسم
 في الخط العربي بياء في آخر الكلمة ، ولكن لا يمكن القطع في ذلك برأي ،
 وان كان بروكلمان في كتابه (Grammatik, Grundriss) قال انها كانت
 ترسم كذلك ، ولا توجد في المخطوطات علامة خاصة بها ، اما في الكتب
 المطبوعة فيدل عليها عادة بالف تحت الحرف الممال (دائرة المعارف
 الاسلامية مادة امالة) وسنعرض فصلا خاصا لعلامات الامالة الخطية .

النحويون يعنون بتوقيه ، وبضبط القواعد للاحتياط منه . نحن نعرف ان الامالة لغة لبني تميم وأسد وقيس ^(١) . وان في كل قبيلة من هذه القبائل شعراء كانوا يتبعون قبائلهم في لهجاتهم فالامالة يلتزمها الشاعر الميل اذا ما نطق بنظمه من شعر .

فالمخبل السعدي التميمي حين يقول مادحا عطفة بن هوذة :
 أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفق وصحار
 وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركبين ودع جوار ^(٢)

حين ينشد التميمي تلك الايات فان مقتضى لهجته أن يميل الكلمات « سلمى ، وديار ، وصحار ، وسائر الكلمات التي في نهاية هذه الأيات » . وكذلك يفعل في شعر قيس بن عاصم التميمي فيميل ، بني واحياوران في قوله :

إنما المجد ما بنى والد الصد ق واحيا فعله المولود
 وتمام الفضل والشجاعة والسلم اذا زانه عفاف وجود ^(٣)

وكذلك شاعر اسدي مثل عبيد بن الابرس مثلا ، يروى له هذه الايات وفيها كلمات ذكر النحاة انها تمال عند أسد :

فيهن هند التي هام الفؤاد بها بيضاء آنسة بالحسن مرسومة

- (١) كتب النحو والقراءات وانظر ما سيأتي في هذا الفصل .
 (٢) وسألها عن أهلها فوجدتها عمياء جاهلة عن الاخبار
 فكأن عيني غرب أدهم داجن متعود الاقبال والأديار
 فجزى الإله سراة قومي نضرة وسقاها بمشارب الأبرار
 قوم اذا خافوا عثار أخيه لا يُسلمون أخاهم لعثار
 أمثال علقمة بن هوذة اذ سمى يخشى على متائف الأبصار
 انثوا عليّ واحسنوا وترافدوا لي بالمخاض الهزل والأبكار
 مهذب الاغانى ج ٢ ص ١٦٤ - مطبعة مصر .
 (٣) المصدر السابق ص ١٦٦ .

فبرقها حرق ، وماؤها دفق وتحتها ريق ، وفوقها ديمة
فذلك الماء لو أنني شربت به اذا شفى كبدا شكاء مظلومة^(١)

ولكننا لا نجد أثرا للإمالة فيما وصل إلينا من اشعارهم^(٢) ؛ لأنها
وصلتنا مكتوبة لا منطوقة . فلم يبق لدينا سوى الرجوع الى كتب القراءات
والنحو في باب الإمالة نستخرج منها من عينوه من القبائل المميلة ، وما
ذكروه من الشواهد التي لا بد أنهم اعتمدوا فيها على الرواية الصوتية .
وما ورد في كتب النجاة والقراءات يدلنا على ان أصحاب الإمالة من
القبائل هم تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد ، وهم لا يختلفون في ذلك ،
فعباراتهم تكاد تكون واحدة إلا ما كان من صاحب الهمع اذ نقل عن أبي
حيان قوله « حكى صاحب الغنية وهو أبو يعقوب يوسف بن الحسن
الاستراباذي في هذا الكتاب عن أبي بكر بن مقسم ان بعض أهل نجد
واكثر اليمن يميلون الف حتى لان الإمالة غالبية في السنتهم في أكثر
الكلام »^(٣) .

وإلا ما أورده السيوطي أيضا في الهمع اذ زيد على هذه القبائل المميلة
« يمامة أهل نجد » حيث قال : العرب مختلفون في ذلك ، فمنهم من أمال
وهم تميم وأسد وقيس ومامة أهل نجد^(٤) والتحقيق ينبغي « يمامة »
ويستبدل بها « عامة » (*)

(*) لوجه :

الوجه الاول : ورود كلمة « عامة » او ما في معناها في الكتب السابقة
للسيوطي واللاحقة له ، فاين يعيش (٦٤٣ هـ) يقول في شرح الفواصل « عامة =

- (١) من مذهب الاغانى ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ مطبعة مصر سنة ١٩٢٥ « الحرق
الريع » والدفق السائل . والريق أول المطر . والديمة المطر الدائم
اليوم والليل أو اليومين والليتين أو الثلاثة .
(٢) عقدنا فصلا لعلامات الإمالة الخطية فليرجع اليه .
(٣) جمع الهوامع للسيوطي : ٢٠٤/٢ .
(٤) جمع الهوامع للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٤ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ .

= اهل نجد من تميم واسد وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في نحو
يشاء وخاف وجاء وكاد ... » (١)

وابو شامة الدمشقي (٦٦٥ هـ) في ابراز المعاني يقول « الفتح لغة اهل
الحجاز والامالة لغة عامة اهل نجد من تميم وقيس واسد » (٢) .

وابن الجزري (٨٨٣ هـ) يقول في النشر :

« الامالة لغة عامة اهل نجد من تميم واسد وقيس » (٣) .

والاشموني في شرحه على الالفية يقول :

« واما اصحابها (أي الامالة) فتميم ومن جاورهم من سائر اهل نجد
كأسد وقيس » (٤) .

والشيخ خالد يقول في التصريح على التوضيح :

« اما اصحابها فتميم وقيس واسد وعامة نجد » (٥) .

الوجه الثاني : ورود كلمة « عامة » في كتاب آخر للسيوطي نفسه هو «
الاتقان في علوم القرآن » حيث قال :

« والامالة لغة عامة اهل نجد من تميم واسد وقيس » (٦) .

الوجه الثالث : ان يمامة لا تنطق بدون (ال) وانما هي في كلام العرب
« اليمامة » وقد وردت في كتاب الاغانى فيما يقرب من ثمانين مرة وكلها بالالف
واللام ، ويقول ابن خلكان « اليمامة بلدة بالحجاز في البادية .. » (٧) .

ويقول الالوسي « هي مدينة دون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
في المقدار .. وهي اكثر نخلا من بلاد الحجاز » (٨) وتطلق ايضا على اقليم قائم
بذاته في شبه الجزيرة العربية قال الالوسي « والحجر » بكسر الحاء المهملة هي
الى الجنوب من دومة الجندل وكانت بها ديار ثمود ، اما الحجر بالفتح فهي في
اليمامة بقرب مدينة اليمامة : (٩)

(١) شرح الفصل لابن يعش ج ٦ ص ٥٤ المطبعة المنيرية .

(٢) ابراز المعاني لابي شامة ص ١٥٢ - مطبعة الحلبي .

(٣) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٠ مطبعة مصطفى محمد .

(٤) شرح الاشموني « الجزء الرابع » ص ٤٣٨ طبعة صبيح .

(٥) التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١١٤ المطبعة الكسلبية سنة ١٢٧٩ هـ .

(٧) وفيات الاميان لابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٣ مطبعة السعادة سنة ١٩٤٨ م وانظر ايضا ج ٤ ص ١٩٣
القاموس المحيط مادة « اليم » .

(٨) من بلوغ الارب للالوسي ج ١ ص ١٩٦ المطبعة الرحمانية ١٣٤٣ هـ .

(٩) المصدر السابق ج ١ ص ٢١١ .

وقبل الانتقال الى القبائل التي لا تميل يجدر بنا ان تناقش ما نقله السيوطي من « جمال القراء عن صفوان بن سالم انه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ « يا يحيى » ف قيل له : يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ... ؟ فقال هي لغة الاخوال بني سعد . (١)

وهذا إن صح نص صريح على أن قبيلة سعد بن بكر تميل (٢) ، غير اني أرجح ان هذا الحديث موضوع :

اولا - ليس فيمن يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) شخص بهذا الاسم ، ففي الاصابة في تمييز الصحابة يذكر تسعة وعشرون رجلا باسم صفوان ليس فيهم من هو ابن سالم . (٣)

ثانياً - ليس هناك من رجال الحديث الذين لم يروا عن الرسول مباشرة وتلقوا عنه من اسمه صفوان بن سالم .

وابن الجزري وقد ترجم للقراء الذين أخذوا عن الرسول لم يرد في كتابه « غاية النهاية في طبقات القراء » أي ذكر عن صفوان بن سالم هذا ،

= فاذا قيل « يمامة اهل نجد » كان ذلك خلطا لا يقبله العقل ولا الطبيعة الجغرافية لكل من اليمامة ونجد في بلاد العرب .
يتضح اذن ان القبائل المميلة باجماع النحاة : « عامة اهل نجد من تميم واسد وقيس » ، وان « يمامة » الواردة في همع الهوامع للسيوطي صحتها « عامة » ، ولا بد ان يكون ذلك خطأ كتابيا من النساخ او مطبعيا سببه ما بين الكلمتين من تقارب في الرسم .

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١١٤ .
(٢) جاء في كتاب « اللهجات العربية » للدكتور ابراهيم انيس ان قبيلة سعد ابن بكر تفتح ولا تميل .

انظر ص ٤١ . وربما تعرضت لذلك بالشرح فيما بعد .
(٣) الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٨٧ - ١٩٢ - مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

بل لم يرد في الكتاب كله ترجمة لمن اسمه صفوان الا صفوان المدني، وكل ما قاله عنه :

« صفوان المدني غير منسوب، روى القراءة عن نافع ابن ابي نعيم ^(١) »
ونافع بن نعيم أخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعي اهل المدينة ^(٢) فهو
لم يدرك النبي حتى يروى عنه ، فأولى ألا يروى صفوان المدني عن النبي
فعلى فرض ان صفوان المدني هو صفوان بن سالم فليس هو الذي روى عن
النبي مباشرة وبهذا يجرح الحديث •

هذا الى ان الحديث لم يرو في كتب الصحاح الستة ، ولم يروه
القرطبي (٦٧١ هـ) في كتابه « التذكار في أفضل الأذكار » ^(٣) ، ولا ابن
كثير (٧٧٤ هـ) في كتابه « فضائل القرآن » ^(٤) على شدة عناية هذين العالمين
في كتابيهما بالأحاديث الصحيحة التي تتعلق بالقرآن كتابة وجمعا وتلاوة
وهديا وأداء •

وما ذكرنا كاف في استبعاد هذا الحديث ، على أننا زيادة في التحقيق
بعثنا عن سالم الذي يذكر الحديث المذكور على أنه أب لصفوان فلم نجد
من القراء من اسمه سالم غير سالم مولى ابي حذيفة الصحابي الكبير ، وسالم
كما يقول ابن الجزري في طبقات القراء هو الذي وردت عنه الرواية في
حروف القرآن ، وكان أحد الاربعة الذين قال النبي عنهم « خذوا القرآن
من أربعة » عبدالله بن مسعود ، وابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم
مولى ابي حذيفة ، (رضي الله عنهم) ، فالأولى بالرواية في حروف القرآن

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٣٣٦ مطبعة السعادة
١٩٣٢ ، و ج ٢ ص ٣٣١ من المصدر السابق .

(٢) ج ٢ ص ٣٣١ من المصدر السابق .

(٣) لأبي عبدالله القرطبي المفسر طبعة الخانجي سنة ١٣٥٥ هـ .

(٤) للحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي مطبعة المنار سنة
١٣٤٨ هـ .

سالم لا صفوان ، على ان سالما ، لم يرو إلا حديثا واحدا في كتاب احوال
القيامة وقال ابن الجزري « ولا اعلم له غيره » (١) .

وقد اورد السخاوي (٦٤٣ هـ) في جمال القراء (٢) هذا الحديث وذكر
انه عن صفوان بن عسال ، فعلى فرض صحة هذا السند الاخير إن الباحث
يشك كثيرا في ان يكون هذا اللفظ الاصطلاحي في الإمامة مستعملا في
عهد الرسول ، وإذن ورود كلمة « تميل » في الحديث أبعدته عن الصحة ،
وقربته من الوضع .

على أنه بالرغم من كل ما قلناه في تجريح هذا الحديث سنداً ومتناً -
إنه من الثابت ان سعد بن بكر تميل ، ذلك لأنها فرع من فروع قيس ، جاء
في صبح الأعشى « من قبائل قيس هوازن ، وفي هوازن بنو سعد الذين كان
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رضيعا فيهم » (٣) ، وسعد بن بكر من
بطون هوازن بن منصور ، وهم رضاء النبي (صلى الله عليه وسلم) (٤)
وقد ذكر ابن الجزري نقلا عن كتاب « الكامل » لأبي القاسم الهذلي ان
« الإمامة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر » (٥) .

وشيوع الإمامة في قبيلة لا يتدح في فصاحتها ، ويبدو لنا ان المقصود
بالكسر في عبارة السيوطي في المزهري : « ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم :
- أي قريش - عننة تميم ، ولا عجرية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا
كسكة ربيعة ، ولا كسر أسد وقيس » (٦) - ليس الإمامة في الحرف بل

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٣٠١ .

(٢) جمال القراء للسخاوي مخطوط بدار الكتب برقم ٩ قراءات م .

(٣) صبح الأعشى مطبعة دار الكتب ج ١ ص ٣٤ .

(٤) نسب عدنان وقحطان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ص ١٣ مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ .

(٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص ٦٠ المطبعة الوطنية سنة
١٣٥٠ هـ .

(٦) المزهري للسيوطي ج ١ ص ١٢٧ .

الكسر في حركة حرف المضارعة ، ولما كانت سعد بن بكر من هوازن ، وهوازن من قيس فقد يسبق الى الذهن ان سعد بن بكر تكسر حرف المضارعة ، وهذا الكسر من غير شك غير فصيح ، فجدير بلغة سعد بن بكر الفصيحة أن تنزه عنه ، وليس لدينا في اللغة الفصيحة ما يكسر فيه حرف المضارعة سوى إخال . ولأن عمرو بن العلاء يُعد أفصح العرب عليا هوازن ، وأبو عبيد يعد عليا هوازن سعد بن بكر (١) فالنتيجة الصحيحة لهذه المقدمة أن سعد بن بكر أفصح العرب ، أو على الأقل قرينة قریش في فصاحتها فمن المنتظر ان تنزه عما يعده العرب مجافيا للفصاحة وهو الكسر المراد به كسر حرف المضارعة . لا الإمالة التي نحن بصدد الحديث عنها .

وتضطرب النصوص في التحدث عن أهل الحجاز أميلون هم أم غير مميلين . . .

ولنستعرض الآن نصوص النحاة والقراء لعلنا نظفر بشيء يهدينا الى وجه الحق في هذا الموضوع .

فابن يعيش في (٦٤٣ هـ) في شرح المفصل (٢) والرضي (٦٨٧ هـ) في شرح الشافية (٣) ، وأبو شامة (٦٦٥ هـ) في ابراز المعاني (٤) يذكرون ان الفتح لغة اهل الحجاز ، بل إن عبارة الرضي نصها « أهل الحجاز لا يميلون » (٥) .

على حين ان سيبويه (٦) وطائفة من النحاة المتأخرين يقررون

(١) الصاحبى لابن فارس ص ٢٨ ، وعليا هوازن اربع قبائل هي سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونضر بن معاوية ، وثقيف .

(٢) ج ٦ ص ٥٤ .

(٣) ج ٣ ص ٤ .

(٤) ص ١٥٢ .

(٥) ج ٣ ص ٤ .

(٦) الكتاب ج ٢ « باب الإمالة » .

« ان الحجازيين يميلون في مواضع قليلة » (١) .

ويقول ابن الانباري (٥٧٧هـ) في أسرار العربية: وهي - أي الإمالة - تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني تميم وغيرهم (٢) .

وجاء في الارتشاف لأبي حيان (٧٤٥ هـ) ان اهل الحجاز وكثيرا من العرب لا يميلون الياء . وان أهل الحجاز يميلون الكسرة (٣) .

وقد تعرض الدكتور ابراهيم أنيس لمذهب الحجازيين في الفتح فقال في كتابه « اللهجات العربية » « أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز (٤) ، ثم قال في موضع آخر : والفتح واجب عند من لا يستطيعون غيره كمعظم الحجازيين (٥) وهناك فرق واضح بين تعبير الدكتور ابراهيم أنيس « إن الفتح لهجة معظم الحجازيين » وقول النحاة « إن الحجازيين يميلون في مواضع قليلة » فالكثرة والقلة في تعبير الدكتور أنيس منصبتان على الأفراد المتكلمين ، بمعنى ان هناك طائفة كبيرة من الحجازيين يفتحون ، وطائفة بجانبها قليلة يميلون ، والكثرة والقلة في تعبير النحاة منصبتان على الكلمات يميلها الحجازيون جميعا ، وبجانبها طائفة كبيرة يفتحها الحجازيون جميعا . وسنرى النصوص المنقولة عن علماء العربية الاولين مترددة بين المفهوم من التعبيرين .

ولنستعرض الآن نصوص القدامى ؛ لعلنا نتعرف هذه المواضع التي أمالها الحجازيون . يقول سيبويه (١٨٣ هـ) :

ومما يميلون ألفه كل شيء من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا

-
- (١) همع الهوامع للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٠ ، شرح الاشموني ج ٤ ص ٤٣٨ ،
من التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٢) اسرار العربية ص ١٦٠ .
(٣) ارتشاف الضرب ص ٢٠٨ - لابي حيان .
(٤) اللهجات العربية ص ٤٠ - مطبعة الرسالة .
(٥) المصدر السابق ص ٥٠ .

كان اول فعلت مكسورا نحو الكسرة ، كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء وهي لغة لبعض اهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون ، ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينا إلا ما كان منكسر الاول وذلك خاف وطاب وهاب (١) .

وجاء في الكتاب لسيبويه ايضا :

بلغنا عن ابن أبي اسحق انه سمع كثير عزة يقول « صار بمكان كذا وكذا ثم قال بعد : سطر : وقالوا : مات وهم الذين يقولون ميت ، ومن لغتهم صار وخاب » (٢) .

ويقول القراء (٢٠٧ هـ) :

« أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من ذوات الياء والواو ، قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ، ويفتحون في ذوات الواو مثل قال وجال » (٣) .

وكلام القراء هنا صريح في ان الحجازيين لا يميلون شيئا من الافعال الجوف ألبة سواء أكانت واوية مطلقا أم يائية .

أما سيبويه فإنه لا يطلق القول هذا الاطلاق : بل يفصل فيه بعض التفصيل ، فالحجازيون فيما يرويه يميلون ما يؤول الى « فلت » سواء أكان واويا كخفت أم يائيا كجئت ، ولا يميلون ما يؤول الى « فلت » .

فنحن الآن امام نصين — نص سيبويه ، ونص القراء ، ومن هذين النصين أمام ثلاث طوائف من الأفعال الجوف .

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) شرح المفصل — لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .

(أ) أفعال واوية لا ينكسر أوائلها عند اسنادها لضمير الرفع كقال
وجال •

(ب) أفعال واوية ينكسر أولها عند اسنادها لضمير الرفع وذلك
خاف •

(ج) أفعال يائية وذلك طاب وصار وخاب •

فالغراء يعطى عموماً ، اذ يقرر ان الحجازيين يفتحون هذه الأفعال
الجوف جميعاً ولا يميلون شيئاً منها ألبتة ، وان عامة أهل نجد من تميم
وأسد وقيس يفتحون في ذوات الواو مطلقاً سواء ما يؤول منها إلى فـِـت
أو قـُـلت ولا يميلون إلا ذوات الياء من هذه الأفعال •

وسيبيويه يعطي تفصيلاً ، اذ يقرر ان بعض أهل الحجاز يميل الطائفتين
الأخيرتين من الأفعال السابقة (ب ، ح) ، أي أن دائرة الإمالة عند بعض
الحجازيين تتسع في كلام سيبويه عن دائرتها عند عامة أهل نجد - وهم
المشهور عنهم الإمالة - في كلام الغراء •

ثم يبدو في نص سيبويه شيء من الاضطراب ، ذلك لأنه بعد ما قرر
ان بعض الحجازيين يميلون ما كان مثل خاف وطاب عاد فقال :

وأما العامة فلا يميلون ، ولو سكت ولم يزد لكان كلامه خالياً من
اضطراب ولكنه قال :

« ولا يميلون - والمفهوم ان الضمير هنا يعود على عامة أهل الحجاز -
ما كانت الواو فيه عيناً إلا ما كان منكسر الأول وذلك خاف وطاب وهاب » •

ويفهم من هذا ان عامة أهل الحجاز يتفقون مع بعض أهله في إمالة
خاف وطاب وذلك بعد ان قرر أنهم يختلفون معهم في ذلك ...

ويأتي أبو حيان في ارتشاف الضرب فيقول : -

الإمالة في نحو طاب وجاء وشاء مما هو على فعل يفتح العين ، وهاب

وخاف مما هو على فعل بكسرهما لبعض الحجاز يوافقون بنسي تميم قال :
وعامتهم فرق بين ذوات الواو نحو خاف فلم يمل ، وبين ذوات الياء نحو
طاب وهاب فأمال . (١)

ويتابع الأشموني أبا حيان فيقول في شرحه على الألفية لابن مالك : -
نقل عن بعض الحجازيين إمالة نحو خاف وطاب وفاقا لبنسي تميم ،
وعامتهم يفرقون بين ذات الواو نحو خاف فلا يميلون ، وبين ذوات الياء
نحو طاب فيميلون (٢) .

ونرى أن أبا حيان والأشموني من بعده - قد أزالا الاضطراب الظاهر
في نص سيبويه ، ولكن تفصيل كل منهما فيما نقله عن عامة الحجازيين
من التفريق بين خاف وطاب - لا يعين عليه نص سيبويه ألبتة ، ورجع
الضهير في قوله : « ولا يميلون » .

وتوضيحا لهذه المذاهب تقدم خلاصة النصوص السابقة في الجدول
الآتي ؛ ليعرف في سر موضع الخلاف بين القراء وسيبويه ، وتوجيه كل
من أبي حيان والأشموني .

طوائف الأفعال الجوف	القراء		سيبويه				أبو حيان والأشموني	
	تيم واسد وقيس	تيم واسد وقيس	الحجازيون		تيم واسد وقيس	تيم واسد وقيس	الحجازيون	
			بعضهم	بعضهم			بعضهم	بعضهم
(أ) قال وجال	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح
ب (خاف)	بالفتح	بالفتح	بالإمالة وبالفتح	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة	بالفتح	بالإمالة
ج (طاب)	بالفتح	بالإمالة	بالإمالة وبالفتح	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة

(١) ارتشاف الضرب ص ٢٠٩ .

(٢) منهج السالك ج ٤ ص ٢١٠ .

والنتيجة :

١ - أنه لا خلاف بين الحجازيين وغيرهم في فتح ما كان مثل قال وجال من الأفعال الجوف عند الفراء وسيبويه .

٢ - يقع الخلاف في الطائفتين الآتيتين :

(أ) الحجازيون يفتحون خاف وطاب في نص الفراء ، وبعض الحجازيين يميلونهما في نص سيبويه ، ويقع الاضطراب في كلام سيبويه عن عامتهم .

(ب) تميم وأسد وقيس يفتحون خاف في نص الفراء ، ويميلونها في نص سيبويه . ومعنى هذا أن دائرة الإمالة عند بعض الحجازيين تتسع في كلام سيبويه عن دائرتها عند عامة أهل نجد وهم المشهور عنهم الإمالة في كلام الفراء .

٣ - يزيل أبو حيان الاضطراب الواقع في نص سيبويه :

فخاف يميلها بعض الحجازيين ويفتحها عامتهم . وطاب يميلها الحجازيون جميعا .

على أنه يجب أن نفصل القول في الشواهد والأمثلة الواردة في كتب النحاة والقراء - على ما سيأتي فيما بعد - ؛ لنستطيع تفهم هذه الآراء ، وترجيح رأي على آخر ، فالشواهد التي ذكرها سيبويه وتابعه من بعده النحاة ربما عينت لنا القبائل المميلة ، وكشفت عن طبيعة النطق عند بعض الحجازيين أيفتحون أم يميلون .

وقبل أن نعرض لهذه الشواهد بالدرس يجدر بنا أن نبدأ ببيان القبائل التي تميل، ويمكن أن نستخلص من الكتاب لمسيبويه المال من الكلمات وغير المال منسوبا الى القبائل التي ذكرها سيبويه على النحو الآتي : -

١ - قال سيويه : إن أهل الحجاز لا يميلون الالف في نحو سربال وشملا و عماد و كلاب ^(١) ، ولكنك تقول ، الاسوداد فيميل الالف ههنا من أمالها في الفعال لأن و داد بمنزلة كلاب » ^(٢) .

٢ - عند الكلام على الإمالة في الافعال الثلاثة الواوية كغزا وصفا ودعا يذكر سيويه انه « اذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة ؛ لأنها قد خرجت الى الياء ، وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم » ^(٣) . وهو هنا يكتفي بذكر من لا يميلون من بني تميم من غير ان يحدد لنا « غيرهم » الذين يشاركونهم في عدم الإمالة ، بل هو لم يحدد لنا البطون التي تميل والتي لا تميل من بني تميم أنفسهم .

٣ - باب « معزى وحبلى » لم يحدد سيويه القبائل المميّلة ولا غير المميّلة في هذا الباب بل كان تعبيره : ومما يميلون ألفه كل اسم كانت في آخره ألف زائدة للتأنيث أو لغير ذلك ؛ لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء... وناس كثير لا يميلون الالف ويفتحونها يقولون « حبلى ومعزى » ^(٤) .

٤ - باب « خاف وطاب وهاب وصار » الإمالة فيه لغة لبعض أهل الحجاز ، وأما العامة فلا يميلون ^(٥) وهو هنا يتركنا كذلك بدون تحديد لهذا البعض الذي يميل من أهل الحجاز .

٥ - باب « كيال وبياع » يقول سيويه « وسمعنا بعض مسن يوثق بعريته يقول « كيال كما ترى فيميل ، وإنما فعلوا هذا لأن قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها نحو سراج وجمال ، وكثير من

(١) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٠ .

(٤) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٦١ .

(٥) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٦١ .

العرب واهل الحجاز لا يميلون هذه الالف » (١) •

ولم يذكر سيبويه من ذلك البعض الموثوق بعربيته الذي يميل • ومن هؤلاء العرب الكثيرون الذين لا يميلون الالف في هذا الباب ... (٢) •

٦ - وعند الكلام على التفرقة بين مثل عدا ومنا مما فيه حجاز واحد بين الكسرة والالف وبين ما هو من باب رأيت عنبا مما فيه حجازان قويان بين الكسرة والالف يقول سيبويه : ان الذين يميلون في الطائفة الاولى بنو تميم، ويقولوه ايضا قوم من قيس وأسد ممن ترتضي عريته (٣) • ومع اعترافنا له بقدر من التحديد في ذكر قبيلتي قيس وأسد نرانا ما زلنا نجهل بطون هاتين القبيلتين التي تميل والتي لا تميل •

(نتائج العرض السابق لنصوص سيبويه)

١ - أهل الحجاز لا يميلون الالف في سربال وشملال ، وعماد وكلاب والاسوداد •

٢ - ناس كثير من بني تميم وغيرهم لا يميلون الاسماء اذا بلغت اربعة احرف او جاوزت من بنات الواو •

٣ - لم يحدد سيبويه القبائل المميّلة وغير المميّلة في باب (معزى وحلى) •

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ •
(٢) كل هذه النصوص المبهمة تؤيد القضية التي ذكرت في اول هذا الفصل من ان علماء العربية القدامى لم يكونوا مهتمين بتعيين لهجات القبائل ..
(٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٢ •

٤ - تقدم مذهب أهل الحجاز وغيرهم في باب « خاف وطاب وهاب وصار » .

٥ - كثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون الالف في كيال وبياع .

٦ - بنو تمم وقوم من قيس وأسد يميلون الالف في عدا ومنا .

هذا هو مدى ما نظفر به من تحديد القبائل التي تميل والتي لا تميل فيما نقله سيبويه .

ولنتقل الآن الى الشواهد التي ذكرها النحاة في كتبهم لعلها تكشف لنا عن مذهب القبائل التي ينتسب اليها قائلوها . وكل ما استشهد به النحاة في باب الإمالة أربعة شواهد هي :

١ - ها ان ذي عذرة من قول النابغة :

ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد^(١)

٢ - وقول الفرزدق :

وما حل من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف^(٢)

٣ - عسى الله يغنى عن بلاد ابن قادر بمنهم جونا الرباب سكوب^(٣)

٤ - وقول سيبويه « بلغنا عن ابن أبي اسحق أنه سمع كثير عزة يقول :

« صار بمكان كذا وكذا »^(٤) أي بامالة الالف في صار .

ولا تسد هذه الشواهد جميعها شيئا من النقص الذي نشعر به ؛ ذلك

(١) شرح شواهد الاشموني لعبد السلام الجزائري ج ٣ ص ٢٨٧ - المطبعة الاهلية بنهج الديوان تونس سنة ١٣٤٧ هـ .

(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٩ ومن شرح شواهد الاشموني ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

لأن الاول شاهد على عدم جواز الإمالة في ألف «ها» لأجل كسرة أن بعدها ، لأنها في كلمة أخرى منفصلة عنها ، وقد قال ابن مالك « ولا تمل لسبب لم يتصل » ، فشرط تأثير سبب الإمالة أن يكون من الكلمة التي فيها الألف (١) .

ومن الممكن ان نكتفي بأن نقول « إن الشاهد الاول من حيث غرضنا لا يفيدنا فيما نحن بصدده ، غير انه يجدر بنا ان نفترض في المستشهد انه لم يعتمد الى النابغة ليختار بيتا من شعره يستشهد به على امتناع الإمالة فيما لم تتحقق فيه شروط الإمالة ، إلا لأن النابغة يميل فيما تتحقق فيه شروط الإمالة (وإلا لكان الاختيار عبثا ، اذا كان الشاعر لا يميل في أية حالة) ومن ثم نستطيع ان نستنبط ان قبيلة النابغة من القبائل التي تميل ، وبرجوعنا الى نسب قبيلة ذبيان عرفنا أنها من غطفان بن سعد وهي من قيس (٢) ، والمعروف عن قيس أنها تميل فهل تميل قبيلة ذبيان ؟

وأما الشاهد الثاني « وما حل من جهل . . » فهو للفرزدق ، والفرزدق معروف انه من تميم (٣) .

وقد استشهد سيبويه بالبيت على ان ما كان من بنات الياء تمال الفه ؛ لأنها في موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوها ، كما ان بعضهم يقول « قد رد » ثم أورد قول الفرزدق : -

وما حل من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف
يشم كأنه ينحو نحو الياء (٤) .

(١) فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك لعبد السلام الجزائري المطبعة الاهلية سنة ١٣٤٧ تونس .

(٢) نسب عدنان وقحطان لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ص ١١ .

(٣) الاغاني ج ٨ ص ١٨٠ .

(٤) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٥٩ .

وأهمية هذا الشاهد تظهر في شوب الضمة في رد شيئا من الكسر وذلك نوع من الإمالة (١) .

بقي الشاهدان الثالث والآخر ، أما الشاهد الثالث فربما كان قائله أو راويه بالإمالة يكشف لنا عن القبيلة التي تميل ، وهو من شواهد سيويه في الكتاب وتكملة البيت .

«عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهم جون الرباب سكوب»

والشاهد في قوله « قادر » ، حيث سمع إمالة الالف في قادر، وقد قال سيويه في الكتاب بعد كلام ما نصه «وسمعنا من ثقب به من العرب يقول»

«عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهم جون الرباب سكوب» (٢)

قال الأعلام « استشهد به على جواز إمالة الالف من قادر، وإن كان قبلها الحرف المانع لقوة الرء المكسورة على الإمالة » (٣) .

وليس يعني الآن التحدث في الرء المكسورة ، وقوتها على الإمالة ، وغلبتها حرف الاستعلاء (القاف) فذلك موضعه فيما بعد . وإنما الذي يعني في هذا الشاهد قائله . والقبيلة التي ينتمي إليها ؛ لعل ذلك يكشف عن بعض القبائل التي كانت الإمالة تجري على السنتها ولا تستقيم بغيرها .

والبيت منسوب في كتاب سيويه لهديبة بن خشرم (٤) ، وقد نقل ذلك صاحب كتاب فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك (٥) ، ونسبه الشيخ خالد الأزهري في شرح التصريح الى سماعة النعامي (٦) ، ونسبه العيني في

(١) سر صناعة الاعراب لابن جني نسخة خاصة ملك الاستاذ ابراهيم مصطفى .
(٢) المصدر نفسه .

(٣) شرح شواهد الاشموني .

(٤) ج ٢ ص ٢٦٩ لسيويه .

(٥) فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك ج ٤ ص ٢٨٧ .

(٦) ج ٢ ص ٣٥٤ مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٢٠ هـ .

كتابه فرائد القلائد في مختصر الشواهد الى سماعة النعامي يهجو رجلا من
نمير (١) ، والنعماني في رأينا خطأ صوابه النعامي ، فلا يوجد في القبائل
من اسمها نعمان ، وانما يوجد « نعام » وبنو نعام (٢) .

فمن هذبة بن خرشم ؟ والى من ينتسب سماعة النعامي ؟ ترجم
أبو الفرج الاصفهاني لهذبة ونسبه، فقال: هو هذبة بن خرشم بن كرز بن ابي
حية ابن الكاهن ، وهو سلمة بن اسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان
ابن الحرث بن سعد بن هذيم شاعر من اسلم بن الحرث بن قضاة . . .

ويقال : بل هو سعد بن اسلم ، وهذيم عبد لأبيه ربّاه ، فقيل سعد بن
هذيم يعني سعدا هذا ، وهذبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز ، وكان
راويّة ، كان يروي لكعب بن زهير ، وكعب يروي لأبيه زهير ، وكان جميل
راويّة هذبة ، وكثير راوية جميل .

فلذلك قيل ، « ان آخر فحل اجتمعت له الرواية الى الشعر كثير . . » (٣) .

واذن هذبة من بني عامر ، وبنو عامر من قضاة (٤) ، وقد روى
أبو تمام في الحماسة لهذبة بن خرشم الايات الثلاثة الآتية : —

ولاني من قضاة من يكدها	أكده، وهي مني في أمان
ولست بشاعر السفساف فيهم	ولكن مدره الحرب العوان
سأهجو من هجاهم من سواهم	وأعرض فيهم عن هجاني (٥)

والبيت الاول صريح في نسبة هذبة الى قضاة ، وقضاة متفرعة قبائل
وبطونا ، فمن قبائل قضاة كلب بن وبرة « ومن سائر قضاة بنو القين ،

(١) فرائد القلائد المطبعة الكاستلية سنة ١٢٩٧ هـ ص ٣٨٧ .

(٢) انظر نسب عدنان وقحطان وبخاصة ص ٦ و ص ١١ .

(٣) الاغانى لابي الفرج الاصفهاني — مطبعة الساسي ج ٢١ ص ١٦٩ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مختصر شرح التبريزي للحماسة ج ١ ص ١٨٨ .

وبنو سليج ، وتنوخ ، وجرم ، وبهراء ، وبلى ، ومهرة ، وعذره وسعد بن هذيم ، والحارث بن هذيم ، وضبة ، ابن سعد بن هذيم وسلامان بن سعد هؤلاء كلهم في عذرة ، وهم اخوتهم » (١) .

وقضاة من بني حمير بن سبأ ، واسمه قضاة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير ، قال بعض رجالهم :

قضاة بن مالك بن حمير مُنْسَبُ المعروف غير المنكر (٢)

فهل نستطيع أن نقول : ان قضاة وفيها هذه القبائل تميل ؟ ليس لدينا من الشواهد الكافية ما يمكننا من الإجابة عن هذا السؤال على وجه كامل .

واذا كانت قضاة سبئية (٣) هاجرت من اليمن ، فالى أين هاجرت ؟ يبدو انها هاجرت الى الحجاز، وحملت معها الامالة الغالبة على السنة أهل اليمن في أكثر الكلام (٤) .

على ان بعض علماء الأنساب يقول : إن قضاة معدية ، قال عبد الملك ابن حبيب سمعت محمد بن سلام البصري النسابة يقول : العسرب ثلاث جراثيم — نزار واليمن وقضاة . قلت له : فنزار أكثر أم اليمن فقال — ما شئت قضاة إن تعددت فنزار أكثر ، وإن تيمنت فاليمن أكثر ، قلت — فما هي عندك . قال — معدية لا سُك فيه » (٥) .

ويفهم من كلام أبي الفرج الأصفهاني (٦) ان قضاة عدنانية وقد حدد هجرتها من تهامة الى الشام أخيراً .

(١) الحماسة لابي تمام الطائي ص ١٨٨ ج ١ طبعة صبيح سنة ١٣٣٥ هـ .

(٢) نسب عدنان وقحطان للمبرد ص ٢٤ .

(٣) نسب عدنان وقحطان للمبرد ص ٢٣ .

(٤) همع الهوامع للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٥) الانباه على قبائل الرواة ص ٦٣ .

(٦) الاغانى لابي الفرج الاصفهاني ج ١١ ص ١٥٤ .

وهذا المهجر يقرره القلقشندي اذ يقول : « إن قضاة أغرمت بالملك
فكانت الممالك التي أقيمت في العراق والشام من قضاة » (١) .

وينقل انوليثمان عن السيوطي ان أهل سوريا دخلوا في قضاة (٢) .

وسواء أكانت قضاة يمنية أم معدية فإن النصوص تكاد تجمع على
أنها هاجرت الى الشام ، وحملت معها اليه لهجتها في الامالة التي تبينها من
فحص نسب هذبة بن خثرم قائل البيت : « عسى الله يغني .. » ولا تزال في
الشام لهجة الامالة ظاهرة غامرة على السنة ناسه حتى هذا الزمان .

واذا كانت نسبة البيت « عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر » الى سماعة
النعامي فمن بنو نعام ؟

هم بنو صعب بن أسد من قبائل بني أسد فيما ذكر المبرد في نسب
عدنان وقحطان (٣) .

فبنو أسد على هذا يميلون إن صحت نسبة هذا البيت الى سماعة
النعامي كما نقل الشيخ خالد الأزهري في التصريح - وهذا الاستنتاج يتفق
مع نص علماء العربية على ان الأمالة لغة لبني أسد .

فان كان منسوبها الى هذبة ، فهذبة كما يقول صاحب الأغاني فسي
الحديث عنه « شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز » (٤) .

وهذا يتفق مع ما عرفناه من النصوص التي أوردها سيويه في ان
بعض الحجازيين يميلون .

ولنتقل إلى الشاهد الاخير الذي نعتد عليه في تحديد القبائل المييلة،

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٤٥ .

(٢) بقايا اللهجات العربية ص ٨ .

(٣) نسب عدنان وقحطان ص ٨ .

(٤) الاغاني للاصفهاني ج ٢١ ص ١٦٩ .

ذلك الشاهد هو قول سيويه في الكتاب « بلغنا عن ابن ابي إسحق أنه سمع كثير عزة يقول : « صار بمكان كذا وكذا أي بامالة الألف في صار » (١) .

فالمعروف ان كثير عزة من خزاعة (٢) فهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارق بن سعيدة بن سبيع بن جعنة بن سعد ابن مليح بن عمر بن خزاعة بن ربيعة ، واذن خزاعة تمل ، وهي ايضا سبئية (٣) هاجرت من اليمن ، فالى أين هاجرت ؟ ان المعروف ان كثير عزة من الشعراء الغزليين الذين عاشوا في بادية الحجاز فلعل خزاعة احدى هذه القبائل السبئية التي هاجرت الى الحجاز كما فعلت أختاها : الأوس ، والخزرج (٤) .

وقد قال ابو بكر بن مقسم : إن أكثر أهل اليمن يميلون ألف حتى ؛ لأن الامالة غالبية على ألسنتهم في أكثر الكلام (٥) .

هذا ولا يتحتم ان تكون قبيلة من أنشد البيت وسمعه سيويه من نفس قبيلة الشاعر الذي قال البيت حتى تنتقل لهجته الى لهجة المنشد الذي سمع منه سيويه، ولكن اختيار سيويه لهذا الشاهد من بين الشواهد العدة دليل على ان قائل هذا الشاهد ينتمي الى قبيلة مذهبها الامالة او عدمها على حسب الموضع الذي يستشهد عليه سيويه بالشاهد الذي سمعه .

وعلى هذا الاساس بحثنا عن نسب قائل هذه الشواهد مستدلين به على مذهب قبائلهم في الامالة . ويرجع عندنا صحة اتجاهنا أنه بالرجوع الى

(١) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢) الاغانى ج ٨ ص ٢٥ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة - مطبعة المعاهدة ١٩٣٢ م .

(٣) انظر نسب عدنان صفحتي ١٨ و ٢٢ .

(٤) نسب عدنان ص ٢١ .

(٥) همع الهوامع للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٤ .

نسب قائلها هذه الشواهد التي سمعت من منشدين غير قائلها (١) وجدنا انهم ينتمون الى قبائل ذكر النحاة صراحة انها من القبائل المميلة .

واذن قد ثبت لدينا من نصوص النحاة ومن الشواهد التي أوردوها أن من الحجازيين ميلون وهذا يقدر في عموم قول من قال « إن الامالة لغة بني تميم ، والفتح لغة أهل الحجاز (٢) » ، كما يفند قول الرضى في شرح الشافية « ليست الامالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا ميلون ، وأشدهم حرصا عليها بنو تميم » (٣) .

والحق بعد الذي قدمنا من النصوص والشواهد ان ليس لنا ان نقطع بأن الحجازيين جميعا يفتحون ، وليس منهم ميلون .

وقد رأينا في نص سيبويه ان من الحجازيين من يميل « خاف » وهذا يوجه النظر الى شيء جديد في البحث ، ذلك لأن خاف كما يرى مكى ابن ابي طالب في كتابه الكشف أضعف الأفعال الجوف تمكنا في باب الامالة وذلك لأنها من ذوات الواو أولا ، ولحرف الاستعلاء (الخاء) ثانيا (٤) .

ويتفق الدكتور ابراهيم أنيس مع مكى اذ يقول « من الصعب أن نسوغ من الناحية الصوتية ما زعمه النحاة من جواز الامالة فيما أصله واو مثل خاف ؛ لأن الامالة في هذه كان حقها أن تكون من الفتح الى الضم لا من الفتح الى الكسر » (٥) .

وهنا نرى ان دائرة الامالة تتسع عند بعض الحجازيين فتشمل الأفعال الجوف الياثية ، ثم تتسع ثانية لتشمل باب خاف ، ثم تتسع مرة ثالثة لتشمل

(١) كالشاهد الاول والثاني والثالث اما الرابع فقد ذكر سيبويه صراحة ان ابن ابي اسحق سمع من كثير عزة الامالة .

(٢) انظر عبارة الفراء السابقة في صدر الكلام في هذا الموضوع .

(٣) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٤ .

(٤) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكى بن ابي طالب ص ٨٣ .

(٥) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس ص ٤٩ .

« إمامتهم لكلمة الناس » فقد ذكر عبد الله بن داود الحربي عن أبي عمرو ان الامالة في الناس في موضع الخفض لغة أهل الحجاز (١) .

وفي إمالة الحجازيين للناس ما يوجه النظر كذلك فليس فيها من سبب إلا الكسر الذي يستدعيه الخفض، ثم يذكرون علة أخرى وهي كثرة دور هذا اللفظ على الألسنة (٢) .

وليس من شك في ان هناك كلمات كثيرة الدور على الألسنة غير لفظ الناس (٣) ومما يدل على هذا الاتجاه ما جاء في كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه ، فان قيل فلزم من إمالة النار أن يميل الجار ، فقل لما كثر دور النار في القرآن أمالوها ، ولما قل دور الجار في القرآن بقوه على أصله (٤) .

ولعل من المرجح ان كلمة النار الكثيرة الدوران كانت مما يميله الحجازيون (٥) .

وهكذا تتسع دائرة الامالة عند الحجازيين ، وهذا ينفي أو يقلل التعميم الذي يقرره معظم النحاة وهو ان الفتح لغة الحجاز .

من كل ذلك يتبين لنا انه اذا كان لا بد لنا أن نقرر ان « الفتح لغة أهل الحجاز » فليكن مفهوما ان المقصود من « أهل الحجاز » طائفة منهم اذ ان من الحجازيين من جرى لسانه بالامالة . وقد رأينا كيف أخذت دائرة الامالة تتسع عندهم حتى شملت طائفة كبيرة من الكلمات .

(١) النشر ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٢٠ ومن الموضح ورقة ٣٣ ص ٧٥ .

(٣) أمالوا الحجاج ايضا لهذه العلة (انظر المصدر السابق) وان كنا سنناقشهم في ذلك في فصل يأتي بعد مبينين ان المراد باللسنة اللسنة المييلة .

(٤) الحجة لابن خالويه ص ٣ مخطوط بدار الكتب برقم ١٩٥٢٣ .

(٥) انظر الموضح للداني ص ١٧٠ .

وقد اتضح من الشواهد التي ذكرها سيويه أنها لشعراء عاشوا في
بادية الحجاز ، فلعل الميلين من الحجازيين هم المتبدون منهم ، ومن يفتحون
هم المتحضرون ، أو لعل الامر على عكس ذلك ، أي ان الحجاز المتبدية كانت
تفتح ، ثم تخلت إلى الإمالة في حاضرتها ، وما بقي من الألفاظ المفتوحة في
باديتها هو الاصل في لهجتها وما جرت عليه ألسنتها وهذا ما نميل إليه .

والنتيجة التي ينتهي اليها الباحث :

ان الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار اليها الاقدمون في
كتيبهم ، وانما كانت ظاهرة أكثر شيوعا مما ذكره ، فقد كانت تنتظم معظم
القبائل العربية وان تفاوتت قلة وكثرة ، فهي اذن صفة كثيرة الشيوخ جدا عن
العرب في نطقهم :

فقد رأينا ان في اليمن إمالة ، بل إنها كما يقول ابن مقسم — غالبية على
ألسنتهم في أكثر الكلام (١) .

ورأينا ان في الحجاز إمالة ، بل ان ابن الانباري يجعلها خاصة بلغة
أهله (٢) .

وان في تميم وأسد وقيس إمالة على النحو الذي ظهر في معالجة هذا
الفصل .

ولكن النحاة عندما ذكروا الميلين في القبائل اعطوا أهمية خاصة —
كمادتهم — الحديث عن الحجازيين ، وعن تميم وأسد وقيس . وكان سبب
هذا الاهتمام الظاهر بالحجازيين أن لغتهم هي لغة القرآن الكريم ، وناهيك
بهذا سببا باعثا على العناية بلهجتهم ! أما قبائل تميم وأسد وقيس فهي القبائل
التي أخذ عنها علماء العربية الاعلام ، وبخاصة تميم حيث كانت تسكن جانب
نجد المجاور للعراق . فكانت أرضهم مهبط العلماء الذين يفدون اليها للتلقي
عن فصاحتها وأعرابها الذين لم تفسدهم العجمة .

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) اسرار العربية ص ١٦٠ .

ولم يكن قرن الحجازيين بالتمييز في الحديث عن الإمالة فقط ، بل نجد ذلك منشورا في أبواب النحو المختلفة . وقد عقد السيوطي في كتابه المزهري فصلا ذكر فيه الالفاظ التي اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم (١) أتى فيه على طرف من مذهب الحجازيين في بعض المسائل ، ومذهب التميميين فيها ونجد غير هذه المسائل في كتب النحو في مواضع مختلفة (٢) .

فاذا تحدث النحاة في باب الامالة عن الحجازيين والتميميين ومن جاورهم من أسد وقيس فليس معنى ذلك ان غيرهم من القبائل لا يميل ، وإنما كان ذلك من النحاة جريا منهم على تسجيل ما يختص بلهجة الحجازيين والتميميين ومجاورهم ، لما ذكرنا من أسباب وذلك لا يتعارض هو وما لظاهرة الامالة من شيوع على الألسنة في القبائل المختلفة .

(١) المزهري للسيوطي ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) كتمييزكم وبناء امس وهيئات وفعال علما لمؤنث - وفك المضارع المضعف المجزوم والامر وتحقيق الهمز وغير ذلك .

الفصل السادس

حكم الإمالة : أواجبة هي أم جائزة

يجدر بنا ان نشير هنا الى الفقرة الناقدة التي أوردها الدكتور ابراهيم أنيس عن حكم الإمالة في كتابه اللهجات العربية اذ يقول « ولا نستطيع ان نتصور كيف جعل النحاة الامالة من الامور الجائزة ؛ فقد قرروا ان كل ممال يحوز فتحه، ولو صح هذا القول لامكن ان تتصور ان من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم اهواؤهم ، وهذا الامر لا يقبله اللغوي الحديث ^(١) ، فمما لا شك فيه ان الامالة من الوجهة التاريخية ومن الوجهة اللهجية امر لا مفر من وجوده أو عدمه ، وهي كما يقول في موضع آخر « لا تعدو ان تكون عادة ككل العادات اللغوية يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها » ^(٢) .

واذا جاز لنا ان نضيف شيئا الى كلام الدكتور انيس في هذا الصدد على سبيل التعقيب فهو انه يبدو لنا ان الدكتور يقصد من « النحاة » الذين جعلوا الامالة من الامور الجائزة المتأخرين منهم — من أمثال ابن يعيش في المفصل ^(٣) . ورضى الدين الاستراباذي (سنة ٦٨٦ هـ) في شرح شافية

(١) اللهجات العربية ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .

ابن الحاجب (١)، والسيوطي (٩١١ هـ) في جمع الجوامع وشرحه الهمع (٢)،
والشيخ خالد الأزهرى في شرحه التصريح على التوضيح (٣) والأشمونى
في شرحه الألفية (٤) .

أما المتقدمون من النحاة ، والمؤلفون القدامى في القراءات فقد رأوا
ما يقرر الدكتور أنيس من الرأي، وسأعرض هنا للنصوص الواردة في كتب
النحو والقراءات الخاصة بهذا الموضوع ، مرتبة ترتيبا زمنيا ، تمهيدا
لمناقشتها والتعليق عليها ، وبيان مدى اتفاقها مع ما يراه الدكتور ابراهيم
انيس ونظرة اللغوي الحديث .

قال سيويه (١٨٤ هـ) في الكتاب « واعلم انه ليس كل من أمال
الالفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من
الفريقين صاحبه فينصب بعض ما يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب
صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن
أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر ، فاذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينه
خلط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم » (٥) .

وكلام سيويه في هذا النص صريح في ان العربي لا يمكنه ان يتخلى
عن عادته اللغوية في الفتح والإمالة ، فهو يفتح ما يميله غيره ، ويميل ما يفتح
غيره لا كما يشاء له الهوى ، بل لأن ذلك كما يقول سيويه « من لغته ، التي
توارثها ولا يمكن ان يجري على لسانه غيرها .

ويقول سيويه في موضع آخر ، فأما تاب ومال وباع فانه من يميل
يلزمها الإمالة على كل حال » (٦) .

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ٥ .

(٢) همع الهوامع ، ص ١١٥ في الالتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٤) شرح الأشمونى ج ٤ ص ٢٠٧ .

(٥) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٦) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٦ .

وسيبيوه في هذا النص اكثر صراحة في ان الامالة واجبة عند من
مذهبه الإمالة ، ولا يستطيع ان يتخلى عنها على كل حال .

وما قاله سيبويه من ان حكم الامالة الوجوب لا الجواز قاله ابو علي
الفارسي (٣٧٧ هـ) فقد عبر عن اسباب الامالة « بالموجبات » ، وانكر عليه
ذلك الاشموني مخطئا اذ يقول « وأما حكمها - أي الامالة - فالجواز
وأسابها مجوزة لها لا موجبة ، وتعبير أبي علي ومن تبعه عنها بالموجبات
تسمّح فكل ممال يجوز فتحه (١) .

ويقول ابو علي في كتابه الحجة : « الامالة في ألف فاعل اذا كانت
الراء عينا أقوى من الإمالة في الالف اذا كانت الراء لاما ؛ لأن الكسرة في
العين لازمة غير مفارقة ، وكسرة اللام قد تنقل عنها للرفع والنصب ، وبحسب
لزوم ما يوجب الامالة تحسن الامالة ، ولا يكون غير اللازم كاللازم (٢) .

وأبو علي في هذا النص يفاضل بين الكسرة اللازمة ، وبغير اللازمة
سببا من أسباب الامالة ، وهو يقرر أن كلا من نوعي الكسرة موجب للإمالة
ولكنها مع الكسرة اللازمة تحسن وتقوى .

فاذا تركنا النحاة المتقدمين وهم يقولون بوجوب الإمالة كما رأينا -
وانتقلنا الى كتب القراءات رأينا مكّي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) في كتابه
الكشف عن علل القراءات وحججها وقد ألفه كما ذكر في مقدمته سنة
(٤٣٤ هـ) ينص في مواضع كثيرة من هذا الكتاب على أن حكم الإمالة الوجوب ،
فهو يقول « ان الياء توجب الإمالة » (٣) كما يقول عند التحدث عن أقسام
علل الامالة « اعلم ان العلل التي توجب الامالة (٤) . . »

(١) شرح الاشموني على الالفية ج ٤ ص ٢٠٧ .

(٢) الحجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٧٧ .

(٣) الكشف عن علل القراءات مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ب ١٩٩٨٢

قراءات ص ٨٠ .

(٤) المصدر السابق .

ويقول في التعليل للفتح في « الزكاة والصلاة » - « اذ لاعة توجب الإمالة ،
لا كسرة ، ولا أصل في الياء ، ولا روى عن أحد » (١) .

ويقول في موضع آخر « وأما الإمالة في تقاة فإنما وجبت لأجل أن
أصل الألف الياء ... » (٢) .

ومكي في كتابه التبصرة قال « وقد تمال الالف ، وأصلها الواو لعة
توجب ذلك » (٣) .

والى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري - على
حسب ما فحصت - كان كل من النحاة والمؤلفين في القراءات يقولون
بوجوب الإمالة ، حتى اذا كان القرن السادس وجدنا الزمخشري من النحاة
(٥٣٨ هـ) يسكت في كتابه المفصل عن مسألة وجوب الإمالة أو جوازها فلا
يتعرض لها بذكر ، كما نجد سبط الخياط البغدادي من القراء (٥٤١ هـ)
يشل مرحلة بين بين في هذه المسألة فهو يتردد بين القول بوجوب الإمالة
وجوازها اذ يقول في المبهم ، « لما كانت الإمالة لا تجوز إلا في مواضع ،
والفتح يطرد في الجميع علم حينئذ ان الفتح هو الاصل » (٤) .

ويقول في موضع آخر ، والإمالة في حال الجر من نحو دار ونار
ونهار وبوار وآثار ومقدار وما أشبه ذلك جائزة حسنة » (٥) .

ولكنه يعود فيقول « اذا وقعت السراء مفتوحة وجب تفخيما ... »
وإن انكسرت وجبت الإمالة ... » (٦) .

(١) المصدر السابق ص ٩٧ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) التبصرة ص ٩٦ مخطوط بدار الكتب برقم ب ٢٣٩٣٦ .

(٤) من المبهم ص ١٢٩ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٨١ قراءات .

(٥) من المبهم ص ٧٥ مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٧٥ قراءات .

ويراجع السكافي في القراءات السبع تأليف الرعيني المقرئ الاشبيلي
سنة ٤٧٦ هـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٦١٤ قراءات .

(٦) المصدر السابق .

ومنذ القرن السابع الهجري نجد النحاة والقراء يتقارضون هذا الخطأ في كتبهم ، فابن يعيش يقول في شرح المفصل « والتفخيم هو الأصل ، والإمالة طارئة بدليل انه يجوز تفخيم كل ممال ، ولا يجوز إمالة كل مفخم » (١) .

ثم قال في موضع آخر « وأسباب الإمالة مجوزة لا موجبة ، أو لا ترى انه ليس في العربية سبب يوجب الإمالة لا بد منها ، بل كل ممال لعله فلك ألا تميله مع وجودها فيه » (٢) ؟

ويأتي الرضى (٦٨٦ هـ) في شرح شافية ابن الحاجب فيقول :

« اعلم أن أسباب الإمالة ليست بموجبة لها ، بل هي المجوزة لها عند من هي في لفته ، وكل موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز لك الفتح » (٣) ونرى الرضى قد اخطأ خطأ ظاهرا لا يمكن الاعتذار منه حيث يقول : بل هي المجوزة لها عند من هي في لفته وقوله ، عند من هي في لفته لا نستطيع كما يقول الدكتور أنيس أن نتصوره (٤) ، فلا شك ان الإمالة كما يقول سيويه من قبل : واجبة عند من هي في لفته (٥) .

وابن القاصح من قراء القرن الثامن الهجري (٨٠١ هـ) ينقل كلام النحاة في جواز الإمالة حيث يقول « الفتح هو الاصل » والإمالة فرع عنه ، فكل ممال يجوز فتحه ، وليس كل ما يفتح يجوز إمالته » (٦) .

وابن الجزري (٨٨٣ هـ) ينقل عن أئمة ما يفهم جواز الإمالة (٧)

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٥ .

(٣) شرح الرضى على شافية ابن الحاجب ج ٣ ص ٥ .

(٤) اللهجات العربية ص ٥٠ .

(٥) انظر كلام سيويه في اول الكلام في هذا الموضوع .

(٦) سراج القارئ ص ١١٦ .

(٧) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٢ .

وينقل كلامه السيوطي (٩١١ هـ) في الاتقان ^(١) ويقول السيوطي في جمع الجوامع « أن الإمالة ، أن تنحى جوازا بالألف نحو الياء » ^(٢) . وقد سبقت عبارة الأشموني ورأيه في تجويز الإمالة ، وبذلك قال صاحب التصريح الشيخ خالد الأزهرى .

والحق اننا لا يجوز ان نرmi النحاة المتأخرين بالخطأ في قولهم بجواز الإمالة ، فعباراتهم — ما عدا الرضى — كما بينت من قبل — لا تحدد الفهم الذي تؤاخذهم به ، ونلومهم عليه ، فهم يريدون بجواز الإمالة جوازها كما يقول السيوطي « بالنظر الى لسان العرب » ^(٣) ، بعد ان اصبحت لغتهم لغة عامة لا قبلية ، فنحن الآن يجوز لنا ان ننطق بامالة ، « طاب » مثلاً على لغة أهل نجد من تميم وقيس وأسد كما يقول الفراء ، كما يجوز لنا أن ننطق بها مفتوحة على لغة قريش ، اما العربي الاول فما كان له ان ينطق بها على غير لهجته مفتوحة او مماله .

هذا هو التفسير الذي يمكننا أن نعتذر به عن النحاة المتأخرين ^(٤) ومن تابعهم من القراء ، ويؤيد هذا التفسير ما أورده النشر ^(٥) ، ونقله عنه السيوطي في الاتقان ^(٦) اذ يقول : واختلفوا : هل الإمالة فرع عن الفتح أو كل منهما أصل برأسه ؟ ووجه الاول ان الإمالة لا تكون إلا لسبب ، فان فقد لزم الفتح ، وان وجد جاز الفتح والإمالة ، وعلل لحكم جواز الإمالة بقوله : « فما من كلمة تمال الا وفي العرب من يفتحها » . أي فما من كلمة تمال عند قبيلة إلا وفي العرب من يفتحها من قبيلة أخرى . وهذا كلام صحيح ، يجيز لنا على مفهومه أن نقول بجواز الإمالة ، قال ابن يعيش :

(١) الاتقان ص ١١٥ .

(٢) جمع الجوامع ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) جمع الجوامع ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٤) ما عدا الرضى الذي كان صريحا بحيث لا نجد سبيلا الى الاعتذار عنه .

(٥) ج ٢ ص ٣٢ .

(٦) ص ١١٥ .

« ونحو ذلك - يشير الى علل الإمالة - مما هو علة للجواز الواو اذا انضمت ضما لازما نحو وقتت وأقتت ، فانضمام الواو امر يجوز الهمزة ولا يوجبها » (١) وهكذا شرح ابن يعيش المقصود من قول النحاة المتأخرين إن علل الإمالة مجوزة لها لا موجبة . فالمسألة مسألة اختلاف في غير الاصول المقررة .

على اننا نذهب الى ابعد مما ذكر الدكتور أنيس فنقول : إن إمالة الافعال الجوف عند حمزة مثلا ، وإمالة ما قبل هاء التأنيث عند الكسائي كانت تجري في قراءة كل منهما جريانا هو أقرب الى الالتزام والوجوب منه الى المراجعة والجواز ، فلما دوت القراءات (٢) ، وعرفت مذاهب القراء المختلفة في الفتح والإمالة جاز للقارئ ان يقرأ الافعال الجوف فيميل عيناتها كما كان يقرأ حمزة ، وأن يقرأها بالفتح كما كان يقرأ ابن كثير .

وهكذا كان شأن كل قارئ من هؤلاء القراء الاولين في قراءته شديد الشبه بالعربي في قبيلته ، فمن كان يفتح من القراء كابن كثير كان يفتح ولا يتخلى عن مذهبه في الفتح ، ومن كان يميل ، كان يميل ولا يتخلى عن مذهبه في الإمالة . وجاء الناس من بعد هؤلاء القراء ممن لم تكن لهم لهجة خاصة ، وانما كانوا يصطنعون اللسان العربي العام فوجدوا مذاهبهم في الفتح والإمالة ، فكان لهم ان يقرأوا فاتحين أو مميلين على طريق الجواز لا الوجوب والله أعلم .

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٠ .
(٢) كان اول من جمع القراءات ابن مجاهد (٣٢٤ هـ)

الفصل السابع

القرآن السبعة والإمامة

أرسل الله سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم) الى الناس كافة « وما أرسلناك إلا كافة للناس » ^(١) « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ^(٢) وأوحى إليه القرآن الكريم ويشره بلسانه « لأنذركم به ومن بلغ » ^(٣) و « ليبشر به المتقين وينذر به قوما لدا » ^(٤) . فكان القرآن هاديا ومتحديا . وأقبل العرب عليه يتلونه ويهتدون بهديه متعبدين ، أو يواجهون تحديه جاحدين ، ولم يكن لهؤلاء وهؤلاء إلا أن يقرأوا بلهجاتهم التي جرت عليها ألسنتهم ، ولا يمكنهم النطق بدونها ، فالهذلي مثلا يقرأ : —

عنى حين . . . ، والأسدي يقرأ « تعلمون . . . » بكسر حرف المضارعة والتميمي يهز ، والقرشي لا يهز ، والآخر يقرأ وإذا قيل وغيض بأشمام الضم الكسر . وهذا ما لا يطوع به كل لسان ^(٥) .

(١) آية « ٢٨ » من سورة سبا .

(٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء ، ثم انظر في تفسير هاتين الآيتين وهو يؤكد عموم رسالة محمد عليه السلام ، ج ١١ ص ٣٥٠ تفسير القرطبي دار الكتب ، ج ١٤ ص ٣٠٠ منه ايضا ، ج ١٧ ص ٧٨ تفسير الطبري المطبعة الميمنية ببصر ، ج ٢٢ ص ٥٨ منه ايضا ثم ج ٧ ص ١٨ من تفسير الفخر الرازي ، ج ٦ ص ٣٤١ من البحر المحيط .

(٣) آية ١٩ من سورة الانعام .

(٤) آية ٩٧ من سورة مريم .

(٥) القرطبي لابن مطرف الكناني ج ١ ص ٢٢٢ ثم انظر النشر ج ١ ص ٢٢ .

وكان الحديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه ... » ميسرا عليهم رافعا الحرج عنهم .

وقد حدث حذيفة بن اليمان مرفوعا قال « قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون اهل الفسق وأهل الكتابين » (١) .

ولما كانت الإمالة لهجة من هذه اللهجات التي جرت على السنة بعض قبائل العرب كما بينا في فصل سابق فهي أحد لحون العرب التي رخص الرسول في قراءة القرآن بها ، قال أبو شامة « القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب لأنه أنزل عليهم كافة ، وأبيح لهم ان يقرءوه على لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك » (٢) .

وكانت هذه الإباحة دليلا على سماحة هذا الدين ، والتيسير منه على المتعبدين . قال مكي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فإن سأل سائل فقال : ما الذي تفيد القراءة على أكثر من حرف ؟ فالجواب ان الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجا في دينهم ، ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم ، وكسأت لغات من انزل عليهم القرآن مختلفة ، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده الى لغة أخرى إلا بعد تكلف مئونة شديدة ، فيسر الله عليهم ان أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ، ليقرا كل قوم على لغتهم ، وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم ، وعلى ما جرت به عادتهم ، فقوم جرت عادتهم بالهمز ، وقوم بالتخفيف وقوم بالفتح ، وقوم بالامالة ، وكذلك الاعراب واختلافه في لغاتهم ، والحركات واختلافها في لغاتهم وغير ذلك ، فتفصح كل قوم وقرءوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٢٦ والنشر ج ٢ ص ٣٠ والاتقان ص ١١٤ ج اول .

(٢) ابراز المعاني ص ٤٨٧ .

منهم ، وكان في ذلك رفق عظيم ، وتيسير كثير لهم ، ونظير هذا في القرآن
 مما رفق الله فيه بعباده ويسر عليهم نزول الفرائض والأحكام والأوامر
 والنواهي لشيء بعد شيء في أكثر من عشرين سنة فكانوا لذلك أقبل ،
 وهو عليهم اسهل ؛ اذ لو نزل كله مرة واحدة لصعب عليهم واشتد ، ولحقهم
 في ذلك عنت وصعوبة ، فمن الله عليهم بنزول شيء بعد شيء من الفرائض ،
 فإذا انسوا بالقرض وعلموا به ، وطال الامر ، وصار عندهم عادة نزل فرض
 آخر ايضا ، حتى كمل الله دينه ، ويسر على عباده ، فنعمة الله لا تحصى ،
 ونظير ذلك ايضا في القرآن إن الله جل ذكره علم أن القرآن لا يجمعه كل
 إنسان في وقت نزوله ، ولا يقف على ما نص فيه جميع العلماء ، فكرر
 القصص والتحذير والتخويف والتوحيد والإخبار عن البعث والنشور
 والحجج على جوازه وغير ذلك في أكثر سور القرآن ليكون من بلغه بعض
 السور وقف على ذلك اجمع ، ومن بلغه البعض الآخر وقف فيه على نحو
 ذلك ، ومن بلغه سورة واحدة وقف على أكثر ذلك ، فلا يفوت احدا منهم
 ما به الحاجة اليه مما أراد الله إعلامه لخلقه (١) » .

وكان أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) سمحا كشريعته
 ودينه ، اذا ما كتب الى القبائل كتب اليها بلغتها التي تفهمها ؛ اذ علم ألسنة
 العرب ، يخاطب كل أمة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها .
 فليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار
 الهمداني ، وطهفة النهدي ، وقطن بن حارثة العليمي ، والأشعث بن قيس ،
 ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقبال حضرموت وملوك اليمن ، وانظر
 كتابه الى همدان (٢) .

(١) الإبانة لمكي بن أبي طالب ص ٧ .

(٢) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض وما بعدها ج ١ ص ٣٨٧ .

« إن لكم فرأعها وَوَهَّاطها ^(١) وعَرَازها ^(٢) » تأكلون عِلَاقَها ،
وترَعَوْنَ عَنَّاها ، لنا من دِرْفَتِهِمْ وصِرَامِهِمْ ^(٣) ما سلموا بالميثاق والأمانة ،
ولهم من الصدفة الثَّلَب ، والنب ، والفارض والداجن ^(٤) والكبش
الْحَوْرِي ^(٥) وعليهم الصَّالِغُ والقَارِحُ ^(٦) .

وكتابه الى النهدي :

لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ^(٧) ، ولكم العارض ، والقَرِيشُ ،
وذو العِنَانِ الركوب ، والفَلَوُ الضَّبَّيسُ ^(٨) ، لا يَمْنَعُ سَرَحَكُم ، ولا
يَعْضَدُ طَلْحَكُم ، ولا يَجْبَسُ دَرَكُم ^(٩) ولا يُوْكَلُ كَلْكُم ، ما لم
تُضْمِرُوا الإِمَاقَ ^(١٠) ، وتأكلوا الرِّبَاقَ ^(١١) ...

وكتابه الى وائل بن حجر وأهل حضرموت .

-
- (١) مرتفعاتها ومنخفضاتها .
(٢) العزاز ما صلب من الارض .
الدف = نتاج الإبل وما ينتفع به منها سمي دفئا لانه يتخذ من اوبارها
واصوافها ما يستدفا به . والمراد هنا الإبل والغنم .
(٣) الصرام النخل .
(٤) الثلب الجمل تكسرت انيابه هرما . والداجن الشاة التي يطفها الناس في
منازلهم .
(٥) الكبش الحوري منسوب الى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضأن
وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ .
(٦) الصالغ هو من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه ويكون ذلك في السنة
السادسة والقارح الفرس اذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .
(٧) الفريضة - الهرمة المسنة .
(٨) العارض المريضة ، والفريش التي وضعت حديثا . ذو العنان الركوب
الفرس الذلول الفلو المهر الصغير الضببيس العسر الصعب الذي لم يرض .
(٩) الدر اللبن والمراد ذوات الدر من المواشي اراد انها لا تحشر الى المصدق
وتمنع المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم تعد لما في ذلك من الاصرار .
(١٠) الاماق مخفف من الاماق ترك الهمز منه ليوازن الرباق ، والاماق نكت
العهد من الالفة .
(١١) الرباق جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من
يدها او عنقها كل عروة ربقة بالكسر والفتح .

الى الأفيال العَبَاهِلَة (١) والأرواع المشاييب (٢) في التَّيْعَة (٣) شاة ، لا مقوَّرةَ الألباطِ ولا ضِنَّاك (٤) وأنطُوا التَّجَّة (٥) . وفي السَّيُوب الخمس ، ومن زنى مِمَّ بكر فاصفوه مائة ، واستوفضوه عاما ، ومن زنى مم ثيب فضرَّجُوهُ بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين (٦) ولا غُمة في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام ، ووائل بن حجر يترفل (٧) على الاقيال .

هكذا كان شأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) اذا ما كتب وكذلك كان شأنه اذا ما أقرأ ، وقد جوز الباقلاني ان يكون « عليه السلام » أقرأ واحدا بعض القرآن بحرف ، وبعضه بحرف آخر على ما يراه أيسر على القارئ (٨) .

ويحدثنا أبو البقاء علي بن عثمان بن الحسن القاصح العذري في كتابه قرّة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين في باب ذكر الأئمة والرواة ، اعلم أن الإمالة تروى عن نافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي ، وأما ابن كثير فانه لم يمل شيئا في جميع القرآن (٩) . وعبرة الامام الجعبري

-
- (١) العباهلة الذين أقرأوا على ملكم فلم يزالوا عنه (بالبناء للمجهول) .
(٢) الارواع جمع أروع وهو من يعجبك بحسن منظره او لشجاعته كالرائع والمشايب - السادة الرءوس الحسان المناظر .
(٣) التبعة اسم لادنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان كالخمس من الابل والاربعين من الغنم .
(٤) الضاك الكثير اللحم للذكر والانثى والمراد به انه لا تؤخذ المفرطة في السمن كما لا تؤخذ الهزيلة .
(٥) انطوا اعطوا ، التبعة الوسط من المال التي ليست من خياره ولا رذالته ، احدا من تبعة الناقة ما بين الكاهل الى الظهر .
(٦) التوصيم الفترة والتواني أي لا تفتروا في اقامة الحدود ولا تتوانوا اليها .
(٧) يترفل أي يسود ويترأس استعارة من ترقيل الثوب . انظر شرح الالفاظ من جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٦ وما بعدها .
(٨) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٦١ .
(٩) قرّة العين مخطوط رقم ٣٠٣ قراءات دار الكتب ص ٢ .

في شرحه حرز الاماني أدق من عبارة ابن القاصح واكثر تفصيلا اذ يقول :
القراء أقسام منهم من لم يمل شيئا وهو ابن كثير ومنهم من أمال وهم
قسمان .

أ - مقل وهم « قالون ^(١) وابن عامر وعاصم » .

ب - ومكثر وهم ورش ^(٢) وأبو عمرو وحمة والكسائي ^(٣) .

وابن الجزري يعطينا في كتابه منجد المقرئين قضية عامة اذ يقول « وما
أحد من القراء إلا رويت عنه امالة قلت أكثر ^(٤) » واذن قد روى عن ابن
كثير امالة . وإن كان الجزري لم يبين ذلك فقد بينها الداني في كتابه
الموضح ، اذ ذكر ان ابن كثير في رواية البزي عنه انه كان يقرأ الهاء والياء
مكسورة من قوله تعالى « كهيعص » ^(٥) .

وتعطينا كتب القراءات المواضع التي أمالها القراء جملة وتفصيلا ،
فبعضهم يذكر قواعد عامة ويضرب لها الأمثلة ، وبعضهم يستقصي جميع
الأحرف الممالاة ومن أمالها من القراء في تفصيل « ونكتفي هنا بما ذكره
الداني في التيسير ^(٦) في حديثه عن الاحرف التي أمالها القراء ، قال
(رحمه الله) :

« أعلم أن حمزة والكسائي كانا يميلان كل ما كان من الأسماء
والأفعال من ذوات الياء فلاسماء نحو قوله (عز وجل) موسى ، وعيسى ،
ويحيى الموتى ، وطوبى ، واحدى ، وكسالى ، وأسارى ، ويتامى ، وفرادى ،

(١) أحد راويي نافع .

(٢) أحد راويي نافع .

(٣) شرح جرز الاماني للجبيري ورقة ١٢٠ مخطوط بدار الكتب برقم ٦١٢
قراءات .

(٤) منجد المقرئين ص ٦٠ .

(٥) الموضح للداني ورقة ٥٧ .

(٦) التيسير باب الامالة .

والنصارى ، والايامى ، والجوايا ، وبشرى ، وذكرى ، وسيمى ، وضيرى
وشبهه مما ألفه للتأنيث ، وكذلك الهدى والعمى ، والضحى ، والزنى ،
وماويه ، وماويكم ، ومثويه ومثويكم ، وما كان مثله من المقصور ، وكذلك
الادنى ، وأزكى ، وأولى ، والأعلى ، وشبهه من الصفات •

والافعال نحو قوله تعالى : أبى ، وسعى ، وزكى ، وفسوى ، ويخفى ،
وتهوى ، ويرضى ، وشبهه مما ألفه منقلبة من ياء ، وكذلك امالا أئتى التي
بمعنى كيف نحو قوله « أنى شتتم وأنى لك وشبهه ، وكذلك متى وبلى
وعسى حيث وقع ، وكذلك ما أشبهه مما هو مرسوم في المصاحف بالياء ما
خلا خمس كلم وهن ، حتى ، ولدى ، وعلى ، والى ، وما زكى ، فانهن
مفتوحات باجماع ، وكذلك جميع ذوات الواو من الاسماء والافعال :
فالاسماء نحو الصفا ، وسنا برقه ، وعصاه ، وشفا جرف ، وأبا أحد وشبهه •

والافعال نحو خلا ، ودعا ، وبدا ، ودنا ، وعفا ، وعلا ، وشبهه ما لم
يقع شيء من ذلك بين ذوات الياء في سورة أواخر آيها على ياء أو يلحقه
زيادة نحو قوله عز وجل « يدعى ، وتتلّى ، وفمن اعتدى ، ومن استعلى ،
وأنجيكم ، وكذلك نجيانا ونجيكم ، وزكيها وشبهه ، كان الإمالة فيه سائغة
لانتقاله بالزيادة الى ذوات الياء •

وقرا ابو عمرو ما كان من جميع ما تقدم فيه راء بعدها ياء بالإمالة ، وما
كان رأس آية في سورة أواخر آيها على ياء ، أو هاء ألف ، أو كان على وزن
فعلي أو فعلي أو فعلي بفتح الفاء وكسرهما وضمها ولم يكن فيه راء بين
اللفظين وما عدا ذلك بالفتح •

وقرا ورش جميع ذلك بين اللفظين إلا ما كان من ذلك في سورة أواخر
آيها على هاء ألف ، فانه أخلص الفتح فيه على خلاف بين أهل الاداء في ذلك •
هذا اذا لم يكن في ذلك راء وهذا الذي لا يوجد نص بخلافه عنه •

أمال أبو بكر رمى في الاثقال (١) واعمى في الموضعين فسي سبحان
الذي (٢) ، وتابعه أبو عمرو على امالة اعمى في الاولى لا غير وفتح ما عدا
ذلك .

وامال حفص مجريها في هود (٣) لا غير .
وقرأت من طريق اهل العراق عن ابي عمرو يا ويلتي (٤) ، ويا حسرتي (٥)
وأنى ، اذا كانت استفهما بين اللفظين ، ويا أسفي بالفتح ، وقرأت ذلك
بالفتح من طريق اهل الرقة ، وأمال ذلك حمزة والكسائي على أصلهما .
وقرا الباكون باخلاص الفتح في جميع ما تقدم .

وقبل ان نأخذ في التعليل لمذهب كل إمام من هؤلاء الأئمة في الاقلال
أو الاكثار من الامالة نوجه النظر الى اننا نقرر غير ما انتهى اليه القراء
من ان عاصما كان مقلا ، فقد كان مكثرا من الامالة اكثارا يدعو الى الدهشة مما
دوى عنه من الاقلال او نسب اليه . وهذه القضية التي انتهت اليها سأتناولها
في هذا الفصل بالإيضاح والتعليل والتفسير إن شاء الله — سأعلل لما أثر عن
عاصم من الاكثار في الامالة كما اعلل لما اشتهر به من الاقلال فيها ، ووافق بين
ما أثر عنه ، وما اشتهر به .

ثم نضع بين يدي التعليل لمذاهب القراء الحقائق الآتية . وهي خاصة
بالبينات التي عاش فيها عاصم الكوفي ، وأبو عمرو البصري ، وحمزه ،
والكسائي .

-
- (١) س ١٧٢٨ .
(٢) س ٧٦٢ ١٧ .
(٣) س ٤١٢ ١١ .
(٤) س ٨٢٢ ٢٥ ، ٧٢٢ ١١ ، ٣١٢ ٥ .
(٥) س ٥٦٢ ٣٩ .

(١) ان اختطاط الكوفة وتمصيرها كان سنة ١٧ هـ اختطها سعد بن أبي وقاص (١) .

(٢) وان اختطاط البصرة وتمصيرها كان سنة ١٤ هـ اختطها عتبة بن غزوان (٢) .

(٣) ان سعدا أنزل القبائل منازلهم في الكوفة ، وكان من بينهم تميم واسد (٣) .

ثم تقدم ما في الجدول الآتي من الحقائق التي تعين على معرفة شيوخ الأئمة القراء الذين قرءوا عليهم وأخذوا عنهم .

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٨٩ .
(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٩ .
(٣) المصدر السابق .

ملاحظات	امتل هوام مكثر في الإمامة	راوياه	شيوخه	الإمام وتاريخ وفاته
أبو الدرداء انصاري خزرجي أحد الذين جمعوا القرآن حفظه على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) . ولي قضاء دمشق (١) . الغيرة بن شهاب المخزومي (٢) . عثمان بن عفان القرشي (٣) .	مقل	له راويان يرويان عنه بوسائط : هشام السلمي (٢٤٦) هـ ابن ذكوان القرشي (٢٤٣) هـ	عروض على أبي الدرداء والغيرة بن شهاب صاحب سبلنا عثمان وعروض على سيدنا عثمان نفسه .	عبدالله بن عامر (الدمشقي ١١٨ هـ)
عبدالله بن السائب المخزومي قاريء أهل مكة (٥) وهو الذي بعث عثمان (رضي الله عنه) معه بمصحف إلى أهل مكة - لا كتب المصاحف وسيرها إلى الأمصار وأمره أن يقرء الناس بمصحفه (١) البزي - مولى بني مخزوم مؤذن المسجد الحرام ٤٠ سنة .	مقل بل لم يرو عنه إمالة في قول الجعبري	له راويان يرويان عنه بوسائط : البزي ٢٥٥ هـ قنبل ٣٩١ هـ	عبدالله (٤) بن السائب	ابن كثير المكي ٤٥ هـ - ١٣٠ هـ

- (١) طبقات القراء ج ١ ص ٦٠٦ .
(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٥٠٧ .
(٣) طبقات ج ١ ص ٤٢٠ .
(٤) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٥) طبقات القراء ج ١ ص ٤٤٣ .
(٦) ابرار المعاني ص ٢١ .

ملاحظات	أماثل هو أم مكرر في الإمالة	راوية	شيوخه	الإمام وتاريخ وفاته
أبو عبد الرحمن السلمي تعلم القرآن من عثمان (رضي الله عنه) وعرض على علي . زاد - عرض على عثمان ، وعلى ابن مسعود الشيباني - عرض على ابن مسعود	مقل في المشهور عنه مكرر فيما انتهينا إليه من تتبع واستقصاء للمأثور له .	حفص الأسدي الكوفي (١٨٠ هـ) أبو بكر الأسدي الكوفي (١٩٣ هـ)	أبو عبد الرحمن السلمي (٧٤ هـ) زاد بن حبيش الأسدي الكوفي (٨٢ هـ) أبو عمرو الشيباني الأسدي الكوفي (٩٦ هـ)	عاصم الكوفي ١٢٧ هـ
أبو عمرو تميمي (٤) ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة (٤)	مكرر	له راويان يرويان عنه بواسطة (يحيى بن البارك الزبيدي) حفص الدوري (٢٤٦ هـ) السوسي (٢٦١ هـ)	يقرأ علي نافع (١) وابن كثير (٢) . وجماعة من جملة التابعين بالحجاز والمراق .	أبو عمرو البصري (١٥٤ هـ)
كان الأعمش يحدو حرف ابن مسعود . وكان ابن أبي ليلى يحدو حرف علي . وكان أبو اسحق يقرأ من هذا الحرف ، ومن هذا الحرف	مكرر	له راويان يرويان عنه بواسطة سليم خلف (٢٢٩ هـ) خلا (٢٣٠ هـ)	عرض علي : سليمان الأعمش حمران بن أعين	حمزة الكوفي (١٥٦ هـ)

(٢) طبقات القراء وص ٢ الإبانة ج ٢

ص ٣٣١ .

(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٢ .

(١) ابراز الحاني ص ٥ .

(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨ .

ملاحظات	امتل هو أم مكرر في الإمالة	راوياه	شيوخه	الإمام وتاريخ وفاته
وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان، وهذا كان اختيار حمزة (١) .			ابن اسحق السبيعي محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى	
قالون ، مدني . ورش ، مصري .	قالون مقل في روايته (عن نافع) ورش مكرر	له راويان من غير واسطة قالون (٢٥هـ) ورش (١٩٧هـ)	قرأ على سبعين من التابعين (٢) .	نافع المدني (١٦٩هـ)
الكسائي ١ - مولي الأسديين (٣) . ٢ - كان يتخير القراءات .	مكرر	له راويان من غير واسطة أبو الحرث (٢٤٠هـ) والدوري (٢٤٦هـ)	قرأ على حمزة أربع مرات عرضا وعليه اعتماده .	الكسائي (١٨٩هـ)

- (١) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٢ .
(٢) ابراز المعاني ص ٥١ .
(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥ .

ونستطيع أن نستخلص من الجدول السابق الحقائق الآتية : —

(١) ان الميلين من القراء عاشوا في بيئة عراقية (في الكوفة أو البصرة) إذا استثنينا (نافعا المدني) وسنعمل لمذهبه فيما بعد إن شاء الله .

(٢) ان هؤلاء الأئمة الميلين — ما عدا عاصما — أدركوا النصف الثاني من القرن الثاني الهجري :

فأبو عمرو البصري يتوفى سنة (١٥٤هـ)

وحمزة الكوفي « « (١٥٦هـ)

ونافع المدني « « (١٦٩هـ)

والكسائي الكوفي « « (١٨٩هـ)

• أما عاصم فقد توفي سنة ١٢٧ وفي رواية أخرى انه توفي سنة ١٣٠ .

(٣) أما غير الميلين من القراء فماتوا قبيل نهاية الربع الاول من القرن الثاني الهجري :

فعبدا الله الدمشقي يموت سنة ١١٨ هـ

وابن كثير « « ١٢٠ هـ

وإنما اهتمنا بتسجيل هذه الحقائق لأننا نريد أن نربط بين البيئات التي عاش فيها هؤلاء الأئمة، والقبائل التي استوطنت هذه البيئات، ومذاهبها في الفتح أو الإمامة، والأزمان التي تكفي لهذه القبائل أن تتكاثر وتتناسل منذ تأسيس البصرة سنة ١٤ هـ وتأسيس الكوفة سنة ١٧ هـ وتفرغ أفرادها إلى اقراء القرآن في مدة يتلقى بعدها هؤلاء القراء عن شيوخهم المقرئين من أفراد هذه القبائل أو غيرهم .

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل ان عاصما الكوفي — وهو أقدم الأئمة الميلين، وأسبقهم يكون من شيوخه اسديان كوفيان هما زر بن حبیش

الأسدي الكوفي (٨٨٢) وأبو عمرو الشيباني الأسدي الكوفي (٨٩٦)
وأن هذين عاشا بعد شيخ عاصم الاول أبي عبد الرحمن السلمي الذي توفي
سنة (٨٧٤) ، وإن الاولين يمثلان مدرسة الإمامة عند عاصم كما سنوضح
بعد ، وذلك يعزز ما ذكرناه من قبل من أن طبيعة الاشياء تقضي بمضي مدة
تستحصف فيها ما نسميه هنا المذاهب الأدائية ، وتستقر فيها القبائل النازلة
في الكوفة والبصرة ، حتى تفرغ الى العلم والتعليم والاقراء .

وعلى ذلك نستطيع أن نرجع مذهب كل إمام من هؤلاء الأئمة الى أحد
عاملين أو هما معا :

- (أ) شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم .
 - (ب) البيئات التي توطنوها وما شاع فيها من لهجة الفتح أو الإمامة .
- ولنأخذ في تطبيق ذلك على القراء قارئاً قارئاً .

(١) عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ)

فعبدا لله بن عامر (١٧٨ هـ) اليحصبي الدمشقي أسن القراء السبعة
وأعلامهم سنداً قرأ على جماعة من الصحابة بمحتى قيل أنه قرأ على عثمان بن
عفان (رضي الله عنه) (١) وعثمان بن عفان قرشي حجازي (٢) ، فكان من
الطبيعي أن تكون قراءة الفتح هي الطابع العام لقراءة عثمان ، ثم إن ابن
عامر قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان ، ثم هو كذلك
قد عرض على أبي الدرداء الأنصاري في جامع دمشق ، فقد حدثوا أن أبا
الدرداء (رضي الله عنه) كان إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس
للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو
في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه ، فإذا غلط

(١) ابراز المعاني لأبي شامة ص ٦ .

(٢) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٥٠٧ .

عريفهم رجع الى أبي الدرداء فسأله عن ذلك ، وكان ابن عامر عريفاً على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر (١) .

فابن عامر - وهذه صلته بسيدنا عثمان القرشي ، ثم بصاحب سيدنا عثمان ، وهو أبو شهاب المخزومي ، ثم أخذه عن أبي الدرداء الأنصاري الخزرجي ، من الطبيعي أن يكون مقلداً في الإمامة غير مكثراً فيها .

(٢) ابن كثير (ت ١٢٠ هـ)

وابن كثير المكي (٢) (١٢٠ هـ) ولد بمكة سنة (٤٥ هـ) وظل ثلاثة أرباع قرن بمكة مقيماً فيها (٣) ولم يزل هو الإمام المجمع عليه في القراءة بمكة حتى مات بها (٤) ويقرأ في هذه البيئة الحجازية على عبدالله بن السائب المخزومي قارئ أهل مكة بأمر من عثمان (٥) .

فهو الذي بعث عثمان (رضي الله عنه) معه بمصحف الى أهل مكة لما كتب المصاحف وسيرها الى الأمصار ، وأمره أن يقرئ الناس بمصحفه (٦) . وروى ابن كثير أيضاً يقرأ على مجاهد بن جبر أبي الحجاج المكي أحد الاعلام التابعين والأئمة المفسرين (٧) - ثم هو يقرأ أيضاً على درباس مولي عبدالله بن عباس (٨) . واذن كان من الطبيعي وهذه البيئة الحجازية الضاربة اطنابها حول ابن كثير ، في هذا العمر المتطاول ، وهؤلاء الشيوخ الحجازيون الذين أخذ القراءة عرضاً عنهم ، ثم توليه إمامة الإقراء بمكة - كان من الطبيعي أن يمعن ابن كثير في الفتح ولا يميل ، حتى أن بعضهم حكى

(١) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٦٠٦ .

(٢) انظر ابراز المعاني لابي شامة ص ٢١ .

(٣) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٤٤٥ .

(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٤٢٠ .

(٥) ابراز المعاني ص ٢١ .

(٦) طبقات القراء ج ٢ ص ٤١ .

(٧) طبقات القراء ج ١ ص ٤٤٣ .

(٨) المصدر السابق .

عنه انه لم يمل شيئا في القرآن (١) .

(٢) عاصم (ت ١٢٧ هـ)

وأما عاصم فالمشهور عنه من كتب القراءات انه مقل في الإمامة (٢) ولكن التبع الدقيق لقراءة عاصم وأسانيد روايته عنه يهدينا الى شيء لم يشتهر به عاصم، ولكنه اثر عنه، يهدينا الى انه كان من المكثرين كثرة غامرة .

فلم تقتصر إمامته فقط على « مجريها » في رواية حفص عنه ، ولا على رمي في الافعال ، واعنى في موضعي سبحان في رواية أبي بكر كما جاء في التيسير للداني (٣) والشاطبية للشاطبي (٤) ، بل المروي غير ذلك ، فقد روى الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم إِمالات أحرف تتبعتها في كتاب الموضح للداني ، وحصرتها فخرجت منها بنتيجة تخالف المشهور عن عاصم في كتب القراء ، ولكن هذه النتيجة على كل حال تفسر لنا التساؤل الذي كان يدور دائما حول عاصم كيف - مع انه كوفي - يكون مقلا في الإمامة ؟ .

فقد روى الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه أمال ما ورد في كتاب الله تعالى من الأسماء التي الرأ في آخرها مجرورة وقبلها ألف زائدة أو مبدلة ، وقد قسمها الداني في كتابه الموضح عشرة أقسام :

(١) القسم الأول - ما ورد في كتاب الله تعالى من الاسماء التي الرأ في آخرها مجرورة وقبلها ألف وكان على وزن أفعال - وأحصاه الداني بأربعة وأربعين موضعا (٥) من مثل وعلى ابصارهم في البقرة ، ولأولي الأبصار في آل عمران .. الخ .

(١) شرح الجعبري لحرز الاماني ورقة ١٢٠ .

(٢) انظر قرّة العين لابن القاصح ورقة ١٢٠ من شرح الجعبري .

(٣) التيسير .

(٤) الشاطبية .

(٥) الموضح للداني ص ٣٥ .

(ب) والقسم الثاني - ما ورد من ذلك على وزن فَعَّال ، وجميع الوارد منه سبعة عشر موضعا مثله كل كفار - بكل سَحَّار (١) .

(ج) والقسم الثالث ما ورد من ذلك على وزن فِعَال وجميع الوارد من ذلك ثمانية عشر موضعا من دياركم ومن ديارهم والى حمارك في البقرة (٢) .

(د) والقسم الرابع - ما ورد من ذلك وزن فُعَّال وجميع الوارد من ذلك ثمانية مواضع كالفُجَّار في سورة (ص) (٣) .

(هـ) والقسم الخامس - ما ورد من ذلك على وزن فَعَّال ، وجميع الوارد من ذلك اثنان وثلاثون موضعا ، مثاله واختلاف الليل والنهار في البقرة (٤) .

(و) القسم السادس - ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن فَعَل بفتح الفاء والعين مع تخفيفها ، واذا انقلبت عينه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وجميع الوارد من ذلك تسعة وثمانون موضعا مثاله والجارِذي القربى والجارِ الجنب في النساء (٥) .

(ز) والقسم السابع - ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن فِعَال بكسر الفاء وتشديد العين في الأصل لا في اللفظ وذلك موضع واحد في آل عمران وهو قوله تعالى بدينار (٦) .

(ح) - والقسم الثامن - ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن فَعْلال وذلك موضع واحد في آل عمران قوله بقطار (٧) .

(١) الموضح للداني ص ٤١ .

(٢) الموضح للداني ص ٤٣ .

(٣) الموضح للداني ص ٤٤ .

(٤) الموضح للداني ص ٤٤ .

(٥) الموضح للداني ص ٤٦ .

(٦) الموضح للداني ص ٥٠ .

(٧) الموضح للداني ص ٥١ .

(ط) والقسم التاسع - ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن مفعال وذلك موضع واحد في الرعد قوله بمقدار (١) .

(ي) والقسم العاشر - ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن أفعال وذلك (والأبكار) في موضعين : آل عمران والمؤمن (٢) .

وقد روى الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أيضا انه امال .

(١) الجوار وجملة الوارد منه ثلاثة مواضع (٣) .

(٢) لفظ كافرين والكافرين اذا كانا في موضع نصب او خفض ، وهو كثير الدور ومعرفته لا تشكل - على حد قول الداني (٤) .

(٣) وما جاء من لفظ الناس مجرورا قال الداني : وهو كثير الدور ومعرفته لا تشكل (٥) .

(٤) وكان عاصم في رواية الشموني عن الاعشى عن ابي بكر عنه - يقف على هاء التأنيث بالامالة الخالصة (٦) كما روى حفص عن عاصم :

(١) امالة بشرى في البقرة والنمل (٧) .

(٢) والتوراة (٨) .

(٣) وإانة (٩) .

-
- (١) الموضح للداني ص ٥١ .
 - (٢) المصدر السابق ص ٥٢ .
 - (٣) المصدر السابق ص ٦٧ .
 - (٤) المصدر السابق ص ٧٠ .
 - (٥) المصدر السابق ص ٧٢ .
 - (٦) المصدر السابق ص ٣١٥ .
 - (٧) المصدر السابق ص ٩٣ .
 - (٨) المصدر السابق ص ١٤٣ .
 - (٩) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٤) لمن اشتراه في البقرة بالإمالة (١) .

(٥) فتحة الراء والالف بعدها في تراءى الجمعان في حال الوصل (٢) .

(٦) وما كان من لفظ ترى ويرى ونرى بالتاء والياء والنون (٣) .

(٧) (إني أراك) «في الانعام» (إني أرى ما لا ترون) «في الانفال»

ولكنني أراكم ، «إني أراكم» «في هود» ، (إراني) اعصر خمرا ، (أراني)

احمل في «يوسف» اسمع (وأرى) «في طه» .

أني (أرى) في المنام في الصافات .

إلا (ما أرى) في المؤمن .

ولكن (أراكم) في الاحقاف (٤) .

(٨) بل جاء في كتاب الحجة - حدثنا ابن مجاهد قال حدثنا الخزاز عن

محمد بن يحيى عن أبي الربيع عن حفص عن عاصم مؤصدة والمشأمة بالكسر

فيهما قال غير احمد يعني اذا وقف، فاما اذا وصل فالفتح لا غير (٥) .

وقد روى ذلك ابو بكر عنه (٦) .

وهكذا كان عاصم مكثرا من الإمالة كزملائه العراقيين : البصري أبي

عمرو والكوفيين حمزة والكسائي . الى حد انه أمال ما قبل هاء التأنيث

وهو مذهب معروف للكسائي روى ذلك ابو بكر عنه (٧) ، كما رواه حفص

ايضا (٨) .

(١) الموضح للداني ص ٢١٦ .

(٢) الموضح للداني ص ٢١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ص ٣٨١ ج ٧ .

(٦) الموضح للداني ص ٣١٥ .

(٧) المصدر السابق ص ٣١٥ .

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٨١ .

وقد دعنتني هذه النتيجة التي استرعت نظري، ونبهتني الى شيء جديد، الى البحث عن الشموني والأعشى وهما اللذان روى عن أبي بكر وعاصم والتعرف على مبلغ دقتهما - وتحريهما الضبط ، ودرجة ما لهما في نفوس الناس من ثقة ، فتسبعت اخبارهما في كتب التراجم ، فوجدت انهما عدلان مشهوران بالضبط ، فالشموني فيما يقول ابن الجزري عنه مقررء ضابط مشهور ، وهو اجل اصحاب الأعشى وأحدقهم^(١) ، والأعشى أجل اصحاب ابي بكر ، قال ابو بكر النقاش عنه ، كان الاعشى صاحب قرآن وفرائض ولست أقدم عليه أحدا في القراءة على أبي بكر^(٢) . « وقد قرأ عليه القرآن مرتين^(٣) . واذن نحن مطمئنون - ازاء هذا - الى صدق ما رواه الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم .

بقي سؤالان تحسن الإجابة عنهما اتاماً للحديث عن عاصم .

أول هذين السؤالين لماذا اشتهر عن عاصم غير المأثور عنه ؟ لماذا اشتهر عنه الإقلال في الإمالة مع ان المروى عنه الاكثار فيها ؟

والآخر من هذين السؤالين لماذا انفرد ابو بكر برواية الإمالة عن عاصم هذا الانفراد الظاهر في مظهر غامر . . على حين رويت عن حفص إمالة في احرف قليلة ؟ بل إن المشهور عنه أقل من ذلك القليل إمالة مجريها فقط في جميع القرآن . .

ليس لدينا للرد عن السؤال الاول ، والتعليل لهذا التخالف بين المشهور عن عاصم والمروى عنه إلا ما يذكر في مثل هذه الحالات من ان القارئ له قراءتان : احدهما قديمة عدل عنها ، والاخرى جديدة اختارها ورواها كثير من الرواة عنه ويفسر ذلك ما روى عن الكسائي :

(١) طبقات القراء ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) هو ابو بكر بن عياش راوي عاصم .

(٣) انظر طبقات القراء ج ٢ ص ٣٩٠ .

قال أبو الحرث كان يقرأ نخرة ثم رجع الى نخرة (١) .

والى جانب ذلك يجب ان يكون في حسابنا عند التعليل لهذا التخالف بين المشهور عن عاصم (١٢٧هـ) والمروى عنه أنه كان اسبق قراء العراق ، فقد سبق كلا من حمزة الكوفي (١٥٦هـ) وأبا عمرو البصري (١٥٤هـ) بنحو ربع قرن ، وسبق الكسائي الكوفي (١٨٩هـ) بنحو من ستين عاما ، فلعل القبائل العربية المميلة النازعة الى العراق لم تكن قد تمت سيطرتها اللغوية المتفصحين من الكوفيين في عهد عاصم ، ولعلها لم تكن قد تناسلت وتكاثرت بحيث تجعل عاصما يثبت على الميل الذي رواه عنه ابو بكر ، فكانت قراءته في الفتح أقرب الى قراءة أهل المدينة . والظاهر أنه لم يكن متأثرا بهم في الميل الى الفتح فقط بل في عد آيات المصحف ايضا ، فقد روى عن يحيى بن آدم عن أبي بكر قال « لم يكن عاصم يعد (ألم) آية ، ولا (حم) آية ولا (كهيعص) آية ولا (طه) آية ، ولا نحوها لم يكن يعد شيئا من هذا آية قلت (أي ابن الجزري) وهذا خلاف ما ذهب اليه الكوفيون في العدد (٢) » .

ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا جعل ابن حنبل قراءة عاصم تالية لقراءة أهل المدينة عندما سأله ابنه عبدالله . أي القراءات احب اليك ؟ ، قال « قراءة أهل المدينة فان لم تكن فقراءة عاصم » (٣) .

وقد كان عاصم إمام القراءات بالكوفة في عهده . وكانت الكوفة أكبر مدارس العالم الإسلامي في قراءة القرآن ومدارسته ، وكان مسجد الكوفة يجمع بأصوات القراء في كل وقت فكأنما يعلو دوي النحل من جوانبه ، فكان هذا الامام (عاصم) جامعا للقراءات ووجوها والروايات وأسانيدها فجمع الامالة والفتح ، ثم اشتهرت عنه رواية الفتح لما ذكرنا .

(١) الحجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٤٠ .

(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٢٤٨ .

(٣) المصدر السابق .

وأما الإجابة عن السؤال الآخر فواضحة من تتبع شيوخ عاصم ، وما كان يقرئ به كلا من راويه ، فالمعروف ان عاصم قرأ على زر بن حبيش وهذا أسدي كوفي ، ثم قرأ على أبي عمرو الشيباني ، وهو أسدي كوفي كذلك (١) ومعروف ان بني أسد ميلون (٢) هذا الى ان قراءة عاصم تنتهي الى عبدالله بن مسعود كما تنتهي قراءة حمزة والكسائي (٣) ومن هنا نجز لانفسنا ان نسمي هؤلاء الشيوخ « مدرسة الإمامة في قراءة عاصم » .

وبجانب هؤلاء الشيوخ اصحاب المدرسة المييلة ، شيخ آخر لعاصم من بني سليم هو ابو عبد الرحمن السلمي (٤) . وقد حدث ابو بكر بن عباس قال : قال لي عاصم : « ما اقرأني أحد حرفاً إلا ابو عبد الرحمن السلمي ، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر » .

وإذن قد كانت هناك مدرستان لعاصم : احدهما ممثلة في السلمي يؤثر عنها الفتح ، والاخرى ممثلة في زر بن حبيش - يؤثر عنها الإمامة ، فما أثر هاتين المدرستين في رواية كل من أبي بكر وحفص عن عاصم ، لقد روى أبو بكر عن عاصم إمامة غامرة كما رأينا ، ولم يرو حفص عن عاصم إلا مجريها في المشهور عنه، فهل اتصلت رواية ابي بكر بشيوخ عاصم زر أو الشيباني من أصحاب المدرسة المييلة ؟ وهل اتصلت قراءة حفص بشيخ عاصم أبي عبد الرحمن السلمي وهو صاحب المدرسة الفاتحة ؟

يجيب عن هذا ما رواه حفص عن عاصم اذ قال : قال لي عاصم : « ما كان من القراءة التي اقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على ابي عبد الرحمن السلمي عن علي ، وما كان من القراءة التي اقرأتها ابا بكر بن عياش - وهو أكثر في رواية الإمامة عن عاصم كما انتهينا اليه من قبل - فهي القراءة

(١) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .

(٢) انظر الفصل السابق .

(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .

(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .

التي كنت اعرضها على زبد بن حبيش عن ابن مسعود (١) .
 وبهذا النص وبما ذكرناه من قبل نستطيع ان نفهم في وضوح لا لبس
 معه ولا خفاء فيه موقف كل من أبي بكر وحفص في روايتهما عن شيخهما
 عاصم . كما يفسر لنا ونحن مطمئنون : لماذا أكثر ابو بكر من الإمامة في
 روايته عن عاصم ، وقلل حفص منها ؟

(٤) أبو عمرو البصري (ت ٨١٥هـ)

والامر مع أبي عمرو البصري واضح فهو تميمي اولا (٢) ، وتظهر أثر
 البيئة العراقية عنده ظهورا واضحا ، ومذهبه في الإكثار من الإمامة يتسق
 هو وهذه البيئة ، فقد نشأ ابو عمرو بالبصرة (٣) ، وقرأ فيما يقول ابن
 الجزري في البصرة والكوفة على جماعة كثيرة (٤) ، وتوجه مع أبيه لما هرب
 من الحجاج ، فقرأ بمكة والمدينة ، ويكون من شيوخه المكيين حميد ابن
 قيس الأعرج (٥) ، وعبدالله بن كثير (٦) ، وعكرمة بن خالد المخزومي (٧) ،
 وعطاء بن ابي رباح (٨) ، ومجاهد بن جبر ابو الحجاج (٩) ومحمد بن عبد
 الرحمن بن يحيى السهمي (١٠) .

ويكون من شيوخه المدنيين شيعة بن نصاح مرقى المدينة (١١) وابو

-
- (١) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .
 - (٢) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨ ربط مذهب ابي عمرو في ذوات الرأ بما رواه
 المبرد في المقتضب من ان بني تميم يميلون ذوات الرأ . .
 - (٣) طبقات القراء ج ١ ص .
 - (٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٩ .
 - (٥) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٥ .
 - (٦) طبقات القراء ج ١ ص ٤٤٣ .
 - (٧) طبقات القراء ج ١ ص ١١٥ .
 - (٨) طبقات القراء ج ١ ص ٥١٣ .
 - (٩) طبقات القراء ج ٢ ص ٤١ .
 - (١٠) المصدر السابق ج ص ١٦٧ .
 - (١١) طبقات القراء ج ١ ص ٣١٩ .

جعفر يزيد ابن القعقاع (١) ، ونافع المدني احد القراء السبعة (٢) ، ويزيد بن رومان (٣) .

ومن شيوخه العراقيين الحسن بن أبي الحسن البصري (٤) ونصر بن عاصم الليثي البصري (٥) ويحيى البصري (٦) وعاصم بن أبي النجود الكوفي (٧) .

فها نحن اولا نرى ان شيوخه خليط من العراقيين : بصريين وكوفيين ، والحجازيين مكين ومدنين ، وقد كان ابو عمر يختار لنفسه مما يقرأ على شيوخه الكثيرين (٨) ويبدو تأثره واضحا بنافع المدني في اشتراكه مع ورش تلميذ نافع في امالة طائفة من الكلمات ، كما يبدو اختياره لنفسه في امالة بعض ما أمال امالة كبرى ، وبعضه الآخر بين بين كما يميل ورش (٩) .

وابو عمرو ، مع موافقته ورشا في امالته فواصل السور الاحدى عشرة (١٠) . بين بين - يعتقد في باب الإمالة بما يعتقد به المدني الاول لمرضه على ابي جعفر كما نص عليه الداني (١١) .

(١) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٩ .

(٢) ابراز المعاني ج ٥ .

(٣) ج ٢ ص ٢٨١ .

(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٣٥ .

(٥) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٦) طبقات القراء ج ١ ص ٣١٨ .

(٧) طبقات القراء ج ١ ص ٢٤٦ .

(٨) طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٢ .

(٩) انظر ورقة ١٢٠ شرح حرز الاماني للجعبري والتيسير للداني ص ٤٦ والتحجير في علوم التفسير .

(١٠) هي طه ، والنجم ، وسبح باسم ربك ، الشمس وضحاها ، الليل ، المعارج ، القيامة ، النازعات ، عبس ، الضحى ، العلق .

(١١) سراج القاريء البندى لابن القاصح ص ١٢١ ، البهجة المرضية في شرح الدرر المضيئة للشيخ الضباع على هامش ابراز المعاني ص ١٦٧ .

وهكذا نجد أبا عمرو متأثراً ببيئته وبشيوخه هذا التأثير الذي أوضحناه من قبل .

(٥) حَمَزُ الْكُوفِيِّ (ت ١٥٢ هـ)

(٦) الْكَسَائِيُّ الْكُوفِيُّ (ت ١٨٩ هـ^(١))

فاذا وصلنا الى الكوفيين حمزة والكسائي وجب أن تقدم بين يدي التعليل لمذهبيهما في الإكثار من الإمالة الحقائق الآتية :

(١) ان اهل الكوفة كانوا يقرأون بقراءة عبدالله بن مسعود (٢) ،
واليه تنتهي قراءة حمزة والكسائي (٣) .

(٢) وإن حمزة عرض على سليمان الأعمش ، وحران بن أعين وأبي إسحق السبيعي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن ليلى ، وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود وكان ابن أبي ليلى يجود حرف علي . وكان ابو اسحق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف ، وكان حران يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان ، وهذا كان اختيار حمزة (٤) .

(٣) وإن عبدالله بن مسعود كان مع حرصه على علم كتاب الله معتدا بالاعتداد كله بمصحفه وبقراءته . روى ابو بكر السجستاني عن شيوخه قال : خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال «ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة» غلوا مصاحفكم ، وكيف تأمروني ان اقرأ على زيد بن ثابت ، وقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ؟ وان زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان ، والله ما يزل من القرآن إلا وأنا اعلم في أي شيء نزل ، ما احد اعلم بكتاب الله مني ، وما أنا بخيركم ولو اعلم مكانا تبلغه الابل اعلم بكتاب الله مني لأتيته (٥) » .

- (١) جمعناهما في الحديث لانهما متفقان في البيئة والشيوخ فحمزة استاذ الكسائي ، وكل منهما كوفي .
(٢) المصاحف للسجستاني ص ١٤ .
(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٢ .
(٥) المصاحف للسجستاني ص ١٦ .

(٤) وان عبدالله بن مسعود كان يقرأ (طه) حدث الداني باسناده عن شيوخه قال قرأ رجل على ابن مسعود (طه) وفتح : قال ابن مسعود (طه) .

وكسر فأعاد الرجل ، فأعاد ابن مسعود ، فقال : والله ما علمنيها رسول الله إلا (طه) ولا نزل بها جبريل (عليه السلام) إلا كذلك . قال ابو عمرو الداني : وهذا الحديث المسند أصل كبير في الإمالة مع استقامة طرقه ، واشتهار نقلته (١) .

(٥) ويستتج Jeffry ان (طه) كتبت في مصحف ابن مسعود (رضي الله عنه) (طه) (٢) .

(٦) ويتصل سند حمزة وتلميذه الكسائي من بعده بابي بن كعب : فهو كما جاء في سراج القاريء المبتدىء قرأ (أي حمزه) على ابن ابي ليلى ، على ابي المنهال على سعيد بن جبير على عبدالله بن عباس على ابي ابن كعب (٣) . ومصحف ابي فيه كما استتج Jeffry (طيها) (٤) .

(٧) وإن حمزة قرأ أيضا على جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر على أبيه زين العابدين على أبيه الحسين على أبيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) (٥) .

وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا ان تبين مذهب حمزة في الإمالة ، كما يمكننا التعليل له بيسر وسهولة :

(١) الموضح للداني ورقة ٥٧ وانظر ج ٢ النشر ص ٣١ وانظر لسان العرب مادة طه .

(٢) ملحق Jeffry لكتاب المصاحف للسجستاني ص ٥٩ .

(٣) سراج القاريء ص ١٣ .

(٤) ملحق Jeffry لكتاب المصاحف للسجستاني ص ١٤٦ .

(٥) سراج القاريء ص ١٣ .

فأولا كل من ابن مسعود وأبيّ يلتزم في قراءته الإمالة في (طه) على اختلاف بينهما فيما يمال من حرفي هذه الكلمة (١) .

وثانيا سند حمزة علي بن ابي طالب سند كله شيوخ كوفيون شيعيون عاشوا في الكوفة ، واتخذوها دارا ، وقرارا ، وجعلوا من رجالها انصارا .

وثالثا اذا اضفنا الى ذلك ان الكوفة نزل بها رجال من قبيلة أسد التي اشتهرت بالامالة كما بينا من قبل ، وأفرادها يقرأون القرآن بلهجتهم في الإمالة إذ هي لحن من لحون العرب التي اباح لهم الحديث الشريف أن يقرأوا بها (١) .

ورابعا أنه قد مضت مدة كافية على نزول هؤلاء الاسديين الكوفة، واستيطانهم اياها حتى تكاثروا وسيطرت لهجتهم على لهجة الأعاجم المستعربين ، والمتفصحين ، من أمثال الكسائي وحمزة وغيرهم .

وخامسا اذا علمنا ان الكسائي كان مولى هؤلاء الاسديين وريثهم (٢) اذا لحظنا هذه الاعتبارات جميعا امكنا ان نفهم سبب اثار حمزة والكسائي من الإمالة ، اذ كان ذلك - في جماع من القول - « بهدي من شيوخيها الذين عنهم يقرءان ، ويثبتهما التي كانا فيها يضطربان ويعيشان » .

(٧) نافع المكفي (ت ١٦٩ هـ)

ثم ماذا عن نافع ؟ ألم يكن مدنيا عاش في المدينة يقرأ للناس دهرًا طويلا نيظا عن سبعين سنة (٣) ؟ واذا كان الامر يبدو طبيعيا مع راويه قالون لأنه مدني متأثر ببيئة الحجاز ، فلماذا كان راويه (ورش) مكثرا في رواية الإمالة عنه ؟

(١) انظر الموضح للداني ورقة ٢٤ .

(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥ .

(٣) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ .

والجواب عن ذلك سهل اذا عرفنا ان نافعاً روى عن سبعين من التابعين^(١) فهو بذلك عالم بأوجه القراءات جميعاً^(٢) لشيوخ من قبائل مختلفة ، وانه جلس للاقراء هذه المدة الطويلة نيفا وسبعين سنة في مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي جواره ، والمدينة (رعى الله مبناها ومعناها) مهجر الرسول ، وفيها قبره ومزاره يقصده الحجاج من جميع الاقطار الاسلامية اداء للسنة في زيارته ، والتماسا للمأمول من شفاعته . وفيهم مشغلون بالقراءات والاقراء . والرجل مشهور برياسته للقراءة في المدينة^(٣) . فيقصده هؤلاء يقرءون عليه بما قرءوا في بلادهم، ويجدون من علمه ومن طبيعة نفسه ورغبته في ثواب القرآن ما يعينهم على ذلك اذ كان في نافع دعاية^(٤) ، ومن كان في نفسه شيء من ذلك فهو يميل الى الاسجاح والمياسرة ، لا التزمت والمعاصرة ، وهذا ما روى عنه : كان يسهل القراءة لمن قرأ عليه إلا ان يقول له انسان : أريد قراءتك^(٥) .

قصده من المصريين سقلاب بن شيبة^(٦)، وعثمان بن سعيد ورش^(٧)، ومعلي بن دحية^(٨) ، وحמיד بن سلامة^(٩) .

وقصده من أهل الشام عراك بن معدان^(١٠)، وخويلد بن معدان^(١١) .

وقصده من المغاربة كرم المغربي^(١٢) .

- (١) الابانة لمكي بن ابي طالب ص ٨ .
- (٢) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ .
- (٣) طبقات القراء ج ٢ ص ٤٣١ .
- (٤) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ .
- (٥) المصدر السابق (طبقات القراء) ج ٢ ص ٣٤٣ .
- (٦) المصدر السابق ج ١ ص ٣٩٨ .
- (٧) المصدر السابق ج ١ ص ٥٠٢ .
- (٨) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٠٤ .
- (٩) المصدر السابق ج ١ صفحة ٢٦٥ .
- (١٠) المصدر السابق ج ١ صفحة ٥١١ .
- (١١) المصدر السابق ج ١ صفحة ٢٧٦ .
- (١٢) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٢ .

وقصده من الاندلسيين الغاز بن قيس (١) .

ومن خراسان خارجة بن مصعب (٢) .

وكان يقرئ كل واحد من هؤلاء وغيرهم ممن يقصده بما يريد ، وقد سئل في ذلك ، فقال : سبحان الله ! احرم ثواب القرآن ؟ انا اقرئ الناس بجميع القراءات حتى اذا كان من يطلب حرفي اقرأته به (٣) .

وروى الداني عن معلي بن دحية بن قيس ابي دحية المصري قال : سافرت بكتاب الليث بن سعد الى نافع لأقرأ عليه ، فوجدته يقرئ الناس بجميع القراءات . فقلت له : يا أبا رويم ما هذا ؟ قال لي : سبحان الله ! أحرم ثواب القرآن ؟ أنا اقرئ الناس بجميع القراءات حتى اذا كان من يطلب حرفي اقرأته به .

.....

وقد حدث الازرق قال : لم يذكر سقلاب ولا ابن دحية خلافا لورش في سائر الحروف قلت (أي ابن الجزري) وكذا قال يونس بن عبد الاعلى اقرأني ابن أبي دحية مثل ما اقرأني ورش من أوله الى آخره (٤) . فأي دليل على ضبط هؤلاء الأئمة المقرئين هؤلاء الطالبين الآخذين ؟ ذلك مما يبعث الايمان الصحيح بهذه القراءات المروية من هؤلاء الثقات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبهذا النص الذي روى عن نافع نستطيع ان تفسر هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة امام النظرة العابرة ، هذه الظاهرة ما نراه من الاختلاف بين

(١) طبقات القراء ج ١ صفحة ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٣١ .

(٣) طبقات القراء ج ٢ صفحة ٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٠٤ .

بعض هؤلاء الأئمة والبعض الآخر ، مع ان بعضا منهم قد قرأ على بعض فالكسائي استاذ حمزة (١) ومع ذلك لا نراهما يتفقان في كل الحروف الإمالة بل لكل منهما انفرادات نسبت اليه ، وكذلك الامر في أبي عمرو بن العلاء البصري واستاذيه نافع المدني (٢) وابن كثير المكي (٣) .

وبهذا النص الذي روى عن نافع ايضا يفسر ما نراه عند روايه قالون وورش من التخالف ، فقالون يروي عن نافع الاقلال في الإمالة ، بينهما ورش يروي عنه مكثرا منها (٤) .

وزيادة في الايضاح نعرض قول مكّي بن أبي طالب في الإمالة قال (رحمه الله) : - فان سأل سائل فقال : ما العلة التي من أجلها كثر الاختلاف عن هذه الأئمة وكل واحد منهم قد انفرد بقراءة اختارها مما قرأ به على أئمته ؟

فالجواب ان كل واحد من الأئمة قرأ على جماعة بقراءات مختلفة ، فنقل ذلك على ما قرأ فكانوا به برهة من أعمارهم يقرئون الناس بما قرءوا فمن قرأ عليهم بأي حرف كان لم يردده عنه اذا كان ذلك مما قرءوا به على أئمتهم ، ألا ترى ان ناعما قال : قرأت على سبعين من التابعين فما اتفق عليه اثنان اخذته ، وما شذ فيه واحد تركته ، يريد - والله اعلم - مما خالف المصحف فكان من قرأ عليه بما اتفق فيه اثنان من أئمته لم ينكر ذلك ، وقد روى عنه انه كان يقرئ الناس بكل ما قرئ به حتى يقال له : نريد ان نقرأ عليك باختيارك مما رويت وهذا قالون ربييه وأخص الناس به وورش أشهر الناس في التحملين اليه ، اختلفا في أكثر من ثلاثة آلاف حرف من قطع وهمز وتخفيف وادغام وشبهه ، ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية

(١) طبقات القراء ج ١ صفحة ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٣١ .

(٣) المصدر السابق ج ١ صفحة ٤٤٣ .

(٤) شرح حرز الاماني للجعبري ورقة ١٢٠ .

ورش عنه ، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش، وإنما ذلك لأن ورشا قرأ عليه بما تعلم في بلده فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمة ، فتركه على ذلك ، وكذلك ما قرأ عليه قالون وغيره وكذلك الجواب عن اختلاف الرواة عن جميع القراء ، وقد روى عن غير نافع انه كان لا يرد أحدا ممن يقرأ عليه اذا وافق ما قرأ به على بعض أئمة ، فان قيل له « آثرنا بما اخترته من روايتك » اقرأ بذلك (١) .

وجاء في كتاب الحجة للفرسي : وأما من جمع بين الامرين كما روى عن نافع انه فتح تلا ، وأمال غيرها يقصد « دحا » وكل واحدة من الامالة وخلافها جائز ، فقوله حسن لأخذه بشيئين كل واحد منهما مسموع مأخوذ به ، فأخذ بأحدهما مرة وبالأخر مرة أخرى (٢) .

وبمثل ذلك النص من كلام مكّي بن ابي طالب ، وبما سبق من النصوص في الكلام عن نافع واختلاف روايته (قالون وورش) في الرواية عنه نستطيع ان نعلل انفرادات الراويين عن إمام واحد ، كتفرد هشام بامالة خمسة احرف هي :

مشارب (٣) ، آنية (٤) ، عابد وعابدون في قل يأيها الكافرون (٥) خاصة في ثلاثة مواضع (٦) .

وكتفرد ابن ذكوان بامالة المحراب حيث وقع اذا كان مخفوضا (٧) .

ولكن هناك مسألة ادق من هذه ؛ فقد لا يكون الاختلاف بين راويي

(١) الابانة لمكي صفحة ٨ .

(٢) الحجة لابي علي الفرسي .

(٣) س ٧٣٢ ٣٦ .

(٤) س ٥٢ ٨٨ .

(٥) س ١٠٩ ٣٢ و ٥٥ .

(٦) الابانة لمكي ورقة ١٤ .

(٧) التيسير صفحة ٤٦ وما بعدها .

الإمالة ، وإنما يكون الاختلاف عن الراوي نفسه ، يروى مرة عن شيخه
الفتح ، ويروى أخرى عنه الإمالة : جاء في كتاب الموضح للداني رواية عن
أبي عمرو قال : حدثنا الفارسي قال : ثنا عبد الواحد بن عمر عن أصحابه عن قاسم
الخياط عن الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه أمال الباب كله (١)
ثم أورد روايات أخرى جاء فيها :

روى محمد بن خلف التميمي عن الأعشى الباب كله بين التفخيم والكسر .
وكذلك روى ضرار عن يحيى عن أبي بكر وكذا ثنا أبو الفتح شيخنا
قال : ثنا ابن طالب قال : ثنا الحسن بن داود قال : ثنا قاسم عن محمد بن
حبيب عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم .

ثم قال : وحدثنا أبو الحسن شيخنا قال : ثنا علي بن محمد وثنا فارس
ابن أحمد قال : ثنا عبدالله الحسين قال : ثنا أحمد بن سهل قال : ثنا علي بن
محسن قال : ثنا عمرو ابن الصباح قال ذكر أبو يوسف الأعشى عن أبي
بكر عن عاصم أنه لا يكسر شيئا .

ثم أورد سنداً آخر برأي رابع قال فيه : وروى لنا أبو الحسن شيخنا
عن أصحابه عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم الإمالة في الباب كله إلا ما كان
فيه صاد ، لأن الشموني قال عنه : وعلى أبصارهم مفتوح (٢) .

فهذه أسناد أربعة عن راو واحد بأراء أربعة :

- أ - بالفتح مطلقا .
- ب - بالإمالة مطلقا .
- ج - بين التفخيم والكسر .
- د - بالإمالة إلا ما كان فيه صاد .

(١) باب ما ورد في كتاب الله تعالى من الاسماء التي الرأ في آخرها مجرورة
وقبلها الف « وعلى أبصارهم » انظر الموضح للداني ورقة ٢٨ .

(٢) الموضح ورقة ٢٨ .

ونرى أمثلة أخرى لمثل هذه الروايات المتعددة عن الراوي الواحد في كتاب الموضح^(١) . ومثلها ما أورده أبو علي الفارسي بسنده اذ قال : روى خلف عن يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم أنه كان يميل الراء والهمزة من قوله تعالى ، « رأى الشمس ، ورأى القمر ، ورأى الذين ظلموا العذاب وما كان مثله » .

وكان غير خلف يروى عن يحيى عن أبي بكر عن عاصم في ذلك بفتح الهمزة بعد كسرة الراء مثل حمزة^(٢) .

فكيف تفسر هذه الروايات المتخالفة ؟ ومع الاعتداد بصحة هذه الأسناد دون تجريح لها نستطيع أن نحيل هذا التخالف الى توافق بأحد التفسيرات الآتية :

١ - قد يكون للقارئ قراءتان : إحداها قديمة عدل عنها الى أخرى جديدة معمول بها عند الرواة عنه^(٣) ، ومثال ذلك ما روى عن الكسائي في قراءته ناخرة ، فقد روى عنه أبو عمرو الدوري انه كان لا يبالي كيف قرأها أبالألف أم بغير الألف ؟ ، وقال أبو الحرث : كان يقرأ ناخرة ، ثم رجع الى ناخرة^(٤) ، قال الداني « ثنا عبد الرحمن بن محمد : ثنا محمد بن حامد ثنا محمد بن الجهم : ثنا زكريا يحيى بن زياد القراء قال : وسمعتة قال أنا أقرأ لك « تعدو »^(٥) بالتخفيف اتباعا لقراءة الاعشى ولا تراني أقرأها بعد يومي هذا إلا بالتشديد لأنها ذكرت عن النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٦) .

ب - قد لا يعدل القارئ عن إحدى قراءتيه ، وإنما يعتد بهما معا ؛

(١) انظر مثلاً ورقة ٢٧ و ٤٩ .

(٢) الحجة ج ١ صفحة ٣٥٠ ن البلدية .

(٣) انظر الموضح صفحة ٣٠ .

(٤) الحجة للفارسي ج ٧ صفحة ٣٤٠ .

(٥) س ٤ آية ١٥٤ .

(٦) طبقات القراء ج ٢ صفحة ٣٧١ .

لأنه اذا كان لكل قراءة من ذلك وجه • فقد يجوز أن يكون رأى أن يقرأ بكل واحد منهما (١) •

ج - وربما يكون الخطأ من السامع نفسه وفهمه لمذهب القارئ في المستوى الذي يعتد به في درجة الإمالة حتى يعد الحرف ممالا ، وقد ظفرت بمثلين متشابهين يفسران هذه الحالة - في كتاب الموضح •

أحدهما : قال ابن سعدان كان إسحق اذا لفظ بزادهم كان يشير الى الكسر قليلا ، فاذا قلت له : إنك تشير الى الكسر : قال : لا ، ويأبى إلا الفتح (٢) •

وأخراهما : روى محمد بن المسيبي عن أبيه ، وابن سفيان عنه : الطاء والهاء مفتوحتان • قال ابن سعدان : كان إسحق يشير فيها الى الكسرة فاذا قلت له : إنك تكسر قال لا ، ويأبى إلا الفتح (٣) •

فرواية سعدان هاتين الروايتين في هذين الحرفين عن إسحق دليل على أن إسحق كان يرى مستوى أبعد في درجة إمالة الحرف حتى يعد ممالا ولا يكفي في هذا المستوى مجرد الإشارة الى الكسر ، على حين ان ابن سعدان يعد مجرد الإشارة الى الكسر إمالة •

وربما كان هذا الاختلاف بين ابن سعدان ومن سمع عنه - مصدره حدة سمع ابن سعدان ، حتى أحس إشارة الى الكسر غير مقصودة من القارئ وقد كان ابن سعدان ضريرا (٤) ، والمكفوفون مشهورون بهذه الدقة في اسماعهم (نظرية تعويض الحواس) •

وقبل أن نختم هذا الفصل يجدر بنا ان نناقش نصا روى عن الفراء ،

(١) الحجة للفارسي ج ١ صفحة ٣٦٠ •

(٢) كتاب الموضح ورقة ٢٤ •

(٣) الموضح صفحة ٢٥٥ •

(٤) طبقات الفراء ج ٢ صفحة ١٤٣ •

وفهمه أبو شامة على غير وجهه ، وهذا النص يتصل بمذهب كل من عاصم وحمزة في الإمالة .

« حكى ابن مهران عن خلف قال : سمعت الفراء النحوي « يحيى بن زياد » يقول: « أفرط عاصم في الفتح ، وأفرط حمزة في الكسر » قال « وأحب إليَّ أن تكون القراءة بين الفتح والكسر مثل قراءة أبي عمرو (رحمه الله) ، وإنما يترك ذلك من يترك لما لا يقدر عليه ؛ لأنه أمر صعب شديد » .

وقد عقب على ذلك أبو شامة بقوله « قلت صدق .. ولصعوبته غلب على ألسنة الناس جعله كالإمالة المحضة ، وفرقوا بينهما برفع الصوت وخفضه وهو خطأ، ثم أعطى مقياسا تقاس به الإمالة المتوسطة فقال « وأسهل ما يظهر فيه إمالة بين الراء ، فهو في نحو ذكرى أشد بيانا فافهم ذلك وابن عليه » .

ونحن نخالف أبا شامة في فهمه النص السابق عن الفراء ، فليس المراد من إفراط عاصم في الفتح وإفراط حمزة في الكسر إفراطا في الكيفية ، وإنما هو إفراط في الكمية ، فعاصم عرف عنه الإكثار من الأحرف المفتوحة ^(١) ، وحمزة عرف عنه الإكثار من الألفاظ المائلة ، كما أن أبا عمرو اتخذ لنفسه طريقا وسطا بين المذهبين ، فكانت الكلمات التي روى عنه إمالتها بين هذين :

وما ورد في شرح المفصل لابن يعيش يؤكد هذا الذي ذهبنا إليه ، ويعين عليه : قال ابن يعيش والممال كثير في كلام العرب ، فمنه ما يكون في كثرة الاستعمال تفخيمه وإمالاته سواء ، ومنه ما يكون أحد الأمرين فيه أكثر وأحسن ، وكان عاصم يفرط في الفتح وحمزة في الكسر ، وأحسن

(١) شرح أبي شامة للشاطبية « ابراز المعاني » صفحة ١٦٤ .

ذلك ما كان بين الكسر المفرط والفتح المفرط (١) . فذكره أفرط عاصم في الفتح وحمزة في الكسر بعد نصه على كثرة الكمية الإمالة في كلام العرب دليل على أن المراد من إفراط كل من هذين الامامين إفراط في الكم لا في الكيف .

وقد يقال: « إذا كنت تفسر الإفراط في الفتح والكسر بأنه إفراط عددي فالأولى أن يقال « أفرط ابن كثير في الفتح » .

والجواب عن ذلك: لعل يحيى بن زياد أراد الموازنة بين قراء عراقيين ، فتحدث عن عاصم ومذهبه في الفتح ، والإفراط العددي منه معروف ، ثم تحدث عن حمزة والإفراط العددي منه في الإمالة معروف كذلك ، وكلاهما عراقي كوفي ، ولهذا السبب اختار قراءة أبي عمرو البصري العراقي ولم يختار قراءة ورش مع أنه يقارب أبا عمرو في الإمالة من حيث كمها .

فإن قيل: إذا كنت تفسر هذا التفسير في المراد من الإفراط في الفتح عند عاصم ، والإفراط في الإمالة عند حمزة فما وجه الصعوبة والشدة ، وعدم القدرة التي تدعو الى ترك قراءة (بين الفتح والكسر) اذا لم يكن المراد منها بين الفتح المفرط والكسر المفرط كيف لا كما ؟

فالجواب عن ذلك ان الاحاطة بمذهب أبي عمرو البصري في باب الإمالة أصعب وأشد من الاحاطة بمذهب عاصم أو بمذهب حمزة ، لما في مذهب أبي عمرو من التفصيلات والقيود (٢) .

وكان كل من مذهب عاصم ، أو مذهب حمزة يجنح الى الفتح عند أولهما في معظم الكلمات ويجنح الى الكسر عند الآخر ، في معظم الكلمات

(١) على حسب ما اشتهر عن عاصم لا ما روى عنه « راجع ذلك في اول هذا الفصل » .

(٢) شرح المفصل لابن يمش ج ٩ صفحة ٥٤ .

(٣) راجع مذهب كل في اول هذا الفصل .

فلا يحتاج الى مشتقة وجهد في التعرف على مذهب كل منهما واستيعابه .
ولعل صعوبة الاحاطة بمذهب أبي عمرو البصري كان سببا في افراده
بالتأليف منظوما كي تسهل الاحاطة به ، كما فعل عبد الحافظ بن علي غنيم
أرجوزة في أحكام الإمالة على مذهب الامام أبي عمرو بن العلاء البصري
المازني ، ثم يضع شرحا لهذه الأرجوزة يسميه « زوال الجهالة بشرح منظومة
الإمالة » (١) .

ثم كيف نطعن في قراءة إمامين علمين من أئمة القراء الاجلاء في كيفية
الاداء . . وقد انتهت الى كل منهما رئاسة الاقراء ؟ وكيف تفسر الافراط في
الفتح بالتفخيم المعيب عند القراء ؟ وكيف تفسر الافراط في الكسر بالجنوح
الظاهر الى الياء ؟ وهل عجز هذان الامامان على جلال قدرهما عن أن يؤديا
ما يؤديان من فتح أو إمالة بما يتفق مع قواعد النطق الصحيح ؟

على ان النصوص التي رويت عن عاصم تؤكد انه كان من خير الناس اقراء
للقرآن، قال أبو بكر بن عياش « لا أحصى ما سمعت أبا اسحق السبيعي يقول:
ما رايت احدا اقرا للقرآن من عاصم بن أبي النجود (٢) » .

فالناس يتحدثون عن اجادة عاصم في كثير ، حتى انهم لا يكادون
يحصون شهادتهم له بالاجادة في القراءة والاداء .

ومثل ذلك أو قريب منه كان يروى عن حمزة : فعن شعيب بن حرب
انه قال « ألا تسألوني عن الدر ؟ يعني قراءة حمزة (٣) ، وكان شيخه اذا
راه مقبلا يقول : « هذا حبر القرآن (٤) » .

ثم أي صعوبة في أداء الحرف المال إمالة لطيفة ؟ وأي الأمرين

(١) زوال الجهالة مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٤ مجاميع قراءات .

(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٧ .

(٣) معجم الادباء لياقوت ج ١٠ .

(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .

أصعب وأدق ، وأشد استعصاء عن الإحاطة ، وأحوج إلى زمن متناول :
ألتعرف على الكلمات الممالة عند أبي عمرو في استيعاب وضبط ، أم تعرف
كيفية الأداء اداء صحيحا ؟ لا شك ان الاول منهما يستلزم جهدا طويلا
ومشقة كبيرة .

ثم هل عجز السابقون أن يهتدوا الى مقياس يضبط الإمالة ، وقد كانوا
(رحمهم الله) أكثر الناس عناية بالأداء ودقة الضبط ؟ : هل عجزوا ان يفعلوا
كما فعل ابو شامة اذ يقول : « واسهل ما يظهر فيه إمالة (بين بين) الراء في
نحو ذكرى أشد بيانا فافهم ذلك وابن عليه (١) » .

فان قيل : « أليس ما أورده كل من ياقوت في معجم لادباء (٢) ، وابن
الجزري في طبقات القراء من كراهة احمد بن ادريس وغيرهما لقراءة حمزة
لما فيها من المد المفرط والسكت ، واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو
ذلك من التكلف (٣) أليس ذلك دليلا يؤيد ابا شامة في فهمه بص القراء ؟ »

أقول : ربما كان ذلك - إن صح - يتصل بطبيعة أحمد بن حنبل في
التشدد ، وأنه - هو وابن إدريس - قد بلغهما ذلك الإفراط عن حمزة
مفترى عليه ، ممن روى عنه فحكما بالكراهية لقراءة هذا الامام الجليل ،
وقد ذكر ابن الجزري ان ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلًا عن
حمزة ، وما آفة الاخبار إلا رواها ، قال ابن مجاهد : قال محمد بن الهيثم :
والسبب في ذلك ان رجلا ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس
فقرأ فسمع ابن ادريس الفاظا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من
التكلف فكره ذلك ابن ادريس وطعن فيه . ولقد كان حمزة فيما روى عنه
محمد بن الهيثم « يكره هذا وينهي عنه » (٤) .

(١) ابراز المعاني ١٦٤ .

(٢) معجم الادباء ج ١٠ ص ٢٩٣ .

(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .

(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .

وكان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز « لا تفعل ! أما علمت ان ما فوق البياض فهو برص ؟ وما فوق الجمودة فهو ققط ؟ وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة » (١) ؟

ومثل هذا الحرص على طريقة الأداء كان معروفا عن هؤلاء الأئمة الاجلاء ، حتى لقد روى عن سقلاب بن شيبة انه قال : قال لي نافع بيّن النون في هذه الأحرف اذا لقيتها عند الحاء والعين والخاء والغين والألف والهاء (٢) . فإزاء هذا كله نستبعد على إمام انعقد الاجتماع على تلقي قراءته بالقبول ان يكون في قراءته ما يجانب الصواب، أو يجافي صحة الاداء .

(١) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٩٣

(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٣٠٨ .

الفصل الثامن

أسباب الإمامة

(عند النخبة وعند القراء)

لم يضع سيويه عنوانا خاصا بأسباب الإمامة في كتابه ، ولكنه ذكرها مفرقة غير مجموعة وقد دعا هذا من جاء بعده من النحاة الى استخراج هذه الاسباب ، وجمعها تحت عنوان ، ولم يتحدث المبرد « ٢٨٥ هـ » في كتابه المقتضب عن هذه الاسباب مجموعة، وقد ذكر السيوطي في الهمع أن أسباب الإمامة استخرجها أبو بكر بن السراج « ٣١٦ هـ » من كتاب سيويه وسرد السيوطي هذه الأسباب التي استخرجها ابن السراج (١) .

وإذن في الامكان أن تفعل ما فعل ابن السراج ما دام الكتاب بين أيدينا ، فلنتبع باب الإمامة عند سيويه ، وننظر في قواعده وتمثيله وتعليقه ، ونستخرج منه ما يشير الى سبب من أسباب الإمامة ، ولننظر بعد ذلك مدى اتفاقنا مع ما انتهى اليه ابن السراج ، وما ذكره النحاة والقراء من بعده .

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٠

أولاً - ما أميل من الكتب الغالب

الرقم	القاعدة في كتاب سيبويه وتمثيله	تمثيله
(١١)	(١) فالالف تعال اذا كان بعدها حرف مكسور - وذلك عسايد وعسالم ومساجد ومفاتيح وعدافر وهابيل . (ب) ومما يميلون انه قولهم بيا به ، وأخذت من ماله هذا في موضع الجر . وسمعناهم يقولون : من أهل عاد . (ج) وقالوا : في النجادين كما قالوا : مورت بيا به ، فامالوا الالف . وقالوا في الجر : مورت بيجلائك فامالوا كما قالوا مورت بيا بك (١) . (١) اذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الالف حرف متحرك ، والأول مكسور املت الالف نحو عماد وكلاب . (ب) وكذلك ان كان بينه وبين الالف حرفان الأول منهما ساكن ؛ لان الساكن ليس بحاجز قوي نحو سريال وشملال . (ج) وتقول الاسوداد فيميل الالف هذه من اماليها في الفعل لان وداد بمنزلة كلاب . (د) وقال بعض الذين يقولون في السمكت بحال مسن عند الله ولريد مسال شيهوeth بالغ عماد . (هـ) وقالوا : درهمان - وقالوا : رأيت قرحا (ابرار القدر) ورأيت علما فيميلون (٢) . (و) وقالوا في النجادين كما قالوا مورت بيا به فامالوا الالف . (س) وقالوا في الجر : مورت بيجلائك فامالوا كما قالوا : مورت بيا بك .	(١) وانما مالوها للكسر فالتثنية بعدها (ب) شيهوeth بفعل نحو كاتب وساجد والإمالة في (مورت بيا به) اضعف ؛ لان الكسرة لا تلزم) (١) كسر الحرف الاول (ب) كسر الحرف الاول (ج) كسر الحرف الذي يقابل الغاء في الفعل (د) للكسرة - فهذا اقل من مورت بيا لك ؛ لان الكسرة منفصلة (هـ) جعلوا الكسرة كالياء

(١) ج ٢ ص ٢٦١ الكتاب لسبويه .

(٢) ج ٢ ص ٢٦١ الكتاب لسبويه .

تعليله	التماعده في كتاب سيبويه وتعليله	الرقم
<p>(ح) منهم من بدع ذلك في الوقف على حاله فيميل كراهية ان يكون كما لزوم الوقف، ومنهم من ينصب في الوقف ؛ لانه قد اسكن ولم يتكلم بالكسرة فيقول بالمال وماش .</p> <p>(ط) لان الهاء خفية ، والحر ف الذي قبل الحرف الذي يليه مكسور فكانه قال : يريد ان يضربا . كما انهم اذ قالوا ردها كانهم قالوا ردا . . .</p> <p>صار ما بعد الضاد في يضربا بمنزلة علما (كثير من العرب يميل)</p> <p>(ي) لانه ليس بينه وبين الكسرة الا حرف واحد - ويظهر انه يريد بها وبنا - فاذا كانت تماثل مع الهاء وبينها وبين الكسرة حرف فهي اذا لم يكن بين الهاء وبين الكسرة شبهه اجدر ان تسمال والهاء خفية .</p>	<p>(ح) وقالوا مورت بمال كثير - ومورت بمال كما تقول هلا ماش وهلا داغ (١) .</p> <p>(ط) يريد ان يضربها ، ويريد ان يترعها (٢) .</p> <p>(ي) وقالوا في مضربها وبها وبنا ، وهذا اجدر من سابقه .</p>	

- (١) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦١ . (٢) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦٢ . (٣) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦٣ .

الرقم	القاعدة في كتاب سيبويه وتبعه	تأويله
(ك)	(ك) وقالوا عندها .	(ك) لأنه لم قال عندها أمال فلما جاءت الهاء صارت بمنزلة
(ل)	(ل) وقالوا في رجل اسمه ذه رأيت ذهأ املت الالف .	لو لم تجهه بها . (ل) كذلك قلت رأيت يدا في لفظة من قال يضربا . ومن بنا لقرنها من الكسرة كقر ب الف يضربا .
(م)	(م) وأعلم أن ناسا ممن يعيّل في يضربها ، ومنها ، وبنا ، وأنشأه هذا مما فيه علامة الاضمحار وإذا وصلوا نضجوها ؛ فقتلوا يريد أن يضربا زيدا ويريد أن يضربها زيد . ومننا زيد (١) .	(م) وذلك لأنهم أرادوا في الوقف هذا النحو أن يبينوا في الوقف حيث وصلوا إلى الإمالة كما قالوا أنفي في أنفي جعلوها في الوقف باء فإذا أمالوا كان إيين لها ؛ لأنه ينحو نحو الياء وإذا وصل ترك ذلك ، لأن الالف في الوصل إيين كما قال أولئك في الوصل أنفي زيد (١)
(ن)	(ن) وقول العامة — وقالوا معزانا في قول من قال عمادا فأمالهما جميعا وإذا قياس ، ومن قال عمادا قال معزانا وهما مسلمان وإذا قياس قول غيرهم من العرب .	(ن) لأن لأن بمنزلة عماد والنون بعده مكسور فهما أجدر .

تمثيله	القاعدة عند سيبويه وتمثيله	
	<p>الكسرة لازمة</p> <p>أضعف من (أ) لان الكسرة لا تلتزم</p> <p>أضعف من (ب) لان الكسرة منفصلة</p> <p>أضعف من (ج) لان الكسرة مكسورة ، فهذا</p> <p>أجدر ؛ لان الكسرة له الهمزة .</p>	<p>الرقم</p>
<p>بنات الباء تعال اللهها</p> <p>(١) لان الالف في موضع ياء ، ويبدل منها فتحوا نحوها .</p> <p>بنات الواو تعال اللهها .</p> <p>(ب) لتلبي الباء على هذه الالام ؛ لان هذه الالام التي هي واو اذا جاوزت ثلاثة احرف قلبت ياء . والياء لا تقلب على هذه الصفة واذا قاميلت ؛</p> <p>لتمكن الباء في بنات الواو .</p>	<p>ويما يبدلون الله كل شيء من بنات الباء والواو ، وكانت عينه مفتوحة</p> <p>(١) اما ما كان من بنات الباء فتعال الله .</p> <p>(ب) واما بنات الواو فاعالوا اللهها (١) .</p>	<p>(٢)</p>

الرقم	القاعدة عند سيبويه ونسبته	تعليله
(٤)	(١) وما يقولون الله كل اسم كانت في آخره ألف زائدة للتانيث أو لنفير ذلك (١)	(١) لأنها بمنزلة ما هو من بنات الباء ألا ترى أنك لو قلت في معزى وجبى فعلت على عدة الحروف لم يجيء واحد من الحرفين إلا من بنات الباء فكذلك كل شيء كان مثلها مما يصغر في تشبيه أو فعل بابه فلما كانت في حروف لا تكون من بنات الواو ابتدا صارت عندهم بمنزلة ألف رمي نحوها . (ب) كانه شبه هذه الإلف باللف جبلى حيث كانت آخر الكلام ولم تكن بدلا من بابه
(٥)	(ب) وقد قال قوم طلبنا وطلبنا زيد (وذلك قليل)	الكسرة في أول فعلت فقلت فينبشون نحوها
	ومما يقولون الله كل شيء كان من بنات الباء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسور نحو انحو الكسرة . كما نحو انحو الباء فيما الله في موضع الباء وهي لفظة لبعض أهل الحجاز (٢) وأما المماثلة فلا يقولون ، ولا يقولون ما كانت الواو فيه عينا إلا ما كان منكسر الأول ، وذلك خاف وطاب وهاب .	

(١) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦٠ .

الرقم	القاعدة عند سبويه وتعليقه	تعليقه
(٦)	<p>(١) ومما تعال ألفه قولهم كمال وبيع (١) ويقولون شواك السيل والفضياع كما قلت كمال وبيع وقالوا شيبان وقيس عيلان وعيلان فامالوا للباء والذين لا يعلمون في كمال لا يعلمون هنا .</p> <p>(ب) وقالوا : رأيت زيذا فامالوا (٢)</p>	<p>(١) وإنما فعلوا هذا لأن قبلها باء فعصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها نحو سراج وجمال .</p> <p>(ب) كما فعلوا ذلك بغيلان والإمالة في زيد انصف لأنه يدخله الرفع</p> <p>(ج) أمالوا في الباء كمالوا في الكسرة</p> <p>(د) أمالوا للباء حيث قربت من الألف</p> <p>(هـ) أمالوا للباء</p> <p>(و) أمالوا للباء كما قالوا يضرها ويضرها</p>
(٧)	<p>(ج) وقالوا : بيني وبينها فامالوا . وقالوا . يريد أن يكملها ولم يكملها (٣)</p> <p>(د) وقالوا : فينا فامالوا علينا للباء حيث قربت من الألف ولهذا قالوا : بيني وبينها</p> <p>(هـ) وقالوا : رأيت يدا .</p> <p>(و) وقالوا : رأيت يدها .</p>	
(١) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦١ (٢) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦٢ (٣) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦١ (٤) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦٢	<p>وقال ناس : رأيت عمادا فامالوا للإمالة .</p> <p>وتقول عمادا : تعيل الألف الثانية إمالة الأولى (٤) .</p>	

ثانيا - القليل القياسي

وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة ما ذكرنا فيما مضى وذلك قليل سمعنا بعضهم يقول :

طلبنا ، وطلبنا زيد كأنه شبه هذه الالف بالالف جلي حيث كانت آخر الكلام ولم تكن بدلا من ياء .

وقال رأيت عبدا، ورأيت عبدا، وسمعنا هؤلاء قالوا: تباعد عنا فأجروه على القياس .

وقول العامة وقالوا معزانا في قول من قال عمادا فأمالهما جميعا وذا قياس ومن قال عمادا قال معزانا وهما مسلمان وذا قياس قول غيرهم من العرب ؛ لأن قوله لما ن بمنزلة عماد ، والنون بعده مكسور فهذا أجدر . فجملة هذا ان كل ما كانت له الكسرة ألزم كان أقوى في الإمالة (١) .

ثالثا - باب ما اميل على غير قياس وانما هو شاذ

(١) الحجاج - إذا كان اسما لرجل ، وذلك لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر ، لأن الإمالة أكثر في كلامهم وأكثر العرب ينصبه ، ولا يميل الف حجاج اذا كان صفة يعبرونه على القياس (٢) .

(ب) وأما الناس فيميله من لا يقول هذا مال بمنزلة الحجاج وهم أكثر العرب ؛ لأنها كالف فاعل اذا كانت ثانية فلم تمل لغير الجر كراهية ان تكون كباب رميت وغزوت ؛ لأن الواو والياء في قلت ولعبت أقرب الى غير المعتل وأقوى .

(ج) وقال ناس يوثق بعريتهم هذا مال ، وهذا باب ، وهذا عاب ، ما كانت بدلا من الياء كما كانت في رميت شبهت بها ، وشبهوها في باب ومال

(١) ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) ج ٢ ص ٢٦٤ .

بالالف التي تكون بدلا من واو غزوت فتبعت الواو الياء في العين كما
تبعته في اللام ، لأن الياء قد تغلب على الواو هنا •

والذين لا يميلون في الرفع والنصب أكثر العرب ، وهو أعم في
كلامهم • ولا يميلون في الفعل نحو قال ، لأنهم يفرقون بين ما فعلت منه
مكسور ، وبين ما فعلت منه مضموم ، وهذا ليس في الأسماء •

وهكذا نرى سببويه يتحدث في أسباب الإمالة عن :

(أ) ما أميل من الكثير الغالب كعماد ، وعالم ، وحبل ، وطالب •

(ب) والقليل القياس كطلبنا ، وطلبنا زيد •

(ج) والشاذ الذي جرى على غير قياس •

وزاه رَجَعَ أسباب إمالة الالف في الكثير الغالب من كلام العرب الى
سبب من الاسباب الآتية :

١ - كسرة بعد الالف وذلك عابد وعالم •

٢ - كسرة قبل الالف وذلك عماد •

٣ - اذا كانت الالف لاماً للكلمة :

(أ) في موضع الياء وبديل منها •

(ب) في موضع الواو ، ولكن الياء تغلبت عليها اذا جاوزت

ثلاثة أحرف •

٤ - الالف الزائدة للتأنيث او لللاحق ؛ لأنها بمنزلة ما هو من
بنات الياء •

٥ - اذا كانت الالف - بنت ياء أو واو - عينا فيما يؤول الى فلت •

٦ - ياء قبل الالف وذلك شيبان •

٧ - الإمالة للإمالة كامالة ألف عمادا الثانية لإمالة الاولى •

ومن قوله « ولا تكون إمالة في » لم يعلمها ، ولم يخفها ؛ لأنه ليست
هنا ياء ولا كسرة وقوله « رأيت يدا » فأمالوا للياء وقال هؤلاء « رأيت دما
ودمها » فلم يميلوا لأنه لا كسرة ولا ياء « — من قوله ذلك نستنتج انه
رَجَعَ الاسباب السابقة الى سبين رئيسين هما :

« الكسرة والياء »

ونرى سيبويه يرجع سبب الامالة في باب الراء المكسورة الى :

(أ) انها بمنزلة حرفين مكسورين •

(ب) والى أنها تشبه الياء ^(١) •

وقد ذكر صاحب الهمع ان الاسباب التي استخرجها ابن السراج من
الكتاب ستة هي :

١ — كسرة تكون قبل الألف •

٢ — أو بعدها •

٣ — أو ياء قبلها •

٤ — وانقلاب الالف عن ياء •

٥ — وتشبيه الالف بالالف المنقلبة عن الياء •

٦ — وكسرة تعرض في بعض الأحوال ^(٢) •

فإذا وازنا بين ما استخرجناه من الكتاب ، وبين ما استخرجه ابن
السراج رأينا ان ابن السراج قد أغفل: (١) إمالة الالف اذا كانت لا ما للكلمة
في موضع الواو ، ولكن الياء تغلب عليها اذا جاوزت ثلاثة أحرف ، ثم :
(٢) الإمالة للإمالة •

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠

(٢) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٠ •

وقد سار النحاة منذ القرن الرابع الهجري على سرد هذه الاسباب ،
وتابعهم القراء على ما بين مذاهب الفريقين من فروق كما سنوضحه
بعد ، هذا ما يبدو واضحا في كتب النحاة . كالجمل الكبيرة للزجاجي
(٣٤٠ هـ) والمفصل للزمخشري (٥٣٨ هـ) ، وأسرار العربية لابن الانباري
(٥٧٧ هـ) والشافية لابن الحاجب (٦٤٤ هـ) والارتشاف لأبي حيان
(٧٤٥ هـ) والتوضيح لابن هشام (٧٦١ هـ) .

كما نراه ماثلا في كتب القراء كما في التبصرة لمكي بن أبي طالب
(٤٣٧ هـ) والموضح للداني (٤٤٤ هـ) والمبهج لسبط الخياط البغدادي
(٥٤١ هـ) وإبراز المعاني لأبي شامة (٦٦٥ هـ) والسراج لابن القاصح
(٨٠١ هـ) والنشر لابن الجزري (٨٨٣ هـ) .

غير انه يلحظ إغفال أبي القاسم الزجاجي (٣٤٠ هـ) للكسرة قبل
الالف ، وللکسرة التي تعرض في بعض الاحوال ، والإمالة للإمالة .

كما يلحظ أن مكي لم يذكر الياء التي قبل الالف سببا من اسباب
الإمالة ، وهو في ذلك متفق مع مذاهب القراء في أنهم لا يعتقدون بالياء قبل
الالف ، وقد ذكر ذلك في التوضيح لابن هشام .

كما يلحظ ان مكي عبر عن الكسرة التي تعرض في بعض الاحوال
بقوله كسرة في المعنى ^(١) ، وان ابن القاصح زاد (رسم المصحف) ^(٢)
سببا من أسباب الإمالة حيث يقول : « ان تكون الالف رسمت بالياء ، وإن
كان أصلها الواو » ^(٣) .

ويكاد ابن القاصح ينفرد بذلك من بين الكتب التي فحصنا من
القراء بله النحاة . وقد عبر بعضهم عن الإمالة للإمالة بالتناسب (كابن

(١) التبصرة لمكي بن أبي طالب ص ٩٦ .
(٢) شرح الشافية ج ٢ ص ٤ وما بعدها .
(٣) سراج القارئ لابن القاصح ص ١١٧ .

هشام) في كتابه التوضيح ، وتابعه الأشموني من بعده (١) .

وبعضهم عبر عنها بمجاورة المال (كابن القاصح) (٢) كما يلحظ على ابن الحاجب (٣) انه جعل الامالة للامالة قسمين :

(١) الفواصل : وذلك في والضحى ، حيث أميلت لمناسبة الفاصلة قلى .

(ب) الإمالة قبلها على وجه ، نحو رأيت عمادا ، وتابعه السيوطي في جمع الجوامع (٤) .

ونود هنا ان نسجل ما بدا لنا من ملاحظات على منهج سيبويه في باب الإمالة ومنهج من جاء بعده من النحاة :

١ - فأول ما يلحظ ان النحاة والقراء شرحوا بعض ما ذكره سيبويه مجملا .

(١) فقد قال سيبويه « فالالف قد تشبه الياء » (٥) .

ولم يبين سيبويه وجه الشبه بين الالف والياء فجاء النحاة من بعده وبينوه ، ومن هؤلاء شارح الجمل الكبيرة للزجاجي حيث قال « الالف تشبه الياء في اللين » (٦) .

(ب) وقال سيبويه (٧) ومما يميلون الفه كل اسم كانت آخره الف زائدة للتأنيث او لغير ذلك ... « لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء ، ألا ترى انك لو قلت في ممزى وجبلى فعلت ... الخ » . فجاء النحاة بعد سيبويه

(١) التوضيح وشرح التصريح ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) شرح الأشموني ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٣) سراج القاري لابن القاصح ص ١١٧ .

(٤) ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٥) الكتاب ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٦) شرح ابن الضائع مخطوط برقم ١٩ نحو دار الكتب .

(٧) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

وفصلوا ذلك الاجمال ، من هؤلاء المبرد (٢٨٥ هـ) في المقتضب ، اذ عقد بابا جعل عنوانه « هذا باب ما كان على أربعة أحرف أصلية أو زائدة » (١) .

جاء فيه : « اعلم ان ما كانت ألفه من ذلك طرفا فالإمالة فيه جائزة ، وهي التي نختار ، وذلك انه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه :

١ - إما ان تكون ألفه منقلبة من ياء نحو مرمى ومسعى ؛ لأنه من سميت ورميت ، وملهى ومغزى من غزوت ولهوت ، فانها ترجع الى الياء في قولك ملهيان ومغزيان

٢ - أو تكون الألف زائدة للتأنيث فحق الزوائد أن تحل على الاصول فاذا كانت ذوات الواو ترجع الى الياء فالزوائد أولى ، وذلك قولك في حبلى من حليان وحليات .

٣ - فأما الملحقة نحو جنطى ، وأرطى ، ومعزى ، تقول أرطيان ، ومعزيان وحنطيان فكل هذا يرجع الى الياء . فكذلك فافعل به اذا كانت الالف رابعة مقصورة أو على أكثر من ذلك اسما كان أو فعلا .

(ج) ثم انظر وجه مشابهة الهاء بالالف في فصل إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف وقد ذكره سيبويه مجملا ، وفصله القراء .

١ - بعض نصوص سيبويه تعرضت لمناقشة من جاء بعده النحاة : قال سيبويه : وقال ناس يوثق بعريتهم هذا باب ، وهذا مال ، فأمالوهما ؛ كأنهم شبهوا الالف فيهما وإن كانت منقلبة من واو بألف غزا ودنا المنقلبة من واو فأجروا العين كاللام (٢) .

وقال المبرد : « ولا تصلح الإمالة فيما ألفه في موضع العين اذا كانت واوا » (٣) .

(١) القسم الاول المقتضب ج ٣ ص ٢٨

(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٦٣ .

(٣) المقتضب القسم الاول ج ٣ ص ٣٧

ويقول ابو سعيد السيرافي : « وقول سيبويه أمثل ، لأن عين الفعل قد تنقلب أيضا فيما لم يسم فاعله (١) » .

٢ - الياء بعد الألف لم يذكرها سيبويه صراحة سببا للإمالة ، وإن كان قد ذكرها في قوله « لأنه ليس هنا كسرة ولا ياء » .
فجاء النحاة من بعده وذكروها (٢) .

٣ - أغفل النحاة بعد سيبويه القواعد العامة التي ذكرها في الكتاب مثال ذلك هذا النص : « واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ، فينصب بعض ما يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر ، فإذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينه خلط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم » (٣) .

وقد ضرب سيبويه المثل في هذه المخالفة في قوله :

« واعلم ان بعض من يميل يقول : رأيت يدا ويدها فلا يميل تكون الفتحة أغلب ، وصارت الياء بمنزلة دم ، لأنها لا تشبه المعتل منصوبة ، وقال هؤلاء رأيت زينا : فذا ما ذكرت لك من مخالفة بعضهم بعضا » .

وقال أكثر الفريقين إمالة رمي ، فلم يمل كره أن ينحو نحو الياء اذا كان إنما فر منها كما ان أكثرهم يقول رد في فعل فلا ينحو نحو الكسرة ؛ لأنه فر مما تبين فيه الكسرة ، ولا يقول ذلك في جلى ؛ لأنه لم يفر فيها من ياء ولا في معزى » .

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٩٣ .

(٢) انظر التصريح على التوضيح ج ٢ صفحة ٣٥١ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٣ .

هذه القواعد العامة أغفلها النحاة إغفالا تاما فلم نر لها ظلا في كتبهم،
والظاهر انهم أغفلوها ؛ لأنها لا تتصل بناحية التعليم والاستيعاب التي كانوا
من أجلها يؤلفون او ينظمون •

٤ - وما لاحظته ايضا وأغفله النحاة ان سيبويه يذكر دائما ان الممال
هو الحرف لا الحركة ، وقد شرحنا ذلك في فصل سبق •
ولم يفتن النحاة من بعده الى ذلك •

٥ - سيبويه يهتم ببيان الكم من الممليين والممال من العرب • فهذا
حرف يميله ناس من العرب كثير ، وهذا آخر يميله بعضهم ، وهذا ثالث يميله
طائفة أكثر وهكذا :

جاء في الكتاب لسيبويه « وقال بعض الذين يقولون في السكت بمال
- من عند الله ولزيد مال شبهوه بألف عماد للكسرة قبلها فهذا أقل من
مررت بمالك ؛ لأن الكسرة منفصلة » • والذين قالوا من عند الله أكثر ،
لكثرة ذا الحرف في كلامهم (١) •

ولم يهتم النحاة من بعد سيبويه بذلك (٢) •

٦ - منذ القرن السابع نرى النحاة يأتون بجمل جامعة للحروف التي
تمنع الإمالة كقولهم في حروف الاستعلاء : - « خص ضغط قظ » ، وقولهم
في الحروف التي يميلها الكسائي قبل هاء التأنيث مثل : « فجئت زينب
لذود شمس » •

وكان السبب في ذلك ليسهل المأخذ على المتعلمين •

٧ - تكلم النحاة بعد سيبويه بإفازة ظاهرة عن مذهب الكسائي في
إمالة ما قبل هاء التأنيث ، ولم يتعرض لذلك سيبويه إلا في قوله :

(١) الكتاب ج ٢ صفحة ٢٦٢ •

(٢) سنرى موقف القراء بعد •

« سمعت العرب يقولون ضربت ضربه ، وأخذت أخذه ، شبه الهاء
بالآلف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف » .

وطبيعي ان سيبويه لا يقصد التحدث عن الكسائي ، ولا عن مذهبه ،
إذ أن المذاهب المختلفة للقراء لم تكن قد تكونت بعد .

٨ - جرى سيبويه غالبا على ان يتبع القاعدة المثال ، ثم التعليل للفتح
فيها أو الإمالة . أما النحاة فلم يسلكوا هذا المنهج ، وبخاصة المختصرون
منهم ، أما من توسعوا فتركوا بعضا ، وذكروا بعضا .

٩ - وهناك بعض النصوص في الكتاب فسرها النحاة بعد تفسيرها
أخالفهم فيه من هذا جعلهم (كثرة الاستعمال) سببا من أسباب الإمالة ،
معتدين على نص لسيبويه سنأتي بعد عليه .
قال السيوطي (١) :

« عد قوم منهم صاحب البديع والبهاباذي من أسباب الامالة كثرة
الاستعمال كامالة الاعلام نحو الحجاج ، والمعجاج اسم الراجز مرفوعا
ومنصوبا » .

وقد ذكر ذلك ابن يعيش في شرح المفصل (٦٤٣ هـ) (٢) وابو حيان
في ارتشاف الضرب (٣) . ونقل القراء ذلك كابن الجزري في النشر (٤) .

ولنعرض اولا كلام سيبويه لنرى هل فيه ما يتفق مع كلام صاحب
البديع ، ومن لف لفة قال سيبويه ؟

« هذا باب أميل على غير قياس وإنما هو شاذ » .

(١) جمع الهوامع ج ٢ صفحة ٢٠٣ .

(٢) المفصل ج ٩ صفحة ٦٣ .

(٣) ارتشاف الضرب صفحة ٢١١ .

(٤) النشر ج ٢ ص ٣٤ .

وذلك الحجاج اذا كان اسما لرجل « وذلك لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر ؛ لأن الامالة اكثر في كلامهم ، واكثر العرب ينصبه ولا يميل ألف حجاج اذا كان صفة يجرونه على القياس » .

ونريد ان نرجع الضمائر التي في نص سيبويه هذا بحيث نستطيع توجيه النص وتفهيمه على حقيقته .

ففي قوله : « لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر ، لأن الامالة اكثر في كلامهم » .

واكثر العرب ينصبه الضمير في «لأنه» ظاهر عوده على الحجاج، وفي قوله «كلامهم» الاولى والثانية من المرجح انه يعود على قوم اتصلوا بالحجاج، واتصل بهم الحجاج اتصالا يجعلهم يكثرون من ترداد اسمه على ألسنتهم ، وما هؤلاء إلا الكوفيون الذين حكمهم الحجاج حكما طويلا بلغ فيما يقول المؤرخون عشرين عاما - أسكت فيه نأمة الكوفيين واطفا ثورتهم ، وضرب عليهم الذلة . وقد تنفس الناس الصعداء عندما حانت منيته ، وتغنى بذلك الاغراب بالبوادي ، وعدوا وفاته فرجة كربهم حيث يقول بعضهم :

لا تضيقن بالأمور فقد تفرج غماؤها بغير احتيال
رب ما تكره النفوس من الأمر لها فرجة كحل العقال

ذلك الذي سمعه الامام ابن العلاء ، وكان قد أصابه ما أصابه من الحجاج فهرب نحو اليمن ، فقال للأعرابي : « ما الخبر . ؟ » فقال « مات الحجاج » قال ابن العلاء : فكنت بقوله فرجة أسر مني بقوله : « مات الحجاج » ! (١)

فاذا كان هذا شأن الحجاج في العراق بمامة والكوفة بخاصة فليس من شك في ان الكوفيين يكثرون من ترداد اسمه على ألسنتهم رهبا لا رغبا،

(١) طبقات القراء ج ١ صفحة ٢٩٠ .

والامالة كما يقول سيويه (أكثر في كلامهم) ، فلم تكن كثرة الاستعمال سببا في إمالة الحجاج ، وإنما كان لهجة الامالة عند الكوفيين فاشية غامرة ، فكانت هذه الكلمة ممالة من بين الأعم الأغلب المال في لهجتهم ، وظهرت دون ما يميلون من الكلمات الاخرى ، اذ كانت بلقاء بشهرة الحجاج ، وسلطانه على نفوسهم .

ومن هنا يقول سيويه : « واكثر العرب ينصبه » من هؤلاء الذين لا تنفسي الامالة على ألسنتهم ، ولو كثر ذكر الحجاج في كلامهم .
ومن هنا لا تتفق مع ابن يعيش في شرحه المفصل اذ يقول :

« إنما أميل الحجاج لكثرة استعماله ، فالامالة أكثر في كلام العرب فحملوه على الاكثر هذا قول سيويه « اه كلام ابن يعيش » .

ولم يقل سيويه ذلك ، ومراجعة النص السابق عند سيويه ، وتوجيهنا للضائر فيه ، وتعليقنا عليه يظهر صواب مخالفتنا ابن يعيش في قوله « الامالة اكثر في كلام العرب فحملوه على الاكثر » فبين النصين فرق كبير ، فامالة الحجاج اكثر في كلام هذه القبائل التي حكمها الحجاج بسطوته ، وذلك هو السر في اختيار الحجاج مثلا لكثرة ترداده على ألسنتهم المميلة دون من عداه ممن ليس في جبروته وشهرته . وكلام المبرد صريح في ان الامالة في الحجاج ليست لكثرة الاستعمال ، وإنما هي للفصل بين المعرفة والنكرة والاسم والنعت قال : فاما قولهم هذا رجل حجاج لم تجز الامالة : لأنه لاشيء يوجبها ، ثم قالوا في الاسم والحجاج ، فانما أمالوا للفصل بين المعرفة والنكرة والاسم والنعت ؛ لأن الامالة أكثر . . . والنصب أحسن وأقيس (١) .
ومن الغريب ان بعضهم ضرب مثلا لكثرة الاستعمال بالحجاج ايضا (٢) .

ومن الحق والانصاف ان نذكر ان ابن الحاجب قال :

(١) المقتضب القسم الاول ج ٣ ص ٤٥ .

(٢) شرح التسهيل للدمايني ورقة ٤٥٠ .

« شذ الحجاج والناس لغير سبب » (١) .

فلم يجعلها من كثرة الاستعمال كما قال بعض النحاة .

١٠ - ومن أمثلة تقصيرهم في استقصاء كلام سيوييه واستيعابه ما ذكروه في كتبهم من الاختلاف في أي سبي الامالة أقوى الياء أم الكثرة .

فقد حكوا مذهب ابن السراج من ان الياء أقوى من الكثرة ؛ لأنها حرف ، والكسرة بعضها ، ومذهب الاكثرين من ان الكسرة أقوى من الياء (٢) ، وادعى الى الامالة . قالوا : وهو ظاهر كلام سيوييه فانه قال : في الياء لأنها بمنزلة الكسرة ، فجعل الكسرة أصلا .

وقد قال سيوييه : إن أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة ، وذكر في الياء ان أهل الحجاز وكثيرا من العرب لا يميلون للياء . فدل هذا من جهة النقل ان الكسرة أقوى (٣) .

ونريد ان نبين هنا ان النحاة وقد ذكروا حجج من قال بقوة كل من الكسرة والياء مستخرجة من الكتاب لم يفتن واحد منهم - فيما أعلم - الى حجة ذكرها سيوييه في جانب ابن السراج وترجح مذهبه في ان الياء أقوى ، ولعل ابن السراج لم يتنبه اليها كذلك .

قال سيوييه : « وقالوا رأيت عيرا - أي بامالة - » فاذا كانت الكسرة تميل فالياء اجمل ان تميل » .

وفي هذا دليل على ان الياء أقوى من الكسرة عند سيوييه . وهذا النص يضعف قول (ابن الضائع صاحب شرح الجمل الكبيرة) .

« واعلم ان كلام العرب على ما نقل سيوييه يدل على ان الكسرة

(١) الشافية ص ٨ .

(٢) ارتشاف الضرب ج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٤ .

(٣) الاشمونى ج ٤ صفحة ٢٠٨ .

أقوى ، وايضا ، الاستثقال في النطق بالكسرة أظهر منه في النطق بالياء التي ليست بمدة ، وإن كانت هذه الكسرة معها فلا شك ان إمالة ديماس أقوى من إمالة سربال ، وإنما الكلام في الياء التي ليس معها كسرة » .

يضعفه لأن كلام سيبويه يدل على أن الياء أقوى لا الكسرة كما يقول صاحب الشروح ، ويضعفه كذلك لأن قول سيبويه صريح في الياء التي ليس معها كسرة كما في (عيرا) أقوى من إمالة (سربال) .

ومن الأمثلة على عدم استيعابهم كلام سيبويه ايضا انهم اقتصروا في التعليل لما أميل من أجل الراء المكسورة في نحو من الضرر ومن الكبر ومن الصغر » على انها حرف تكرير اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة ... » ولم يفتنوا الى علة اخرى ذكرها سيبويه لامالة ما جاء من هذا الباب فقد شبهها بالياء في موضعين من كتابه قال (١) :

« الراء من موضع اللام وقريبة من الياء الا ترى ان الالغ يجعلها ياء » ؟ وقال (٢) : « لما كانت الراء كأنها حرفان مكسوران ، وكانت تشبه الياء ، أمالوا المفتوح كما أمالوا الألف » .

والتعليل للإمالة من اجل الراء قد قصره النحاة فيما قرأت لهم من كتبهم على ما فيها من تكرير ، وأغفلوا ما لها من شبه بالياء ، ولم أعلم واحدا من هؤلاء وهؤلاء نقل هذه العلة اذا استثنينا ابن يعيش في شرحه المفصل حيث ينقل نص سيبويه السابق في ان الالغ يجعلها ياء ، وشرح ذلك بقوله : « فيقول - أي الالغ - في بارك الله لك - بايك لك » (٣) .

على ان النحاة وقد وقفوا أمام نصوص سيبويه هذه المواقف التي شرحنا ، قد وقف المتأخرون منهم موقفا شبيها بهذا مع بعض متقدميهم ، كما

(١) ج ٢ صفحة ٢٦٨ .

(٢) ج ٢ صفحة ٢٧٠ .

(٣) شرح المفصل ج ٩ صفحة ٦٢ .

وقف السيوطي في الهمع فيما قاله عن أبي حيان : جاء في كتاب الهمع للسيوطي ^(١) .

قال ابو حيان : « وقد زاد سيويه ثلاثة اسباب شاذة » وهي :

١ - شبه الألف بالالف المشبهة بالالف المنقلبة .

٢ - وفرق بين الاسم والحرف .

٣ - وكثرة الاستعمال .

وقد رجعت الى ارتشاف الضرب ^(٢) لأرى نصه الذي نقله عن السيوطي فلم أجده ، وإنما وجدت فقط :

« الفرق بين الاسم والحرف ، وهذا من الاسباب الشاذة » ^(٣) .

ولم يذكر ابو حيان الشذوذ عند كلامه على (كثرة الاستعمال) .

وأما « شبه الالف بالالف المشبهة بالالف المنقلبة » فلم ترد في ارتشاف الضرب على هذه الصورة ، وإنما الذي ورد حالتان قريتان من تلك :

(١) تشبيه الالف بالالف المنقلبة عن الياء ، وهذه ألف اللاحق فسي نحو علقي أو التأنيث .

(ب) شبه بالالف المشبه بالالف المنقلبة ، وذلك هاء التأنيث ^(٤) .

على ان سيويه قد جعل شبه الالف بالالف المشبهة بالالف المنقلبة من الاسباب الشاذة - وان لم يذكر أبو حيان - ومثل سيويه له يباب ومال حيث شبهت الالف فيهما بألف غزا المشبهة بألف رمى ^(٥) .

(١) ج ٢ صفحة ٢٠٠ .

(٢) يذكر صاحب شذرات الذهب ان السيوطي اعتمد على ارتشاف الضرب لأبي حيان في كتابه الهمع . ج ٦ صفحة ١٤٧ شذرات الذهب .

(٣) ارتشاف الضرب صفحة ٢١٠ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الكتاب لسيويه ج ٢ صفحة ٢١٤ .

هذا حسابنا مع النحاة ، اما المؤلفون من القراء فقد كنا ننتظر منهم الا يتابعوا النحاة فيما يأتي :

(ا) في سرد أسباب الإمالة كما سردها النحاة في كتبهم .

(ب) في ضرب الأمثلة التي وضحوها بها هذه الأسباب .

وأهم شيء كان يجب على القراء ان يذكروه في أسباب الإمالة هو « النقل عن الأئمة » فالقراءة إنما يتبع فيها الاثر ، ولا تجري على قياس أو نظر . نعم . . قد تعرض القراء لشيء من ذلك ، ولكن في مواضع من كتبهم بعيدة كل البعد من حديثهم عن أسباب الإمالة ، تعرضوا لها عند الاحتجاج والتعليل لا عند سرد الأسباب (١) .

ثم اذا كان القراء يعتقدون برسم المصحف ، فلم لم يذكروه سببا في إمالة ما أميل ؟ . .

وإنصافا لابن الحسن القاصح نذكر انه الوحيد الذي تنبه الى ذلك السبب فذكره من أسباب الإمالة (٢) .

ولنأخذ ابن الجزري في كتابه النشر دليلا على مسلك القراء في حديثهم عن أسباب الإمالة ، ومدى اتفاقهم مع النحاة تعليلا وتمثيلا ، ولأن ما كتبه ابن الجزري يعد الحلقة الأخيرة لما أورده القراء من أسباب (٣) . قال ابن الجزري :

(فأ سباب الإمالة) قالوا: هي عشرة ترجع الى شيئين أحدهما الكسرة ، والثاني الياء ، وكل منهما يكون متقدما على محل الإمالة من الكلمة ، ويكون متأخرا ، ويكون أيضا مقدرًا في محل الإمالة ، وقد تكون الكسرة

(١) انظر الموضح مثلا عند حديثه عن أسباب الإمالة ورقة ٢٥ صفحة ١٧ .

(٢) انظر سراج القاريء صفحة ١١٧ .

(٣) كتاب اتحاف فضلاء البشر للبنا الديماطي معتمد على النشر .

والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محل الإمالة ، ولكنهما مما يعرض في تصاريف الكلمة ، وقد تمال الالف او الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة ، وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة (قلت) : « وتمال أيضا لسبب كثرة الاستعمال ، وللفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الاسباب اثني عشر سببا والله أعلم » اهـ .

وربما يفهم من قوله : « قلت » وتمال أيضا . الخ إن قوله هذا من زياداته ولكن النحاة من قبله تحدثوا عن ذلك ^(١) .

ونرى ان ننقل هنا تمثيل ابن الجزري وشرحه لهذه الاسباب لمناقشتها والتعليق عليها ، قال رحمه الله :

فاما الإمالة لأجل كسرة متقدمة ، فليعلم انه لا يمكن ان تكون الكسرة ملاصقة للألف ، اذ لا تثبت الالف إلا بعد فتحة ، فلا بد ان يحصل بين الكسرة المتقدمة والالف الممالة فاصل ، وأقله حرف واحد مفتوح نحو : كتاب وحساب ، وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الالف .

فأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة ، والفتحة مبدأ الالف ومبدأ الشيء جزء منه ، فكأنه ليس بين الالف والكسرة حائل ، وقد يكون الفاصل بين الالف والكسرة حرفين ، بشرط ان يكون أولهما ساكنا او يكونا مفتوحين والثاني هاء ، نحو انسان ، ويضربها ، من اجل خفاء الهاء ، وكون الساكن حاجزا غير حصين ، فكأنهما في حكم المعدوم ، وكأنه لم يفصل بين الكسرة والالف إلا حرف واحد ، وهذا يقتضي ان من أمال مرت بها كانت الكسرة عند الالف في الحكم وان فصلت الهاء في اللفظ ، واما إمالتهم (درهمان) فقليل من اجل الكسرة قبل ، ولم يعتد بالحرفين الفاصلين والظاهر انه من أجل الكسرة المتأخرة .

(١) انظر ارتشاف الضرب مثلا صفحة ٢١٠ .

وأما الياء المتقدمة ، فقد تكون ملاصقة لالاف الممالة ، نحو اياما والحياة ، ومن ذلك قولهم السيل (بفتح السين) وهو ضرب من الشجر له شوك ، وهي من العضاء . وقد يفصل بينهما بحرف نحو شيان ، وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو يدها . وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو رأيت يدنا .

وأما الإمالة من اجل الكسرة بعد الالف الممالة نحو : عابد وقد تكون الكسرة عارضة نحو (من الناس . وفي النار) ، لأن حركة الإعراب غير لازمة .

(وأما الإمالة لأجل الياء بعد الالف الممالة فنحو مباح)

وأما الإمالة لأجل الكسرة المقدرة في المحل الممال فنحو : (خاف بكسر عين الكلمة وهي الواو فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

وأما الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال (فنحو يخشى ، والهدى ، وأتى ، والثرى) تحركت الياء في ذلك وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا .

وأما الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة فنحو طاب ، وجاء ، وشاء ، وزاد ، لأن الفاء تكسر من ذلك اذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث ، فنقول طبت ، وجنت ، وشئت ، وزدت ، هذا قول سيبويه .

وأما الإمالة لأجل ياء تعرض في بعض الأحوال فنحو تلا ، وغزا ، وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو التلاوة والغزو ، وإنما أميلت في لغة من أمالها لأنك تقول اذا بنيت الفعل للمفعول تَلَى وَغَزَى مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيت الفعل للفاعل .

وأما الإمالة لأجل الإمالة فنحو إمالة (تراءى) أمالوا الألف الأولى

من أجل إمالة الألف الثانية المنقلبة عن الياء ، وقالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف المبذلة من التنوين لأجل إمالة الأولى المالة لأجل الكسرة وقيل في إمالة (الضحى والقوى وضحاها وتلاها) إنها بسبب رءوس الآى قبل وبعد فكانت من الإمالة للإمالة •

ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من (إنا لله) لإمالة الألف من (لله) ولم يمل (وإنا إليه راجعون) لعدم ذلك بعده •

وأما الإمالة لأجل الشبه ، وإمالة ألف التأنيث في نحو « الحسنى » وألف اللاحق في نحو (أرطى) في قول من قال مأرط لشبه ألفيهما بألف (الهدى) المنقلبة من الياء • ويمكن أن يقال بأن الألف تنقلب ياء في بعض الاحوال ، وذلك اذا ثنيت قلت الحسيان ، والأرطيان ، ويكون الشبه ايضا بالمشبه بالمنقلب عن الياء كامالتهم موسى ، وعيسى ؛ فانه الحق بألف التأنيث المشبهة بألف الهدى •

وأما الإمالة لأجل كثرة الاستعمال ، فكامالتهم الحجاج علما لكثرتهم في كلامهم • ذكره سيويه • ومن ذلك إمالة (الناس) في الأحوال الثلاث رواه صاحب المبهج وهو في لغتهم لكثرة دوره • ويمكن أن يقال ان ألف الناس منقلبة عن ياء كما ذكره بعضهم •

وأما الإمالة لأجل الفرق بين الاسم والحرف ، فقال سيويه : « وقالوا باء وتاء في حروف المعجم » يعني بالإمالة لأنها اسماء ما يلفظ به فليست مثل ما ولا غيرها من الحروف المبنية على السكون وإنما جاءت كسائر الأسماء • انتهى •

(قلت) أي ابن الجزري - وبهذا السبب أميل ما أميل من حروف الهجاء في الفواتح والله أعلم ^(١) •

(١) النشر ج ٢ ص ٢٢ وما بعدها •

وأول ما يلحظ على ابن الجزري ومعظم القراء في تحدثهم عن أسباب الإمالة أنهم كانوا يتحدثون كما يتحدث النحاة لا كما يتحدث القراء ، فقد مثل ابن الجزري للكسرة التي قبل الالف بكتاب وحساب ، وهذان المثالان إن صح أن يمثل بهما النحاة فلا يصح أن يمثل بهما عند القراء ؛ لأنهما غير مسالين عند من أمال منهم ، وكان يخلص له الكلام لو أنه مثل (لكلاهما) في قوله تعالى « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف » فقد أمال هذين الحرفين هشام ، وحمزة ، والكسائي (١) .

« ثم كانت له مندوحة لو مثل بالاحرف الآتية « الى حمارك » كمثل الحمار ، فقد تفرد ابن ذكوان بامالتهما ، قال ابو شامة ، ووجه كسر أوائل الجميع وما بعد الالف .

ثم قوله : وقد يكون الفاصل بين الالف والكسرة حرفين بشرط أن يكون أولهما ساكنا مثل انسان ، أو أن يكونا مفتوحين والآخر هاء نجو يضربها من اجل خفاء الهاء ، وكون الساكن حاجزا غير حصين ، فكأنهما في حكم المعلوم ، وكأنه لم يفصل بين الكسرة والالف إلا حرف واحد ، تمثيل نحوي لا أدائي ، فقد ورد حرف « انسان في القرآن الكريم في ستين موضعا منها عشرة مجرورة أي اجتمع فيها الكسرة قبل الالف وبعده ، ومع هذا لم يملها قارئ من القراء ، وكان الاولى به لو مثل باكراهن ، والإكرام وهذان الحرفان ممالان عند ابن ذكوان .

وأما يضربها فقد تابع فيه ابن الجزري سيبويه من قبل ، وتبحث هل ورد لفظ يضربها في كتاب الله ؟ إن كل ما ورد من مادة الضرب فعلا مضارعا قول الله تعالى ١٠٠٠ - وقد جاءت في جميعها غير متصلة بضير الهاء بله (ها) : -

(١) ابراز المعاني لابي شامة صفحة ١٦٣ ، السراج لابن القاصح صفحة ١٢٤ .

كذلك يضرب الله الحق والباطل ... الخ (١) .

وكذلك تمثيلة بقوله « مررت بها » فإن كل ما ورد في القرآن الكريم من المرور فعلا ماضيا ما يأتي :

أو كالذي مر على قرية (٢) مر كان لم يدعنا الى ضرمة (٣)
وهي تمر مر السحاب (٤) وكلما مر على ملا من قومه (٥)

فبأي شيء نعلل تمثيل القراء بقولهم : مررت بها مع عدم وجودها في القرآن الكريم أصلا إلا بأنهم يتابعون النحاة ؟

وابن الجزري في قوله « وإمالتهم درهمان » نحوي كذلك لا قارىء ، فلم يرد في القرآن إلا دراهم في قوله تعالى « وشروره بثمان بخرس دراهم معدودة » (٦) .

ومثل ذلك يقال في قوله « وأما الياء المتقدمة فقد تكون ملاصقة للآلاف الممالة نحو إمالة أياما والحياة .. ومن ذلك قولهم السيل ... وقد يفصل بينهما بحرف نحو شيان ، وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو يدها .

فأياماً غير ممالة عند القراء ، وحرف الحياة يقول فيه أبو شامة « وأما الحياة فلم تمل ، وإن كانت ألفها منقلبة عن ياء عند قوم ؛ لأن ألفها رست واوا في المصحف ، ولأن الخلاف قد وقع في أصل ألفها فوقع الشك في سبب الإمالة فتركت ، وعدل الى الفتح فانه الأصل (٧) .

(١) انظر المعجم المفهرس مادة ضرب .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

(٣) سورة يونس آية ١٢ .

(٤) سورة النمل آية ٨٨ .

(٥) سورة هود آية ٣٨ .

(٦) سورة يوسف آية ٢٠ .

(٧) ابراز المعاني ص ١٥٤ .

ويقطع مكى بأن الحياة من ذوات الياء ، ولكن لم ترد إمالة عن أحد وذلك لتبع نظائره نحو الصلاة والزكاة (١) .

وكان يعني ابن الجزري ومن تابع النحاة من القراء أن يمثلوا بلفظ (بيان) في القرآن بدل من (السيل) ، وريحان بدلا من (شيان) . وإن كان القراء لا يمثلون شيئا من ذلك ، ولكن التمثيل بهذا وهو من القرآن أقرب الى مذاهب القراء .

وقوله « وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو يدها ، وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو « رأيت يدنا » من هذا الباب أيضا ، فلم يرد في القرآن الكريم يدنا ولا يدها ، وإنما الذي ورد (يده) في قوله تعالى « ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين » وفي قوله تعالى « إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ويدي ، ويدي ، ويديه ، ويديها (٢) .

وكان في استطاعته أن يمثل للياء التي تقع بعد الألف بمعايش بدلا من مبايح ، فالحرف الأول ورد في القرآن الكريم ولم يرد الحرف الآخر .

ثم قال ابن الجزري: « وقد تمال الالف أيضا بسبب كثرة الاستعمال ومثل بقوله « الحجاج » علما والناس وهذا أيضا مما يؤيد القضية ، فالحجاج ليست في القرآن لا صفة ولا علما وقد ذكر في الكتاب لسيبويه ، ففسره النحاة تفسيرا تعرضنا لمخالفته ، وتابعهم القراء .

وأما العلة التي ذكرت لإمالة حرف (الناس) فليست كما يرى ابن الجزري فيما أرى ، وليست كثرة الاستعمال سببا في إمالة هذا الحرف ، ففي القرآن الكريم وهو — الذي يعتمد في موضع الاعتداد بقلة الاستعمال أو كثرت — عند القراء على الأقل — لفظ الجلالة ، وقد كثر دوره في القرآن أكثر من نصف الالف مرة ، ومع هذا لم يمله أحد من القراء .

(١) الكشف ص ٩٨ .

(٢) مفتاح كنوز القرآن ص ٥٩٠ .

فتشيل ابن الجزري بالحجاج والناس لكثرة الاستعمال متابعة للنحاة
قيما تأتون به من الأمثلة وما يدعون .

ثم ماذا ؟ لم يكن ابن الجزري وحده هو الذي تابع النحاة ، بل من
قبله الداني في الموضح ، ومكي في التبصرة ، بل إن سبط الخياط البغدادي
يقول في المبهج .

« وأما ما يكسر في حال من الاحوال فحو صار فحسنت الامالة فيه
لمراعاة الكسر (١)

وهو في هذا متابع لسيويه حيث جاء في الكتاب .
وبلفنا عن ابن أبي إسحق انه سمع كثير عزة يقول « صار بمكان كذا
وكذا .. (٢)

كل هذا ويفعل معظم القراء في أسباب الامالة رسم المصحف، والرواية
وأقول معظم القراء لأن مكي بن أبي طالب يقول « وقد يأتي من الامالة
ما يتبع فيه الرواية (٣) .

مع انه عندما ذكر تلك العبارة لم يذكرها على أنها من أسباب الامالة ،
بل ذكرها بعيدا عن كلامه عن الأسباب .

وابن القاصح يرى ان من أسباب الامالة رسم الألف في المصحف بالياء
وإن كان أصلها الواو .

وسأبدأ في بيان مدى اتفاق قواعد النحاة والقراء في أسباب الإمالة
وموانعها .

(١) المبهج ص ١٣٦ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٣) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن أبي طالب ج ١ ص ٨٤ .

(أولاً) الكسرة التي قبل الألف

يقول النحاة في شرح الكسرة التي قبل الألف « والحرف المتحرك بالكسرة إما أن يكون بينه وبين الألف حرف أو حرفان ، والأول أقوى من اقتضاء الإمالة لقربها نحو « عماد » ، والتي بينها وبين الألف حرفان لا تقتضي الإمالة إلا إذا كان الحرف الذي بينها وبين حرف الألف ساكناً نحو شلال (١) .

وتابع القراء النحاة في ذلك .

فاذا تتبعنا ما جاء في القرآن الكريم على وزن عماد ، ورجعنا الى كتب القراءات لتتعرف: هل أمال واحد من القراء هذه الألفاظ التي جاءت على وزن عماد؟ ، والتي أمالها النحاة؟ رأينا ان القراء لم يعتدوا بالكسرة التي قبل الألف سبباً في إمالة الحرف الذي جاءت فيه .

وقد قسمت ما جاء على وزن « فِعَال » في القرآن الكريم الى الأقسام الآتية :

أ - الكلمات التي فيها حرف استعلاء قبل الألف ومتصلاً بها وذلك : لِقَاء .

ب - الكلمات التي فيها حرف استعلاء بعد الألف مثل (تَفَاق) - دِهَاق .

ج - الكلمات التي فيها حرف استعلاء قبل الألف وبعدها . (شَقَاق - قَصَاص)

ولا خلاف في ان جميع هذه الاحرف التي وقع فيها حرف الاستعلاء متقدماً على الألف او متأخراً عنها ومتصلاً بها ... غير ممالة عند النحاة والقراء معاً .

(١) انظر ج ٢ ص ٣٥٢ « التوضيح وشرح التصريح » و ج ٢ ص ٣٣ النشر

د - وهناك أحرف وقع فيها حرف الاستعلاء مكسورا قبل الالف، وقد فصل بحرف واحد وهذا النوع ممال عند النحاة (١) .

قال في التوضيح وشرحه التصريح : « وشرط المنع بحرف الاستعلاء المتقدم على الالف أن يتصل بها أي بالالف نحو صالح وضامن .. أو ينفصل بحرف واحد نحو غنائم ؛ لأن الفصل بحرف واحد كلا فصل ، إلا إن كان حرف الاستعلاء مكسورا غير ممال عندهم في نحو : خِفَاف . خِلَاف . خِلَال . خِيَام . الخِيَاة . صِحَاف . صِيَّام . ضِيَّاء . غِلَال . قِتَال . قِيَّام . ضِعَاف . وجميع هذه الأحرف مماله عند النحاة ، ولم يمل القراء من هذه الأحرف إلا (ضعاف) ، وسنرى أن ابن الجزري يورد مذاهب حول هذه الكلمة ويرجِّح الفتح على الإمالة .

أمَّا ما بقي موازنا لِفِعْمال في القرآن الكريم فهو إما :

(١) لم يكن فيه حرف الاستعلاء ولا راء .

(٢) وقع فيه بعد الالف راء مضمومة أو مفتوحة . أو كان فيه قبل الالف راء مفتوحة .

(٣) وقع فيه بعد الألف راء مكسورة .

أما القسم الأول فهو ممال عند النحاة غير ممال عند القراء وحروفه بعد مراقبتها في القرآن الكريم هي :

إِنَاث . بِلَاد . بِنَاء . ثِيَاب . حِبَال . جِدَال . جِفَان . جِمَالَة . حِجَاب . حِدَاد . حِسَان . حِسَاب . الدِّمَاء . كَالِدُهُان . رِجَال . رِحَال . رِسَالَات . الرِّعَاء . رِرْكَاب . رِرْهَان . رِرْيَاح . شِدَاد . شِمَال . شِهَاب . عِبَاد . عِجَاف . عِشَاء . عِمَاد . فِجَاج . كِفَات .

(١) التوضيح وشرحه التصريح ج ٢ ص ٢٥٣ .

كِلِمَات • لِيَاس • لِيَزَامَا • لِسَان • مِجَال • مِدَاد • مِسَاس • فَاَلْمُورِيَّات •
مِيَهَادَا • نِدَاء • نِسَاء • النِّكَاح • الْأَنْبِيَاء • سِيَّيَات • كِلِمَات •
الذَّارِيَّات • الْحَامِلَات • الْجَارِيَّات •

أما القسم الثاني الذي وقعت فيه بعد الالف راء مضمومة أو مفتوحة
أو وقعت فيه قبل الالف راء مفتوحة ، فهذا لا خلاف في عدم إمالته عند
النحاة والقراء على السواء •

قال صاحب المفصل (١) :

والراء غير المكسورة اذا وَلَّيْتُ الالف منعت منع المستعلية • تقول
هذا رائد ، وهذا حمارك ، ورأيت حمارك على التفخيم •

وقد جاء موازنا لِفِعَال مما فيه راء جاورت الالف مضمومة ، أو
مفتوحة الاحرف الآتية في القرآن الكريم •

بِعَار • بِيْدَار • جِيْدَار • جِيْهَار • حِيْجَارَة • دِرَاسَاتِهِمْ • ذِرَاعَا •
سِرَاعَا • سِرَاجَا • ضِرَارَا •... الخ •

وهذه الاحرف لا خلاف في فتحها عند النحاة والقراء •

بقي القسم الثالث وهو الذي وقعت فيه الراء مكسورة بعد ألف فعال •

حمار — ديار في قوله تعالى :

كمثل الحِمار يحمل أسفارا (٢)

وانظر الى (حِمَارِك) (٣)

(١) شرح المفصل لابن يمش ج ٩ ص ٦١ •

(٢) سورة الجمعة آية ٥ •

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٩ •

فجاسوا خلال الديار ^(١) ، وأخرجوكم من دياركم ^(٢) ، ثم (من ديارنا) - في ديارهم - من ديارهم ^(٣) .

وهذا القسم لا خلاف في إمالة بين النحاة والقراء ، ولكن لم أماله القراء ؟ ألكسرة قبل الالف ؟ أم لكسرة الراء ، أم لاجتماع ذلك كله مع الياء ؟

لو أن القراء عللوا إمالة هذه الاحرف بالكسرة قبل الالف لامالوا (كتاب) مثلا ، ولو انهم عللوا باجتماع الكسرة والياء لامالوا نحو رياح ، وصيام . وخيام .

ليس السبب في إمالة الاحرف السابقة هذا أو ذاك ؛ بل إن هذه الاحرف أميلت من اجل كسرة الراء بعد الالف وكسرة الراء تقوم مقام كسرتين ، بدليل انه قد اجتمعت الكسرة قبل الالف مع فتح الراء بعدها في قوله تعالى : « وأورثكم ارضهم وديارهم » فلم تمل الالف في هذا الحرف ، وكذلك في الحروف السابقة التي جاءت فيها الراء بعد الالف مفتوحة أو مضمومة .

ومن ذلك العرض اجزم بان الكسرة قبل الالف لا يعتد بها القراء وحدها سببا في إمالة الالف بعدها .

وربما خطر السؤال الآتي :

إذا كنا قد انتهينا الى ما اتهمنا اليه وهو ان الكسرة قبل الالف لا يعتد بها سببا للإمالة عند القراء ، فلم أمال بعض القراء ألف (ضعاف) في قوله تعالى : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليقتوا الله وليقولوا قولاً سديداً ^(٤) ؟

(١) سورة الاسراء آية ٥ .

(٢) سورة النساء آية ٦٦ .

(٣) انظر المعجم المفهرس في هذه المادة .

(٤) سورة النساء آية ٩ .

صحيح ان النحاة قالوا « النصب في ضعاف جيد ، والإمالة فيه أجود » (١) .

هذه نظرة النحاة الى هذا الحرف ، واما عند القراء فلم يمل هذا الحرف واحد من القراء السبعة ، ولم يمله من العشرة إلا خلف في روايته عن حمزة ، وفيه عن خلاد خلاف قال (٢) :

وأما ضعاف فأماله حمزة من رواية خلف ، واختلفت أي الرواية عن خلاف ؛ فروى أبو علي بن بليمة صاحب التلخيص إمالاته ، وأطلق الوجهين صاحب التيسير ، والشاطبية ، والتبصرة ، والتذكرة ، ولكن قال في التيسير انه بالفتح يأخذ له « (٣) وقال في المفردات « إنه قرأ على بن الفتح بالفتح » وعلى أبي الحسن بالوجهين واختار صاحب التبصرة الفتح ، وقال ابن غليون في تذكرته : « واختلف عن خلاد فروى عنه الإمالة ، والفتح ، وأنا آخذ له بالوجهين كما قرأت : قلت « وبالفتح قطع العراقيون قاطبة وجمهور أهل الأداء وهو المشهور عنه . والله أعلم » .

فأنت ترى رجحان كفة الفتح في ضعاف عن كفة الإمالة . فالخلاف وارد عن خلاد ، ثم ان الداني في تيسيره ومفرداته يختار الفتح ، ومكي في تبصرته يختار الفتح كذلك ، ويأتي بعد ابن الجزري فيقطع الشك بعبارة لا تحتل التأويل وهي قوله « وبالفتح قطع العراقيون قاطبة وجمهور أهل الأداء وهو المشهور عنه والله أعلم » .

فبان إذن الفرق بين نظرة النحاة ، ومذهب القراء الى هذا الحرف . بقيت هناك كلمات أمالها القراء ، وربما توهم انها أميلت من أجل الكسرة قبل الالف وهي :

(١) شرح المفصل لابن يمشي ج ٩ ص ٦٠ .

(٢) النشر ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) التيسير ص ٥١ .

الربا - كلاهما - إناه - المحراب - مشكاة .

أما الربا وكلاهما ، فالقراء يقولون : ان الإمالة هنا من أجل الكسرة قبل الالف ، أو من أجل الاصل اليائي في كلاهما ؛ لأن الألف منقلبة عن ياء وبالرغم من ان هذه حجة تدعم ما أراه إلا ان صاحب القاموس جعل (كلا) من ذوات الواو ، لهذا قال في النشر ^(١) :

« وأما الربا وكلاهما » فقد ألحقه بعض أصحابنا بنظائره من القوى والضحي ، فاماله بين بين وهو صريح العنوان ، وظاهر جامع البيان ثم قال :
والجمهور على فتحه وجها واحدا وهو الذي نأخذ به

فان قلت « فلم أميل الحرف » إناه في قول الله تعالى : « يأياها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه » أو ليست الإمالة هنا من أجل الكسرة ؟

قلت : « ان الاء هنا من اجل الاصل اليائي مضموما الى الكسرة ؛ اذ ان أصل الالف في إناه (الياء) لأنها من أنى يأنى بمعنى آن يئين ، أي حان يحين ، ومنه قول الشاعر مع بين اللفتين : -

يئن لي أن تقصن عَمَّائِي وأعرض عن ليلي؟ بلى! قد أنى ليا
ومن هنا قال ابن فيره :

إناه لي شاف، وقل : أو كلاهما شفا وليكسر أو لياء تملا
قال أبو شامة معلقا على امالة (إناه) . أي لإمالاته دليل شاف، وهو ان الاء منقلبة عن ياء من أنى يأنى بمعنى آن يئين أي حان ^(٢) .

قإن قيل : فلم امال ابن ذكوان الالف في المحراب من قوله تعالى

(١) النشر ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) إبراز المعاني ص ١٦٣ .

« يصلّى في المحراب » في آل عمران ، « فخرج على قومه من المحراب » في مريم ، وفي قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » في آل عمران . وقوله تعالى « اذ تسوروا المحراب » في (ص) .

قلت : « اما الحرفان الاولان « يصلّى في المحراب » و « فخرج على قومه من المحراب » فاجتمعت في كل منهما علتان : كسرة الميم قبل الالف ، وكسرة الاعراب على الباء بعدها . فلم تكن الكسرة وحدها في هذا الحرف من هذين الموضعين سببا في الامالة ، بل اجتمع معها علة اخرى .

واذا كان الامر كذلك فلم أميل المحراب في الموضعين الآخرين ، وقد جاء منصوبا فيهما . . في « كلما دخل عليها زكريا المحراب » و « اذ تسوروا المحراب ٢٠٠ » (١)

« قلت : حرف المحراب في الموضعين الاولين ممال عند ابن ذكوان من جميع طرقه . اما في الموضعين الآخرين فاختلف عنه فيهما .

فأماله فيهما النقاش عن الاخفش من طريق عبد العزيز بن جعفر ، ورواه هبة الله عن الاخفش كما رواه محمد بن يزيد الاسكندراني عن ابن ذكوان . اما الذين فتحوا هذا الحرف في هذين الموضعين عن ابن ذكوان فكثرة غامرة :

الصوري ، وابن الاخرم عن الاخفش ، وسائر اهل الاداء من الشاميين والمصريين والعراقيين والمغاربة .

وهذا دليل على ما ذهب اليه من ان الكسرة وحدها ليست كافية لامالة الالف بعدها .

بقي من هذه الأحرف حرف مشكاة ، ويكفيها ابو شامة مؤونة نقاش الامالة في هذا الحرف ، اذ قال : « امالة كمشكاة ليس من جل الكسرة

(١) سورة « ص » .

وحدها ، بل ان وجه امالتها الكسرة بعد الالف ، وكسرة الميم ايضا كما تميل
العرب شمالا (١) .

فعلّ تعلّلا صحيحا ، وقاس قياسا خاطئا ، فقله : « ان السبب في
امالة الالف في « كمشكاة » الكسر بعد الالف ، وكسرة الميم كلام صحيح ،
اما قوله : « كما تميل العرب شمالا » ففيه مجانبة للدقة ؛ ذلك لأن شمالا
مالة عند النحاة بسبب الكسرة على أوله فقط على حين ان القراء لا يكتفون
كما بينا من قبل - بالكسرة وحدها قبل الألف على نحو ما سبق .

ثم انظر بعد ذلك ما أورده مكّي بن ابي طالب سببا في امالة هذا
الحرف وهو يؤكّد ما ذهبت اليه ولا ينفيه ؛ اذ أتى بتعليل جديد لا يتعارض
مع ما أنا فيه ، قال (رحمه الله) : فاما كمشكاة فلم تقع الامالة فيه لأجل هاء
التأنيث ، إنما وقعت الامالة ووجهت لأن الالف رابعة ، وكل ألف رابعة
فالامالة حسنة فيها ، كانت الالف من الياء أو من الواو . الا ترى ان أزكى
وادعى ويرعى وشبهه يمال وإن كانت ألفه أصلها الواو؟ ألا ترى انك تقول
زكوت وازكيت فتثبت الواو اذا كانت ثالثة وترجع الياء في موضعها اذا
كانت رابعة (٢) ؟

فاتضح اذن بعد هذه المناقشة نظرة النحاة الى امالة ما كان موازنا
لفعال وما الحق به من الاحرف التي وقع قبل الالف فيها كسرة على
شرطهم في ذلك .

ولعل من المسلم كذلك ان القراء - السبعة منهم على الاقل - لا يعتنون
بالكسرة قبل الالف وحدها سببا من اسباب الامالة .

(تأنيث) الكسرة المقدرة

وقد يرد على تلك النتيجة التي انتهت اليها ما تفرد حمزة بامالته في

(١) ابراز المعاني ص ١٥٩ .

(٢) الكشف ص ٩٦ .

عينات الأفعال في « زاد ، جاء ، شاء ، خاف ، ضاق ، ضاقت ، حاق ، حاقت ، وخاب » حيث وقع ذلك ، ونحو زاغ ، وزاغوا في قوله تعالى « ما زاغ البصر وما طغى »^(١) وفي قوله تعالى « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم »^(٢) .

فقد امال حمزه الالف من ذلك كله نحو الياء ، ووافقه ابن ذكوان في جاء وشاء حيث وقعا وعلى امالة زاد في أول سورة البقرة خاصة^(٣) .

ويكاد الاتفاق يكون تاما بين من امال من القراء والنحاة في هذا الباب إلا ما كان من القراء في عدم امالتهم للفعل (سار) في قوله تعالى « وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا » (وسأل) في قوله تعالى « أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها » وفي افعال أخرى: فاءت - كاد - كألوههم

وإلا ما كان من حمزة من تخصيص « زاغ ، وزاغوا » بالإمالة دون التي في قوله تعالى : « وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر »^(٤) .

وفي قوله تعالى : « أم زاغت عنهم الأبصار »^(٥) .

وفي قوله تعالى : « أزاغ الله قلوبهم »^(٦) .

وكل ذلك - كما يذكر القراء - للجمع بين اللغتين ؛ ليعلم أن القارئ بهما غير خارج عن الفاظ العرب^(٧) . ولا تباع الرواية والنقل عن الأئمة^(٨) .

وإنما اوردت هذه الاحرف على النتيجة التي انتهت إليها لأنهم يملكون

(١) سورة النجم آية « ١٧ » .

(٢) الصف آية « ٥ » .

(٣) انظر النشر ج ٢ ص ٥٩ وما بعدها .

(٤) الاحزاب آية ١٠ .

(٥) سورة ص آية ٦٣ .

(٦) الصف آية ٥ .

(٧) الحجة لابن خالويه ص ٤ - ب .

(٨) الكشف ص ٨٤ .

امالتها بكسر فائها عند الاخبار في قولك : جئت وشئت وخفت .. الخ
فدل بالامالة على ان الاول منها مكسور عند الاخبار ، فعملت الكسرة
المقدرة فأميلت الالف لها • قال صاحب المبهج : (١)

واما ما يكسر في حال من الاحوال نحو « صار وخاف » لانه تقول
صير وخيف ، وصرت وخفت فحنت الامالة فيه لمراعاة الكسر •

وهذا الإيراد سهل دفعه اذا علمنا ان الكسرة وحدها ليست سببا في
امالة هذه الافعال ، بل ان في كل فعل من هذه الافعال اكثر من علة ، فكل
من جاء وشاء اجتمعت فيه العلة الآتية :

ا - إن الحرف الاول ينكسر عند الاخبار في قولك جئت وشئت •

ب - ان الالف التي هي عين الفعل الممالة اصلها الياء •

ج - إن الهمزة في آخرها تشبه الالف ، لأنها أختها في قرب المخرج ،
وفي أنها تبدل من الهمزة كثيرا ، فصار كأن في آخرها ألف ، فقويت الامالة
لذلك •

د - إن العين في المستقبل منهما مكسورة ، وأميلت الالف في الماضي

لتدل على كسرة العين في المستقبل •

ومن اجل اجتماع هذه العلل الأربع خصها ابن ذكوان بالامالة دون
غيرها (٢) •

وأما « طاب وخاب وضاق وزاغ وزاد » فأميلت لعلل ثلاث :

ا - إن اوائلها تنكسر عند الاخبار •

ب - إن عيناتها كلها أصلها الياء •

ج - إن العين في المستقبل في جميعها مكسورة فقويت الإمالة فيها

لاجتماع هذه العلل الثلاث •

(١) المبهج ص ١٣٦ •

(٢) الكشف صفحة ٨٤ •

ثم دون ذلك في قوة الامالة « خاف » لأنها أميلت لملتين فقط .

ا - إن الاول منها ينكسر في الإخبار في قولك خفت .

ب - إن عين الفعل منها أصله الكسر .

على ان بعض هذه التعليقات - وقد أوردها مكّي من السهل مناقشتها ورجعها الى الكسرة في الإخبار ، وفي عين الفعل ، فيكون سبب الامالة اجتماع كسرتين .

على ان هذا الباب يكاد تعليله يكون متصلا بالرواية والنقل عن الأئمة مقصورا عليه .

فلم أمال حمزه هذه الافعال دون سار وسال وكاد وفاءت . . الخ . ؟
ولم استثنى زأغت في قوله : واذا زأغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر (١) ؟ وفي قوله أم زأغت عنهم الأبصار (٢) ؟

الاتصالها بتاء التأنيث ؟ فقد استثنى ابن شريح في جميع هذه الافعال ما اتصل بتاء التأنيث (٣) .

ولكن هذه العلة إن ثبتت عند ابن شريح فلم يعتد بها حمزة ؟ صحيح انه لم يمل « فصالت أودية بقدرها » أو فاءت مما يرجح هذا التعليل بعض الترجيح، ولكنه أمال ألف خافت من بعلمها ، وأمال الف زاده، ولم يقع في القرآن الكريم إلا متصلا بضمير أو تاء أو هما معا . قال تعالى :

فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً (٤) .

زادتهم إيماناً (٥) . فزادتهم إيماناً (٦) .

(١) الاحزاب « آية ١٠ » .

(٢) سورة ص « آية ٦٣ » .

(٣) شرح أبي شامة ص ١٦٩ .

(٤) التوبة آية ١٢٤ .

(٥) الانفال آية ٢ .

(٦) التوبة آية ١٢٤ .

فزادتهم رجسا^(١) وزادكم في الخلق بسطة .. الخ^(٢)
 حيث تكرر هذا الفعل خمس عشرة مرة وهو في جميعها متصل بضمير
 أو تاء تأنيث وبذلك ينفي هذا التعليل .
 ثم أتكون العلة في عدم امالة حمزة الف زاغت وقوع حرف الاستعلاء
 بعدها ١٠٠ ؟

ولكن ينفي هذا التعليل ايضا امالة حمزه للفعل « ضاق » في قوله
 تعالى « وضائق عليهم الارض بما رجبت » فقد اكتنف الالف حرفا الاستعلاء
 الضاد والقاف .

وعلى هذا ، فسيتهي الباحث الى ما انتهى اليه مكى حيث يقول
 في الكشف « وقد ياتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية ولا تعرف فيه علة »^(٣)
 فمن الصعب كما يقول الدكتور انيس ان نبرر من الناحية الصوتية ما زعمه
 النحاة - والقراء - من جواز الامالة فيما اصله واو مثل خاف ؛ لأن الامالة
 في مثل هذه الحالة كان حقها ان تكون من الفتح الى الضم لا من الفتح الى
 الكسر^(٤) .

(ثانياً) الكسرة بعد الالف

يتابع القراء سيويه في ان الكسرة بعد الالف سبب من أسباب
 الامالة^(٥) .

وقد راقبت ما اميل من احرف القرآن مما كان ألفه حرفا مكسورا
 فرأيت ان الكسرة وحدها لا تكفي سببا للامالة عند القراء ؛ بل لا بد من
 اجتماع سبب آخر في الكلمة مع الكسرة حتى تمال .

(١) التوبة آية ١٢٥ . انظر المعجم المفهرس .

(٢) مفتاح الكنوز ص ٢٨٥ .

(٣) الكشف صفحة ٨٤ .

(٤) اللهجات العربية ص ٤٩ .

(٥) النشر ج ٢ ص ٣٢ .

فالكلمات التي أمال بعض القراء مما وقع بعد الفاتهن حرف مكسور غير الراء هي :

الكافرين — الناس حيث وقع مخفوضا .

آتيك — الاكرام في موضعين بسورة الرحمن .

اكراههن — الحوارين للشاربين — مشارب — آنية في قوله تعالى :

« تسقى من عين آنية » (١) .

لا التي في قوله تعالى « ويطاف عليهم بآنية من فضة » (٢)

آذاننا وآذانهم . طغيانهم ، المحراب في قوله تعالى « يصلّى في

المحراب » (٣) فخرج على قومه من المحراب (٤) — عابدون وعابد في سورة

(الكافرون) .

وبالتأمل في هذه الامثلة نرى انها كلها — ما عدا (عابدون وعابد)

اجتمع فيها مع الكسرة سبب آخر .

فالكافرين حيث وقع منصوبا أو مجرورا قد اجتمع فيه .

ا — كسرة الفاء والراء والياء — وكسرة الراء تقوم مقام كسرتين، وهذه

الكسرات المتتالية جذبن الالف لسكونها بقوتهن فاملتها (٥) .

ب — كثرة الدور في القرآن الكريم ، وقع هذا الحرف في القرآن

في نحو ٩٠ موضعا (٦) .

وأما آتيك وآنية فقد اجتمع الى الكسرة الياء .

وأما الإكرام في موضعين بسورة الرحمن فوجه امالته كسر أوله ، وما

(١) سورة الفاشية .

(٢) سورة آل عمران .

(٣) سورة مريم .

(٤) ناقشنا سبب امالة المحراب المنصوب في الكلمات التي إمليت للكسرة قبل الالف .

(٥) الموضح ص ٧١ .

(٦) انظر المعجم المفهرس في هذه المادة .

بعد ألفه (١) .

وأما إكراههم فوجه إمالته كسر أوله ، وتوالى كسرتين بعد الالف .

وأما الحواريين - للشاربين - ومشارب ، فقد وقعت الراء مكسورة بعد الالف ، والراء المكسورة تقوم مقام كسرتين (٢) .

وأما المحراب في قوله تعالى : « يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ » (٣) ، « فخرج على قومه من المحراب » (٤) ، فقد اجتمع فيه كسرة أوله ، وما بعد ألفه .

وأما في طغيانهم ، فقد تتابعت فيه كسرتان بعد الالف ، وجاءت الياء قبلها ، على أن ابن خالويه يقول في كتابه الحجة : وسهل إمالة طغيانهم لأن الطغيان ها هنا مصدر كالطغوى في قوله تعالى بطغواها ، فلما اتفقا في المعنى ساوى بينهما في الإمالة (٥) .

ولسنا الآن بصدد مناقشة كلام ابن خالويه من حيث جعله مساواة طغيان بطغوى في المعنى - سببا للإمالة ، وإنما الذي يعيننا أن تتابع الكسرات فيه هو السبب الرئيسي في إمالته .

وأما « آذاننا وآذانهم » فقد وَهَّم ابن خالويه الكسائي حيث قال « فأما إمالة الكسائي (رحمه الله) قوله (تعالى) : « فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ » فَإِنْ كَانَ إِمَالُهُ سَاعًا مِنَ الْعَرَبِ فَالسُّؤَالُ عَنْهُ وَبَل ، وَإِنْ كَانَ إِمَالُهُ قِيَاسًا فَقَدْ وَهَم ، لِأَنَّ أَلْفَ الْجَمْعِ فِي أَمْثَالِ هَذَا لَا تَمَال ، وَيَلْزِمُهُ عَلَى قِيَاسِهِ أَنْ يَمِيلَ قَوْلُهُ : « أَنْبَتْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ » « وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ » وَإِمَالَةُ هَذَا مُحَال .

-
- (١) ابراز المعاني ص ١٧٤ .
(٢) الحجة لابن خالويه ص ٩ .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) سورة مريم .
(٥) الحجة لابن خالويه ص ٥ - ب .

فان قيل : فقد أمال غيره « قد نبأنا الله من أخباركم » فقل « قد عرفناك رغبة العرب في امالة ذوات الرء ، وكذلك فرق ابو عمرو بين ذوات الرء وبين غيرها واللفظ بهما واحد ، فقرأ من أوصافها بالتفخيم ، ومن أوبارها وأشعارها بالإمالة (١) .

ولسنا تنفق مع ابن خالويه في تحامله على الكسائي ، وتوهمه ، وإن كان ذلك يدعم رأينا في ان الكسرة وحدها لا تكفي سببا للإمالة ، ولكن لدينا من اسباب الامالة في كلمة آذاننا وآذانهم حيث لم تجر الإمالة على قياس العريية . سبب يقرع النحاة - هو نقل الكسائي عن الأئمة روايته ، فلا تنس ان القراءة لا يجري فيها على القياس والنظر ، وانما يتبع فيها الرواية والاثار (٢) .

بقي من هذا الباب (الناس) حيث وقعت مجرورة ، وربما كان سبب إمالة الالف فيها الى جانب الكسرة على السين - إن الامالة فيها لهجة أهل الحجاز ، حتى ان بعضهم حكى امالتها مرفوعة ومنصوبة ، وقد حكى بعضهم ان أصل ألفها الياء (٣) .

كما بقي من هذا الباب ايضا « عابد وعابدون » وهما الحرفان اللذان في سورة الكافرين خاصة من قوله تعالى « قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » .

وقد اختلف عن هشام في «عابد وعابدون» اللتين في سورة الكافرين فروى امالته الحلواني عنه ، وروى فتحه الداجوني (٤) .

(١) المصدر السابق .

(٢) همع الهوامع انظر ج ٢ ص ٢٠١ .

(٣) النشر ج ٢ صفحات ٣٥ و ٦٢ .

(٤) النشر ج ٢ ص ٦٦ .

واذا عرفنا ان الداجوني روى عن أصحاب هشام ، وهؤلاء رَووا عنه علمنا أنه قد اجتمع على فتح عابد وعابدون خلق كثير ، وربما وصل الى حد الإجماع ، وهم أصحاب هشام الذين رَووا عنه ، والذين روى عنهم الداجوني •

والحق ايضا ان تعليل إمالة هشام في رواية الحلواني للحرفين « عابد وعابدون » يجب ان يلحق بالنقل عن الأئمة ، لا القياس بمقاييس العربية، إذ لو كانت تجري على القياس لكان أولى بالامالة عابدين في قوله تعالى :-

« إن هذا لبلاغاً لقوم عابدين ^(١) »

« قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ^(٢) »

« وكانوا لنا عابدين ^(٣) »

« فانا أول العابدين ^(٤) »

« وذكرى للعابدين ^(٥) »

إذ اجتمعت في هذا الحرف في مواضعه المذكورة كسرة الياء والياء ولا داعي ان نوهم القارئ ، ونوهن قراءته كما يعبر أبو البركات الأنباري في كتابه الانصاف في مثل ذلك الموضع ^(٦) ، فان ذلك لا يوهن القراءة ولا يوهم صاحبها ما دامت عن الرسول منقولة •

واذن تخلص لي القاعدة انه وان كانت الكسرة بعد الالف سبباً للامالة عند النحاة ، فهي عند القراء لا تكفي وحدها ، بل لا بد من غيرها معها ، او من سبب آخر يضم اليها •

ومن المهم هنا ان نقرر أن قتيبة بن مهران أطلق الامالة عن الكسائي

(١) الانبياء آية ١٠٦ •

(٢) الانبياء آية ٥٣ •

(٣) الانبياء آية ٧٣ •

(٤) سورة الزخرف آية ٨١ •

(٥) سورة الانبياء آية ٨٤ •

(٦) من كتاب الانصاف ج ١ صفحة ٢٥٢ •

فأمال كل حرف قبل الألف وبعد الألف كسرة أو قبله ، سواء أكان الاسم مرفوعا أم منصوبا أم مجرورا وسواء أكان في الاسم حرف يمنع الإمالة كحروف الاطباق ، وسواء أكان الاسم مضافا أم مفردا أم مؤنثا (١) .

ولم يرد ذلك عن طريق النشر ولا الشاطبية ، ولذلك لم يكن في حسابنا عند مناقشتنا الكسرة قبل الألف أو بعدها سببا من الإمالة عند القراء . بل إن ابن الجزري يقرر أن مما يرويه قتيبة من إطلاق الإمالة على هذا النحو من الإمالات المزعجة (٢)

(رابعاً) الإمالة من أجل الياء

ينقل النحاة ما قال سيبويه في الكتاب ، خاصا بالإمالة من أجل الياء (٣) ويستشهد القراء وفيهم ابن الجزري ببعض الأمثلة التي أوردها سيبويه في الكتاب (٤) .

ولو راقبنا الكلمات التي وردت في كتاب الله مما يناظر كيال ، ويياح والسيال ، والضياع ، ورجعنا إلى مذاهب القراء ، لوجدنا أن الياء ليست سببا من أسباب الإمالة عند القراء .

فلم يمل القراء مثلاً أيام ، وبياتا ، وبيان ، وثياب ، وحياة ، والسيارة ، شياطين .

• مما كان فيه الياء قبل الالف .

فإن كانت الياء بعد الألف فقد قال رضى الدين الاسترأبادي في شرح الشافية (٥) :

(١) المبهج ص ٨١ - وانظر الموضح ص ٢٧٨ ورقة ٦٠ .

(٢) طبقات القراء ج ٢ صفحة ٢٦ .

(٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ صفحة ٢٦١ .

(٤) انظر النشر ج ٢ ص ٣٣ .

(٥) ج ٣ ص ١٠ .

وإن تأخرت الياء عن الألف فإن كانت مكسورة كمبايع فالمقتضى للإمالة أقوى من المقتضى في نحو عابد ، وإن كانت مفتوحة أو مضمومة كالمبايع والتبايع فلا تؤثر .

وقد جاء مثلا الياء مكسورة في القرآن الكريم بعد الألف في معاش من قوله تعالى « وجعلنا لكم فيها معاش »^(١) وفي قوله تعالى فبايعهن^(٢) . ولم يمل القراء من هذا الباب إلا الأحرف التي وقعت فيها الراء مكسورة بعد الألف في الكلمات الآتية : —

خلال الديار — من دياركم — من ديارنا — في ديارهم .
الراء المكسورة هي سبب الإمالة في هذه الكلمات لا الياء بدليل انه قد أميلت كلمات وقعت فيها الراء مكسورة بعد الألف، ولم تكن فيها الياء في مثل : —

حمار — كفار — نهار — مقدار — أبكار .

وعلى هذا فيصح ما يأتي :

ان الياء وان كانت من أقوى اسباب الإمالة عند النحاة لم تكن سببا لإمالة شيء عند القراء .

(خامساً) الإمالة من أجل الراء

يتفق النحاة والقراء على قوة حرف الراء ، حتى ان الكسائي قال : « للعرب في كسر الراء رأى ليس لها في غيره »^(٣) .

وقال ايضا : « إني سمعتهم يقولون رمى بكسر الراء والميم ، وقد رأى الشيء ، وروى سعيد بن عيسى النحوي قال : سمعت أبا عمرو يقول : « اذا كانت الياء بعد الراء كسرت الراء » . قال ، وقال ابو عمرو « ادركت أصحاب ابن مجاهد وهم لا يكسرون شيئا من القرآن إلا حروفا نحو قوله « وما أدريك ، وافترى ، وترى ، وأدراكم » يكسرون الراءات »^(٤) .

(١) الاعراف آية ١٠ . والحجر آية ٢٠ .

(٢) المتحنة آية ١٢ .

(٣) ابراز المعاني ص ١٦٢ .

(٤) الموضح ورقة ٣٥ ص ٩٥ .

وإنما كانت الراء كذلك لأنها حرف تكرير ، فاذا نطقت به خرج كأنه متضاعف ، فاذا كانت مكسورة فهي تقوى الإمالة أكثر من قوة غيرها من الحروف المكسورة ؛ لأن الكسرة تتضاعف فهي من اسباب الإمالة (١) .

ويقول سبط الخياط البغدادي :

« الراء لها نبوة فيما بين أولها وآخرها ، وفيها تكرر ، وهي بمنزلة حرفين ، والكسرة فيها بمنزلة كسرتين ، وكذلك الضمة والفتحة (٢) » .

وهذا كلام مأخوذ من كلام « سيويه » في الكتاب من قبل فقد جاء فيه :

« والراء اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة ، والوقف يزيدها إيضاحا ، فلما كانت الراء كذلك قالوا « هذا راشد وهذا فراش » فلم يميلوا ، لأنهم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحتين ، فلما كانت كذلك قويت في نصب الالفاظ ، وصارت بمنزلة القاف حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحتين .

وأما في الجر فتتم الالف كان أول الحرف مكسورا او مفتوحا او مضموما ؛ لأنها كأنها حرفان مكسوران فتتم ههنا كما غلبت حيث كانت مفتوحة فنصب الالف ، وذلك قولك من حمارك ومن عواره ، ومن المعار ومن الدوار ، كأنك قلت فعالل وفعالل (٣) .

هذا هو مذهب النحويين في قوة الراء ، وقد طبقه كثير من القراء دون أن ينظروا الى طريقتهم في الاداء .

فما طريقة القراء في أداء هذا الحرف . . يحدثنا ابن الجزري عن ذلك فيقول :

« والراء ، انفراد بكونه مكررا صفة لازمة له لغظه ، قال سيويه :

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٦١ .

(٢) المبهج لسبط الخياط البغدادي ص ٧٥ .

(٣) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٦٧ وما بعدها .

« اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة » • وقد توهم بعض الناس ان حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها كما ذهب اليه بعض الأندلسيين •

والصواب التحفظ من ذلك باخفاء تكريرها كما هو مذهب المحققين •

وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددة فيأتي بها محصورة شبيهة بالهاء ، وذلك خطأ لا يجوز فيجب ان يلفظ بها مشددة تشديدا ينبو به اللسان نبوة واحدة وارتفاعا واحدا من غير مبالغة في الحصر والعسر نحو « الرحمن الرحيم » ، خر موسى • وليحترز حال ترقيقها من تحولها ثحولا يذهب أثرها وينقل لفظها عن مخرجها كما يعاينه بعض المغفلين (١) •

وهكذا يتحفظ القراء من إظهار تكرير السراء خصوصا اذا شددت ، ويعدون ذلك عيبا في القراءة ، قال ابن الجزري « وبذلك قرأنا على جميع من قرأنا عليه ، وبه تأخذ (٢) » •

وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري عند قول ابن الجزري :

« في اللام والراء وبتكرير جمل » •

شرح « وبتكرير جمل » فقال ، وبتكرير له جمل أي وصف لأنها تكرر في نحو « فروخ » لا في نحو « نار » وهو مراد قول الناظم ، ومعنى قولهم ، « ان الراء مكرر » ان له قبول التكرار ، لارتفاع طرف اللسان عند اللفظ به ، كقولهم لإنسان غير ضاحك « ضاحك » كما أنه مراد من قال « وما قيل أنه جرى مجرى حرفين في أمور متعددة » • وليس كذلك بل هو لحن يجب التحفظ عنه (٣) •

وكلام الشيخ زكريا الأنصاري (رحمه الله) واضح غاية الوضوح

(١) النشر ج ١ ص ٢١٩ •

(٢) النشر ج ١ ص ٢٠٤ •

(٣) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة مخطوط برقم ٦٤ مجاميع دار الكتب ص ١٩ •

في أن ما يقرر النحويون من أن الراء حرف تكرير ، وأن كسرتها تقوم مقام كسرتين ، وأن فتحها وضمتها كذلك ، كل ذلك لا يعتد به القراء ، بل يعدونه لحنا يجب التحفظ منه في أداء هذا الحرف ، وأن صفة التكرير ثابتة بالقوة لا بالفعل على حد تعبير المنطقة . وإذا كان القراء يتحفظون من تكرار الراء ويعدون تكرارها عيبا كما قال ابن الجزري ، ولحنا كما قال الشيخ زكريا الأنصاري — فقد سلبت قوتها بذلك . فلماذا تعطى الراء هذا الحكم الذي يعطيها إياه النحاة ؟

إنه يجوز للنحاة على قواعدهم أن يميلوا الألف في من (الدار ، وفي الدار) مثلا ، لأن تكرار الراء جعل الكسرة كأنها كسرتان (١) .

ويقبل منهم تعليل امالة (الربا) بقولهم لأجل الراء وهو حرف مكرر مكسور (٢) . لكن ما شأن القراء وامالة الألف في هذا ومثله مع أنهم يعيرون تكرار الراء عند النطق به ، ويتحفظون عنه .

إذا كان سيبويه يقول : « وقالوا من قرارك » — أي بالامالة فغلبت كما غلبت القاف وأخواتها ، فلا تكون أقوى من القاف ، لأنها وإن كانت كأنها حرفان مفتوحان ، فإنما هي حرف واحد وبزنته » (٣) . فإذا كان سيبويه يقرر أن الراء حرف واحد وبزنته — وإن كانت كأنها حرفان مفتوحان . فكذلك تكون الراء المكسورة حرفا واحدا وبزنته وبخاصة لو سلبنا قوتها فتحفظنا من تكرارها ، وعددنا عيبا ولحنا كما يقول القراء . ويترتب على هذا أنه لا يصح للقراء التعليل لامالة ما أميل من أجل الراء — بأنها حرف تكرير .

وقد كان بعض القراء أقرب إلى مذهبهم في أداء الراء عند الوقف على

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٨ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٨ .

المال من نحو الكلم التي الرء فيهن مجرورة ووقعت طرفا بعد ألف في من أنصار . والنار . والنهار . والأبرار . والفجار . وما كان مثله .

فان قوما من أهل الأداء ذهبوا الى الوقف على ذلك في مذهب من إمالة في الوصل أو قرأه بين اللفظين - باخلاص الفتح ، واعتلوا بما ذهبوا اليه بأن الإمالة وبين اللفظين إنما كانا في هذه الكلم وشبههما من أجل جرة الإعراب ، فلما كانت تذهب في الوقف اذ كان لا يوقف على متحرك ذهب ما جلبته من الإمالة، وبين بين لذهابها (١) .

وهذا كلام يتفق مع ما يقرره القراء في أداء الرء ، مخالفين في ذلك كلام النحاة اذ يقرر سيبويه ان « الرء اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة والوقف يزيدها ايضاحا (٢) .

على أن بعض القراء يرى الوقف على مثل هذه الكلمات بالإشارة الى كسرتها في الوقف فيميل دون الإمالة التي تكون في الوصل ، وبعضهم يرى الوقف في مذهب من أمال بالإمالة الخالصة ، وفي مذهب من قرأ بين اللفظين كالوصل (٣) . فيتفق في ذلك مع النحاة .

قال أبو عمر والداني « وقد سمعت أبا علي الحسن بن سليمان المعري وكان من أهل النهم ومن أجلة المتصدرين يقول : « الفتح في الوقف في هذه الكلم هو مذهب البصريين ، والإمالة فيه فيها هو مذهب البغداديين (٤) » .

قال الداني : -

ومما يؤيد الإمالة ايضا من جهة القياس ، ان الرء حرف تكرير ، والكسرة فيها من أجل ذلك ينقلب كسرتين ، فاذا كان ذلك كانت الإشارة الى كسرتها في الوقف مقام الإشارة الى كسرتين ، واذا تكرر الكسر قويّت الإمالة وازدادت حسنا ، وتجانس الصوت .

(١) الموضح ورقة ٦١ ص ٢٩٠ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) الموضح ورقة ٦٢ ص ٢٩١ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٦٢ ص ٢٩٣ .

قال : وكذلك قال سيبويه « إنهم يقولون مررت بالحمار ، واستجير بالله من النار » يعني بالامالة في السكوت « قال : لأن الراء كأنها عندهم مضاعفة فكأنه جر راء قبل راء (١) » .

والداني ينقل في ذلك كلام النحاة دون أن يتنبه الى طريقة القراء في الأداء . ويتبين من ذلك ان مذهب القراء البصريين أقرب الى مذهبهم في الأداء من القراء البغداديين الذين يقتربون من النحاة في الوقف على المال في هذه الكلمات .

والأمر جد يسير . فعلل للامالة في هذه الكلمات بعلة ذكرها سيبويه وغفل عنها النحاة (٢) والقراء ، مع انها ذكرت في موضعين في باب الامالة من كتابه فجعلها قريبة من الياء في موضع (٣) ، وذكر انها تشبه الياء في موضع آخر (٤) .

وبهذا الشبه الذي بين الياء والراء نفهم النصوص التي يوردها القراء عند حديثهم عن الراء من مثل قول الكسائي « سمعته يقولون رمى بكسر الراء والميم وقد رأى الشيء وقد يكون هذا من باب الإمالة للإمالة (٥) » .

وروى سعيد بن عيسى النحوي قال « سمعت أبا عمرو يقول » اذا كانت الياء بعد الراء كسرت الراء « قال وقال ابو عمرو : « أدركت أصحاب ابن مجاهد وهم لا يكسرون شيئاً من القرآن إلا حروفاً نحو قوله : وما أدراك وافترى ، وترى ، وادراكم ، يكسرون الراءات » . فلهذا اختص أبو عمرو بالامالة الخالصة ليدل على الفرق بينها وبين غيرها ، اقتداء بالعرب ، واتباعاً لأصحاب ابن مجاهد « (٦) » .

(١) الموضح ص ٢٩٤ .

(٢) لم أجد فيما أعلم من النحاة من نقل هذه العلة من كتاب سيبويه إلا ابن يعيش في شرح المفصل - انظر ج ٩ ص ٦٢ شرح المفصل .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٥) الحجة لابن علي الفارسي ج ١ ص ٣٥٨ .

(٦) الموضح ص ٩٥ ورقة ٣٥ .

وقد قرأ أبو عمرو كل ما كان فيه راء قبل الالف مما ورد في كتاب الله تعالى على وزن افتعل بسكون الفاء وفتح التاء والعين مع التخفيف من نحو لمن اشتراه ^(١) و « فمن اقترى » ^(٢) ، و « ممن اقترى » ^(٣) ، « وإن الله اشترى » ^(٤) ، « قرأه أبو عمرو بالإمالة وما وقع رأس آية بين اللفظين ، وما عدا ذلك بالفتح مثل أن الله اصطفى آدم ، ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك » ^(٥) .

وكان ابن عامر يكسر ما فيه الراء من هذا الباب، ويفتح ما سواه ^(٦) . فاختص ما فيه الراء من هذا الباب بما اختص به من فضل الإمالة ؛ لأن الراء كما يقول سيويه شبيهة بالياء ^(٧) .

ومن هنا لم يكن غريباً ان يختص بعض القراء ما تكررت فيه الراء بالإمالة ، فقد أمال ذلك أبو الحرث نحو قرار ، والإشرار ، والأبرار ، وأخلص الفتح فيما عدا ذلك ^(٨) .

على هذا كان الأئمة الاولون ، فلما جاء النحاة، ووضعوا هذه القواعد استغلها المؤلفون من القراء من غير ان يفتنوا الى طريقتهم في الإداء ، ولعل الذي دفعهم الى ذلك ان بعض النحاة المشتغلين بالقراءة هم الذين بدءوا بالاحتجاج للقراءات ، فنحن نقرأ في كتاب الحجة لابن خالويه (٣٧٠ هـ) .

وعلى أبصارهم يقرأ بالإمالة والتفخيم ، وكذلك ما شاكله مما كانت

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران .

(٣) سورة الانعام .

(٤) في التوبة آية ١١١ .

(٥) آل عمران آية ٤٢ « وانظر ص ٢١٤ من الموضح وما بعدها » .

(٦) الموضح ص ٢١٦ .

(٧) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٨) كتاب التيسير لابي عمرو الداني مخطوط بدار الكتب برقم ١٠ قراءات .

الراء فيه مكسورة في آخره ، فالحجة لمن أماله ان للعرب في امالة ما كانت الراء في آخره مكسورة رغبة ليست في غيرها من الحروف للتكرير الذي فيها (١) .

ونقرأ مثل ذلك في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) (٢) ، وهذا مقبول من النحاة ، لكنه غير مقبول من القراء الذين يكرهون تكرير الراء في النطق ويتحفظون عنه على النحو الذي بيناه .

ولا بد أن تنبه هنا الى ان دائرة الإمالة في باب الراء تتسع عند النحاة أكثر مما تتسع عند القراء ، ذلك لأن سيبويه سمع عن العرب امالة « الحروف التي ليس بعدها ألف اذا كانت الراء بعدها مكسورة » وذلك قولك « من الضرر ومن البعر ومن الكبر ومن الصغر ومن الفقر » (٣) .

وقد ورد من هذا الباب في القرآن الكريم في سورة القمر أواخر الآي من قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » (٤) ، وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٥) . « إن المتقين في جنات ونهر » (٦) .

وكذلك أواخر الآي من قوله تعالى في سورة المدثر : « إن هذا إلا قول البشر » (٧) . « لواحة للبشر » (٨) . وما هي إلا ذكرى للبشر (٩) . « انها لإحدى الكبر نذيرا للبشر » (١٠) . ولم يمل ذلك أحد من القراء البتة (١١) .

(١) الحجة لابن خالويه ص ٣ .

(٢) انظر مثلاً الحجة للفارسي ج ١ ص ٧٤ .

(٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٤) سورة القمر « آية ٤٩ » .

(٥) سورة القمر « آية ٥٠ » .

(٦) سورة القمر « آية ٥٤ » .

(٧) سورة المدثر « آية ٢٥ » .

(٨) سورة المدثر « آية ٢٩ » .

(٩) سورة المدثر « آية ٣١ » .

(١٠) سورة المدثر « آيتا ٣٥ و ٣٦ » .

(١١) يراجع قرعة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح في هاتين السورتين .

وربما كانت الإمالة في هذا النوع لقبائل عربية غير مشهورة فلم ترد
عن القراء لذلك •

(سَادِسًا) إمَالَةٌ مَا يَمْصُرُ إِلَى يَاءٍ

في باب (دعا)

جاء في الكتاب : « والإمالة في الفعل لا تنكسر اذا قلت « غزا ،
وصفا ، ودعا » وإنما كان في الفعل متلثبا لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال
للمعنى ألا ترى أنك تقول « غزا » ثم تقول « غُزِيَ » فتدخله الياء ، وتغلب
عليه وعدة الحروف على حالها •• وتقول « اغزوا » فاذا قلت « اغزى »
قلبت وعدة الحروف على حالها ^(١) » • وجاء في شرح الشافية :
والنحويون يجيزون إمالة (دعا) لأن ألفه صائرة الى ياء فيما لم يسم
فاعله في نحو (دُعِيَ) ^(٢) •

فاذا تركنا النحاة الى القراء نجد أنهم يميلون أحرفا وردت في القرآن
الكريم من هذا الباب (باب دعا) ، وتركوا أحرفا من هذا الباب ايضا لم
يميلوها •

وسينظم الكلام هنا النقط الآتية :

ما الأفعال التي وردت في القرآن الكريم من هذا الباب ، وقد أمالها
النحاة ، ولم يملها القراء ؟

وما الأفعال التي أمالها القراء من هذا الباب متفقين في ذلك مع
النحاة ؟

ولماذا أمال القراء ما أمالوه من هذه الافعال دون غيرها من أفعال هذا
الباب ؟

(١) الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٢٦٠ •

(٢) شرح الشافية ج ٣ ص ١١ •

ثم أخلص من ذلك الى مناقشة القراء فيما أوردوه من علة لإمالة هذه الأفعال ، ثم أذكر العلة التي ارتضيها سببا لإمالة ما أماله القراء من أفعال هذا الباب .

أما الأفعال التي وردت في القرآن الكريم من باب (دعا) ، والتي أمالها النحاة ، ولم يملها القراء فهي واردة في آياتها ، مرتبة في إيرادها ترتيبا أبجديا ، على النحو الآتي :

(بدا) في قوله تعالى

بل (بدا) لهم ما كانوا يخفون من قبل (١) ...

سورة يوسف

ثم (بدا) لهم من بعد ما رأوا الآيات ...

» الزمر

و (بدا) لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ...

» الزمر

و (بدا) لهم سيئات ما كسبوا ...

» الجاثية

و (بدا) لهم سيئات ما عملوا ...

» الممتحنة

و (بدا) بيننا وبينكم العداوة ...

(خلا) في قوله تعالى

سورة البقرة

وإذا (خلا) بعضهم الى بعض

» الملائكة

وإن من أمة الا (خلا) فيها نذير

(دعا) في قوله تعالى

آل عمران

هنالك (دعا) زكريا ربه

الزمر

(دعا) ربه منيا اليه

فصلت

ومن أحسن قولاً ممن (دعا) الى الله

الدخان

(فدعا) ربه أن هؤلاء قوم مجرمون

القمر

(فدعا) ربه أنى مغلوب فاتصر

(١) سورة الانعام .

(دنا) في قوله تعالى

النجم

ثم (دنا) فتدلى

(زكى) في قوله تعالى

النور

ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا

(عفا) في قوله تعالى

آل عمران

ولقد (عفا) عنكم

آل عمران

ولقد (عفا) عنهم

المائدة

(عفا) الله عما سلف

المائدة

(عفا) الله عنها

التوبة

(عفا) الله عنك

الشورى

فمن (عفا) واصلح فأجره على الله

البقرة

فتاب عليكم (وعفا) عنكم

(علا) في قوله تعالى

قصص

إن فرعون (علا) في الارض

المؤمنون

و (لعلا) بعضهم على بعض

(نجا) في قوله تعالى

يوسف

وقال الذي (نجا) منهما وادكر بعد أمة

وأما الأفعال التي أمالها القراء من هذا الباب (باب دعا) متفقين مع

النحاة فهي الأفعال التي تضمنها البيت الآتي : —

وحرف تلاها، مع طحاها وفي سجي وحرف دحاها وهي بالواو تبتلا

فلماذا أمال بعض القراء هذه الأفعال .. أو على التحديد لماذا أمال

الكسائي وحمزة (دحاها) وانفرد الكسائي بإمالة تلاها وطحاها وسجي .

نقل القراء عن النحاة في إمالة ما كان واويا من الأفعال بأنها صائرة

الى ياء في موضع اذا بنى الفعل للمجهول (١) . أو لأنها رسمت في المصحف
بالياء (٢) .

والذي يوجه النظر إمالة هذه الأفعال بالذات من ذوات الواو في
القرآن الكريم دون غيرها من الأفعال الأخرى .

ولو كانت العلة كما يذكر القراء أنها صائرة الى ياء عند البناء للمجهول
فهذه العلة موجودة في الأفعال التي لم تمل نحو بدا ، وخلا ، ودعا ، ودنا ،
وزكى ... الخ .

ولو كانت العلة أنها رسمت بالياء في المصحف ، فلماذا لم يملوا
زكى في قوله تعالى « ما زكى منكم من أحد أبدا » وقد رسمت في المصحف
بالياء ٩٠

قال محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز .
والياء في سبع فمهن سجي زكى ، وفي الضحى ، جميعا ، كيف جا
وفي القوى ، جاء ، وفي دحاها وفي تلاها ثم في طحاها (٣) ،
وقال أبو محمد قاسم بن فيره الشهير بالشاطبي وقد جمع هذه الكلمات
السبع في بيت واحد :

كيف الضحى ، والقوى ، ودحى ، تلى ، طحى
سجي ، زكى ، وارها بالياء قد سطر

قال أبو عمرو : « وافقت المصاحف على رسم كل ما كان من ذوات
الواو من الأسماء والأفعال على ثلاثة أحرف بالالف إلا هذه الأحرف
المذكورة في البيت السابق فإنها رسمت بالياء (٤) .

(١ و ٢) إبراز المعاني لابي شامة ص ١٥٩ ، السراج لابن القاصح ص ١٢١ .
(٣) منظومة مورد الظمان في رسم القرآن ص ٢٤ .

(٤) شرح تلخيص الفوائد لابن القاصح على عقيلة اتراب القصائد للشاطبي ص ٨٤

إذن لا بد من سبب آخر غير هذين ، هذا السبب هو « الانسجام الصوتي » كما يعبر عنه المحدثون ، أو « التناسب » الذي جعله الأقدمون أيضا نوعا من الإمالة للإمالة .

وتفسير ذلك أن تلاها وطحاها ، جاءت في سورة « والشمس » ورءوس آي هذه السورة ممال لأنها من ذوات الياء في معظمها :

والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها • والنهار اذا جلاها • والليل اذا يغشاها • والسماء وما بناها • والارض وما طحاها • وتقس وما سواها • فآلهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها • كذبت ثمود بطغواها • اذا انبعث أشقاها • فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها • فكذبوه فمقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها • ولا يخاف عقباها •

وأما سجي فقد وردت في سورة والضحي ورءوس آيها كذلك يأتي في معظمها :

والضحى • والليل اذا سجي • ما ودعك ربك وما قلى • وللآخرة خير لك من الأولى • وسوف يعطيك ربك فترضى • ألسم يجدرك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك عائلا فأغنى • فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر • وأما بنعمة ربك فحدث •

والأحرف الثلاثة هذه « تلاها ، وطحاها ، وسجي » هي التي انفرد بامالتها الكسائي دون حمزة (١) .

وأما (دحاها) فقد وردت كذلك في سورة والنازعات وسط آيات رءوسها منالة لأصلها اليائي : « هل أتاك حديث موسى • اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى • اذهب الى فرعون إنه طغى • فقل هل لك الى ان تزكى •

(١) ابراز المعاني لابي شامة ص ١٥٦ ، وقد ذكر ابو شامة في صفحة ١٥٦ ان حمزة لم يمل دحاها في والنازعات .

وأهديك الى ربك فتخشى • فأراه الآية الكبرى • فكذب وعصى • ثم أدبر
يسمى • فحشر فتادى • فقال أنا ربكم الأعلى • فأخذه الله نكال الآخرة
والأولى • ان في ذلك لعبرة لمن يخشى • أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها •
رفع سمكها فسواها • وأغطش ليلها وأخرج ضحاها • والارض بعد ذلك
دحاها • أخرج منها ماءها ومرعاها • والجبال أرساها • متاعا لكم
ولأنعامكم • فإذا جاءت الطامة الكبرى • يوم يتذكر الانسان ما سعى •
وبرزت الجحيم لمن يرى • فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فإن الجحيم
هي المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فإن الجنة هي المأوى •
يسألونك عن الساعة أيان مرساها • فيم أنت من ذكرها • الى ربك منتهاها •
إنما أنت منذر من يخشاها • كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها •

فان كان حمزة قد أمال مع الكسائي « دحاها » فقط دون غيرها من
الافعال « تلاها وسجى ، طحاها » فلأن دحاها جاءت رأس آية متوسطة
لآيات قبلها وبعدها رؤوس آياتها ممال • بخلاف تلاها ، وطحاها ، وسجى ،
فاذا جاءت رؤوس آيات وقعت في اوائل السور ، فلم يكن التناسب فيها
ظاهرا ظهوره في قوله دحاها في « والنارعات » •

فاذا اقتنعنا بأن التناسب هو الذي دعا إلى إمالة هذه الافعال صح لنا
ما رأيته من أن تعليل إمالة الافعال الواوية بأنها صائرة الى ياء ، أو بأنها
مرسومة في المصحف بالياء تعليل مردود في جملته بما ذكرت •

فالتناسب هو الذي من أجله أمال الكسائي الافعال « تلاها وطحاها
ودحاها وسجى » كما بينت على أن جماعة من النحاة منهم أبو العباس قالوا :
« ان إمالة ما كان من ذوات الواو على ثلاثة احرف نحو دعا قبيحة ، وقد تجوز
على بهد ، فلا ينبغي تخريج القراءة عليه (١) » •

فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال مخطوط بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٩٦ قراءات •

(سابقاً) رَسَمُ الْمُصَحَّفِ

والرسم أصله الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها ، والوقوف عليها ، والمراد بالمصحف المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة (١) ، وسنبعث في هذا الفصل علاقة رسم المصحف بالإمالة، ومذاهب القراء في الأحرف التي أمالوها متصلاً ذلك بمرسوم الكتابة في المصاحف العثمانية .

ويعتد القراء - في باب الإمالة - برسم المصاحف ، وعده بعضهم سبباً من الأسباب التي تؤدي إليها ، قال ابن القاصح في كتابه « سراج القارئ المبتدئ » من أسباب الإمالة : « أن تكون الألف رسمت بالياء وإن كان أصلها الواو » (٢) وهو يقصد بذلك ما كان مثل ضحى ، وضحاها في الأسماء ، ودحاها وتلاها وطحاها وسجى من الأفعال ، وربما يفهم من قول مكى بن أبى طالب في كتابه « التبصرة » :

« وقد ثمال الألف وأصلها الواو لعله توجب ذلك » (٣) - إن هذه العلة الموجبة كتابة الكلمة بالياء - كما ذكر ابن القاصح - ، ولكن مكياً فسر هذه العلة الموجبة في كتابه الكشف وذلك إذ يقول : « واعلم أن الألف المالة ... وقد تكون أصلها الواو، ولكنها أميلت لرجوعها إلى الياء التي توجب الإمالة » . فالرجوع إلى الياء هو العلة التي توجب الإمالة في مثل الكلمات « ضحى وتلا وسجى وطحا ... » (٤)

وليس لدينا ما يثبت أن كتابة المصاحف في عهد عثمان كانوا يتحرون الإلفاظ المالة في رسمونها بالياء ، والإلفاظ غير المالة في رسمونها بالألف؛

-
- (١) لطائف الاشارات في علم القراءات تأليف شهاب الدين ابى المباس احمد بن محمد القسطلاني انظر ص ٢١١ .
(٢) سراج القارئ المبتدئ ص ١١٧ .
(٣) التبصرة لمكى بن أبى طالب مخطوط برقم ٢٣٩٣٦ ص ٩٦ .
(٤) ناقشت ذلك من قبل .

بل كانت الياء في موضع الألف ، والألف في موضع الياء ، هذا
(١) ما يدعاه الرسم (ب) وما يؤيده الأثر (ج) وما يتمشى مع ما يكون من
الكتاب : أما (١) ما يدعاه الرسم فبعض الكلمات أميلت وقد كتبت بالألف في
المواضع الآتية :

ومن (عصاني) في إبراهيم ، و (الاقصا الذي) في الإسراء (١) ،
و (أنه من تولاه) بالحج (٢) ، و (طغا) بالحاقة (٣) ، و (سيماهم) في
وجوهم بالفتح (٤) .

وبنات الواو كتبت بالياء في المواضع الآتية :

« الضحى ، والقوى ، ودحى ، وتلا ، وطحى ، وسجى - وزكى ،
(ضحى) وهم يلعبون ، في الأعراف ، والناس (ضحى) في طه ، وفي النور
(ما زكى) وفي النزاعات (ضحيا ودحيا) وفي سورة الشمس (ضحيا
وتليها وطحيا) وكذلك في والضحى (والضحى وسجى) (٥) .

وأما الأثر فما أورده الحافظ أبو بكر السجستاني قال :

« حدثنا عبدالله ، حدثنا عمرو بن عبدالله الأودى ، حدثنا وكيع عن
الأعمش عن إبراهيم قالوا : « كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة
سواء » .

حدثنا عبدالله ، حدثنا شعيب بن أيوب حدثنا يحيى حدثنا وكيع بهذا ،
زاد لعله كتبوا الألف مكان الياء والله أعلم » (٦) .

حدثنا عبدالله : حدثنا شعيب بن أيوب : حدثنا يحيى حدثنا الحسن
ابن ثابت قال : سمعت الأعمش يقول : « أخرج إلينا إبراهيم مصحف علقمة

(١) المصاحف للسجستاني ص ١٠٩ .

(٢) المصاحف ص ١١٠ .

(٣) المصاحف ص ١١٥ .

(٤) المصاحف ص ١١٣ ، شرح عقيلة أتراب القصائد ص ٨٢ ، منجد المقرئين .

(٥) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٤ ، وانظر منظومة مورد الظمان للخراز ص ٢٣ .

(٦) المصاحف ص ١٠٤ .

فإذا الألف والياء فيه سواء» (١) ولم يكن ذلك في بنات الياء أو الواو من الأسماء والافعال ، وإنما كان فسي غيرها من الكلمات مثل « إن هذان لساحران » - « إن هذين لساحرين » (٢) إن هذان ساحران (٣) .

(ج) وأما ما يتمشى وما يكون من الكتاب فإنهم يجعلون الألف مكان الياء ، فقد كتبت على في المصحف بالالف (٤) كما كتبت كل من متى وادعى وكفى بالألف كذلك في أوراق البردي في الرابع الهجري (٥) .

وهنا يجعل بنا أن ناقش أبا عمرو الداني في كتابه الموضح في تفسيره لما أسنده إلى الأعمش عن إبراهيم ، إذ يفسر الألف والياء في الحديث السابق (٦) - بالتفخيم والإمالة ، ونحن نقطع بأن الألف والياء ليس لهما من دلالة خارجة عنهما ، فليس المقصود بهما التفخيم والإمالة ، وإنما المقصود بهما حرفا الألف والياء بدء حروف المعجم وخاتمتها ، ويؤيدنا في ذلك تلك الزيادة التي حكاها أبو بكر السجستاني في قوله « زاد لعله كتبوا الألف مكان الياء » (٧) كما تؤيدنا الرواية الأخرى لهذا النص وهي « أخرج إلينا إبراهيم مصحف علقمة فاذا الألف والياء فيه سواء » فالألف والياء هنا حرفان مرسومان منظوران لا منطوق بهما ، فلا علاقة لهما بالتفخيم أو الإمالة ، وإنما رأى من رأى مصحف علقمة أن ما حقه أن يكتب بالألف قد كتب بالياء وبالعكس ، ويقوى هذا التوجيه ما كتبه في (إن هذان

(١) المصاحف ص ١٠٥ .

(٢) المصاحف ص ١٠٤ .

(٣) Materials for the history of the text of the qur'an. P 60.

(٤) تنظر الصورة الشمية للمصحف الكوفي المرافقة لهذا الفصل .

(٥) انظر الورقة البردية المرافقة لهذا الفصل .

(٦) يقول الداني في كتابه الموضح أخبرني الخاقاني أن محمد بن عبدالله حدثهم قال : ثنا أبو القسم الرازي قال : حدثني عمي أبو زرعة قال : ثنا أبو بكر بن شيبه قال : ثنا وكيع قال : ثنا الأعمش عن إبراهيم قال : كانوا يرون أن الألف والياء في القرآن سواء . ثم فسر الداني المراد من الألف والياء بقوله : « يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة » الموضح ص ١٣ .

(٧) المصاحف ص ١٠٤ .

لساحران) اذ كتب (إن هذين لساحرين) ^(١) فلم يكن في (إن هذان
لساحران) تفخيم ولا إمالة حتى يفسر كتابتها بالألف في الأولى على مراد
التفخيم ، وكتابتها بالياء في الثانية على قصد الإمالة .

لم يكن كتبه المصاحف (رضوان الله عليهم) يقصدون إلى شيء من
ذلك ، فقد كانوا قرشيين ، وما روى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
في هذا الصدد يعيننا على تقرير ما نحن فيه ، روى أبو بكر السجستاني
قال : « حدثنا عبدالله قال : حدثنا عبدالله بن محمد الزهري قال : حدثنا
وهب بن جرير بن حازم قال : حدثنا أبي قال : سمعت عبدالملك بن عمير
يحدث عبدالله بن معقل قال قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) « لا
يملين في مصاحفنا إلا غلمان قریش وثقیف » ^(٢) .

وواضح أن ذلك كان في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) إذ جمع
القرآن بعد أن استحر القتل بالقراء في اليمامة ، وخوفا من أن يستحر القتل
بهم في سائر المواطن .

وموضع الشاهد هنا في أن المولى من قریش او ثقیف ، وهما قبيلتان
أثر عنهما التفخيم في لهجتهما العامة ، فلم يكن فيما كتبه من بنات الواو
بالياء ، أو ما رسموه من بنات الياء بالألف أي ارتباط بالإمالة أو قصد
التنبيه على جواز الإمالة أو عدمها .

ولما أراد عثمان (رضي الله عنه) أن يجمع الناس على حرف واحد بعد
أن اختلفوا وكاد بعضهم يكفر بعضا سأل عن أفصح الناس ف قيل له « سعيد
ابن العاص » ثم سأل عن أكتبهم فأجيب : « زيد بن ثابت » فقال عليه
(رضوان الله) « فليكتب زيد » ^(٣) ، وليل سعيد ^(٤) » .

(١) المصدر السابق .

(٢) المصاحف ص ١١ ، وانظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٥ .

(٣) زيد بن ثابت وهو الذي كتب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأبي بكر وعثمان .

(٤) المصاحف ص ٢٤ .

[illegible]

(يلحظ في هذه الصورة كتابة « الكلمات فمتى ادعى - وكفى » فتعما (كذا) - وكفا بالالف)

وقد روى السجستاني قال : « حدثنا عبدالله قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرني أبي قال : أخبرنا سعيد بن عبد العزيز أن عريبة القرآن قوبلت على لسان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فالمسلمون في النصوص السابقة قرشيون ، كذلك كان سيدهم الأول (محمد صلى الله عليه وسلم) حينما كان يملي على زيد بن ثابت ما نزل عليه من الوحي (١) .

قال مكِّي في الإبانة « وكان المصحف — يريد المصحف الإمام — على لغة قريش على حرف واحد » (٢)

وقال أبو عمرو الداني (٣) « جمع عثمان بن عفان القرآن في المصاحف ، ونسخها على صورة واحدة ، وآثر في رسمها لغة قريش » .

وقال ابن الجزري في منجد المقرئين : « وكتبوا المصاحف على لفظ لغة قريش » (٤) .

فهذه النصوص تقيم الحجة على من يقول : « إن المراد بما رسم من الواوي بالياء التنبيه على جواز إمالته » (٥) .

فلم يكن في قصد الملمين فوق أنهم قرشيون — أن ينبهوا إلى شيء من ذلك ، وكان من الطبيعي ولهجتهم التفتيح ألا تظهر الإمالة على ألسنتهم ، وبالتالي لا يظهر أثر من ذلك على أقلام كتابهم .

وهذا « يوهان فك » يقرر في كتابه (العربية دراسات في اللهجات والأساليب) أن قواعد رسم المصحف تدل على أن من كتب قد تحرر من

(١) طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٦ .

(٢) الإبانة ص ١ .

(٣) المتنوع ص ١١٤ .

(٤) منجد المقرئين ص ٢٢ .

(٥) شرح تلخيص الفوائد لابن القاصح ص ٤٨

تحقيق الهمزة « (١) » .

وإن كنا الآن لسنا في معرض موافقته في ذلك أو مخالفته؛ ولكننا على كل حال متفقون معه على أن الرسم : (رسم المصحف) مرآة للهجات من كتبوه من العرب .

وقد يقال : « إذا كنا نربط بين الملمين ولهجتهم ، ونقول بأن الرسوم في المصاحف بالياء من بنات الواو من الأسماء والأفعال لا صلة له بالإمالة ألبة ، وإذا كانت لهجة الملمين (التفخيم) فهل ظهر أثر ذلك فيما رسم الكاتبون ؟ »

تعييننا الآثار أيضا على أنه كانت هناك صلة بين الملمين ولهجاتهم فيما أملوا وظهر على أقلام كاتبهم « جاء في كتاب المصاحف للسجستاني » : —
« حدثنا عبدالله : حدثنا شعيب بن أيوب : حدثنا يحيى قال : « رأيت في نسخة كتاب خالد بن سعيد (يعني ابن العاص) ، وأملى النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يذكرون حرفا ، فإذا فيه « كان » ك و ن ، وحتى « حتا » ، مثل الصلوة بواو ، والزكوة بواو ، والحيوة بواو .

وروى أيضا قال « حدثنا عبدالله : حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي حدثنا فهد حدثنا نائل بن مطرف بن رزين بن أنس السلمي حدثني أبي عن جدي قال : —

« لما ظهر الاسلام أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت : يا رسول الله إن لنا ييرا بالدثينة . قال : « فكتب لي كتابا » بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، أما بعد : فإن لهم ييرا إن كان صادقا ، ولهم دارهم « إن كان صادقا قال : فما قاضينا به الى أحد من القضاة إلا قضوا لنا به ، قال « وهجاء كان : ك و ن » (٢) .

(١) مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م القاهرة ص ٤ .
(٢) المصاحف للسجستاني ص ١٠٤ وما بعدها .

أفرايت كيف ظهرت لهجة المملي (صلوات الله عليه وسلامه) ؟ ومن هنا كتبت الكلمات الصلوة ، الزكوة ، كمشكوة ، منوة الثالثة ، النجوة ، والربو بالواو . قال أبو عمر الداني : ورسم في سائر المصاحف الألف واوا في أربعة أصول مطردة : وثلاثة أخرى متفرقة ، فالأربعة (الصلوة والزكوة والحيوة والربو) حيث وقعن ، والأحرف الثلاثي في النور (كمشكوة) وفي غافر (إلى النجوة) وفي النجم (ومنوة الثالثة الأخرى) وذلك على لفظ التفخيم ^(١) .

ومثل ذلك جاء في كتابه الموضح قال : إن الصحابة (رضوان الله عليهم) رسموا في المصاحف كلها الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، والنجوة ، وكمشكوة ، ومنوة الثالثة بالواو ، وأجاب عن ذلك النحويون بقولوا رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم ، فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو فرسموها على ذلك ^(٢) .

وعندما اختلفوا في التابوت أكتبونه بالتاء أو الهاء . فقال زيد بن ثابت إنما هو التابوه - وهي لغة الأنصار ^(٣) .

وقال الثلاثة القرشيون : إنما هو التابوت : فتراجعوا إلى عثمان فقال : اكتبوه بلغة قريش ^(٤) .

وهذا الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام يرد على من أضجع اتباعا للخط فيقول « والذي عندنا في ذلك أنه يلزم من أضجع اتباعا للخط أن يضجع على ، وإلى ، ولدى ؛ لأنهن جميعا كتبن بالياء ، وليس أحد يتكلم بهن بالإضجاع » ^(٥) .

(١) شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد لابن القاصح ص ٨٠ .

(٢) الموضح ورقة ٢٤ .

(٣) فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لمحمد بن الطيب ص ١٣٣ وما بعدها

(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٥ .

(٥) الموضح ورقة ٢٤ .

فنحن نرى أبا عبيد القاسم بن سلام لا يربط بين الرسم والإضجاع وينكر أن تكون الإمالة تابعة للمرسوم في المصحف الإمام .

ولم يكن في حساب الصحابة هذه العلل التي يعمل بها الداني ما رسموه بالياء أو بالالف من مثل قوله « إن على ، وإلى ، ولدى ، كتبت ألفاتها ياءات خوف الالتباس بما قد يشركهن في الصورة ، فكتبوا على التي تخفض بالياء بخوف الالتباس بعلا التي هي فعل ماض من العلو ، وكتبوا الى بالياء للفرق بينهما وبين إلا المشددة ، وكتبوا لدى بالياء للفرق بينها وبين اسم الإشارة الذي قد دخلت عليه لام التوكيد » (١) .

وإنما كانت هذه العلل في العصور اللاحقة لعصر كتابة المصاحف ، وكلام الداني الذي يعمل به رسم الصحابة لعلی ، وإلى ، ولدى ، مردود بما ورد في بعض المصاحف القديمة من كتابة (على) بالالف (٢) وبقراءة قوله تعالى إلى أن تقطع قلوبهم — إلا أن تقطع قلوبهم .

وتعليل الداني لكتابة الصحابة لدى بالياء بخوف اللبس بـ (ذا) إذا دخلت عليه لام التوكيد مردود بأنهم كتبوا واللذان بلام واحدة (٣) :
واللذان — ولم تكن الذال منقوطة حينئذ مع أنها تشبه على هذه الصورة بـ (والدان) .

وربما كانت هذه التعليقات للكتابة في عهد الداني ، ولكننا لا نسلم بها في رسم المصاحف بالذات ؛ لأن الصحابة فعلا كتبوا لدى بالالف في قوله تعالى (لدى الحناجر كاظمين) .

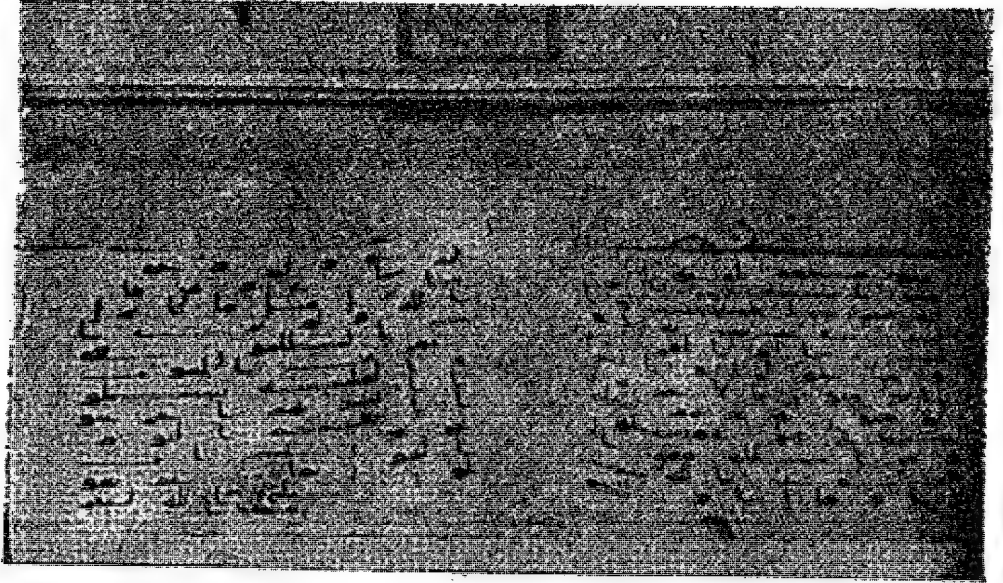
ودليلنا على أن هذه التعليقات تعليقات تتصل بالرسم على وجه العموم في الكتابة مطلقا ولا تختص بالمصحف ، أن الذي جاء في المصحف موضعان فقط في (لدى) هما المذكوران آتفا ، وقد كتبت واحدة منهما بالالف كما رأينا ، ولم يجيء (لذا) في القرآن الكريم أصلا .

(١) الموضح ورقة ٢٤ وما بعدها .

(٢) انظر اللوحة ص ٢٣٥ .

(٣) المصاحف ص ١٠٧

« سورة شمسية »



هذه سورة شمسية لمصحف كان بسرقت في جامع خواجه عبيد الله الأحرار ثم اشتراه حاكم تركستان، ونقله إلى بطرسبورج فوضع في دار الكتب القيصرية، وسمى هناك المصحف السمرقندي، واشيع أنه المصحف الإمام الذي استشهد عليه الخليفة عثمان بن عفان !! فكان الناس يزورونه في أيام معينة، ثم نشرته جمعية الآثار القديمة على يد المصور الروسي بساريكس وطبعت منه خمسين نسخة .

وبقي هذا المصحف في دار الكتب القيصرية وإلى الانقلاب البلشفي وفي أوائل سنة ١٩١٨م . حمل في حفل عظيم وفي حراسة الجند إلى إدارة مكونة من الشخصيات الإسلامية البارزة هناك تسمى « النظارة الدينية » وذلك إرضاء للمسلمين وكسبا لتمفيدهم وبقي فيها خمس سنوات . وفي أواسط سنة ١٩٢٣ نقل إلى تركستان وبقي في سرقت فترة من الزمن وهو الآن في طشقند . ٢٠٤ مصاحف . معرض دار الكتب .

وهاتان صفحتان من ذلك المصحف من سورة « الانعام » مكتوب فيهما قول الله تعالى :
 ١ - خوضهم يلعبون ، ٢ - هذا كتاب انز ، ٣ - لناء مبارك مصدق ا ، ٤ - لدى بين يديه ، ٥ - لتندر أم اقترى ، ٦ - ومن حولها والد ، ٧ - ين يؤمنون بالآخرة ، ٨ - يؤمنون به وهم على ، ٩ - صلاتهم يحافظون ، ١٠ - ومن أظلم ممن ا ، ١١ - فترى علا الله كل ، ١٢ - يا أو قال أوحى :
 ١ - الى ولم يوح ، ٢ - اليه شيء ومن قال ، ٣ - سأنزل مثلما أنزل ، ٤ - الله ولو ترى ا ، ٥ - ذا الظالمون في ، ٦ - غمرات الموت ، ٧ - والملائكة باسطو ، ٨ - أيديهم أخرجو ، ٩ - أنفسكم اليوم ، ١٠ - تجزون عذاب ، ١١ - الهون بما كنتم تقو ، ١٢ - لون على الله غير .
 ولاحظ أن على تكررت في هاتين الصفحتين ثلاث مرات كتبت في الصفحة الأولى « السطر الثامن » بالياء ، وفي السطر العادي عشر بالالف ، وكتبت في الصفحة الثانية في السطر الثاني عشر بالياء . وهذا مما يدل على أن ما كان حقه أن يكتب بالياء كتب بالالف كما أورد الحافظ أبو بكر السجستاني باسناده من وكيع أن الف والياء في المصحف سواء .

والذي جاء من (علا) « من العلو موضعان » **وعللا** بعضهم على بعض ،
و « علا في الأرض الفساد » ، (١) وكلا الموضعين لا لبس فيهما لو كتبت علا
بالياء، فلن تلتبس بعلی الجارة، ولن يقرأ القارئ وعلی بعضهم على بعض
يجز بعضهم . ولو استقصينا (على) التي جاءت في القرآن الكريم جارة
لوجدنا أن السياق يحددها بالحرفية، ولا يلبسها بالفعالية التي من العلو : خذ
على سبيل المثال : —

وعلى الله فليتوكل .. والله على الناس .. كتب ربكم على نفسه
الرحمة .. الخ .

فلن يقرأها قارىء متوسطة ثقافته علا الله ، أو علا الناس أو علا نفسه : ..

وقل مثل ذلك في (لدى) إذا كتبت بالألف فلن يقرأ قارىء فالفيا
صاحبها لذا الباب أو لذا الحناجر بالذال •

بل إنها مستقرأ في الحالين (لذا) لأن الكتابة كانت حينئذ خالية من النقط على أن الداني نفسه بعد أن قرر ما قرر في كلامه السابق يعود فيتفق مع أبي عبيد القاسم بن سلام في أن رسم على ، ولدى ، وإلى بالياء ليس لهن أي دلالة على جواز إمالتهن، وإن كان يرى في نهاية كلامه الآتي أن كتابة ، على ، ولدى ، وإلى بالياء دليل على جواز إمالته : —

قال « وأما قوله في على ، ولدى ، وإلى ، أن من أمال من أجل الخط
لزمه أن يميلن لرسمهن بالياء فلا يلزم أيضا ؛ لأن من خالفه يقول : لم
تكتب ألفتهن ياءات للدلالة على أن ذلك أصلهن ، ولا على أن الإمالة جائزة
فيهن كما كتبن فيما عداهن من أجل ذلك » (٢) .

وجاء في كتاب الكشف : قال أبو محمد : فإن سأل سائل : هلا أمالوا ؟

(١) انظر مفتاح كنوز القرآن في هذه المادة .

(٢) الموضع ورقة ٢٤ .

على ، وإلى ، ولدى ، وحتى لأنهن كتبن في المصحف بالياء كما أمالوا قضى ،
ورمى وسمى ونحوه لأنهن كتبن في المصحف بالياء ؟

فالجواب أن قضى ، ورمى ، وسمى إنما كتبن بالياء ؛ لأن أصل ألفهن
الياء فدل الخط على الأصل ، فاملن لتدل الإمالة على الأصل ولتتبع الخط ،
فأما ألف على ، وإلى ، ولدى فليس لهن أصل في الياء إنما كتبن بالياء
لا انقلاب ألفهن مع المضمر إلى الياء في اللفظ تقول عليه وإليه ولديه فكتبن
على الانفراد بالياء أتباعا لاتصالهن بالمضمر .

وأیضا : فإن الى ، وعلى ، حرفان والحروف لا أصل لهن في الإمالات ،
إذ لا أصل لألفهن في الياء ، ونقل عن الأخفش « ولو سميت بلدى والى
لقلت في التشية لدوان وإلوان ومثله على لو سميت به » وقيل إنما كتبت
على وإلى ولدى بالياء ؛ لأنهن أشبهن في حال كونهن مع المضمر التشية في
قول غلامين وزيدین وقيل أشبهت قضيت ورميت ، وإليك ، وعليك ، ولديك .
والياء في الخط في على وإلى ولدى ليس بأصل لهن إنما هو على التشية
بما ذكرنا ، فلم يحكم لهن بالإمالة كما حكم للذي شبهن به ^(١) .

وهكذا ينتهي مكى في التعليل لعدم إمالة على ، وإلى ، ولدى ، أنهن
لا أصل لهن في الياء .

بقيت عبارة لمكى قد يفهم منها أنه يعد رسم المصحف سببا لإمالة ما
أميل ، وهي قوله في صدر كلامه السابق : فدل الخط على الأصل
في قضى ورمى وسمى . وهو كلام لا تركه من غير نقاش .

فإن أراد بدلالة الخط على الأصل في الكتابة بعامة في عهده فهذا ليس
مما نحن فيه ، أما إذا أراد بدلالة الخط على الأصل الخط في المصحف ، فهذا
ما لا نسلم له به . فماذا يقول في كتابة زكى بالياء وأصلها الألف ؟ وكتابة

(١) الكشف لمكى بن أبى طالب ص ٩٢ وما بعدها .

طفا وشبهها بالألف وأصلها الياء؟ فهل دل الخط على الأصل هنا؟ والحق أن النقل هو ما يجب أن تدار عليه الإمالة لا رسم المصحف. فإن وافق الرسم النقل فيها ، وإلا فيجب اتباع النقل ، قال أبو شامة (٦٦٥) : -

« القراءة نقل ، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجرد واجبا ما لم يعضده نقل ، فإن وافق فيها ونعمت ، ذلك نور على نور (١) » .

قال الشيخ السخاوي (٦٤٣ هـ) وهذا الموضوع أول دليل على اتباع النقل في القراءة ؛ لأنهم لو اتبعوا الخط ، وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقروا هنا أي في سورة الحج بألف « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » وفي فاطر بالخفض « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ » .

قال أبو عبيد : « لولا الكراهة لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب إلى فيكون في الحج بالنصب ، وفي فاطر بالخفض ، فإنه رسم بالألف في الحج خاصة دون فاطر » (٢) .

يقول ذلك أبو عبيد ، ولكنه لم يقرأ به متبعا للنقل لا الرسم . حقيقة نحن مأمورون بأن تتبع رسم المصحف في القرآن ، فذلك شيء أجمعت عليه الصحابة ، وتلقته الأمة بالقبول يقول مكي : -

ومنع - أي عثمان (رضي الله عنه) - من القراءة بما خالف خطها وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفا من الصحابة والتابعين ، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده ، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ ، وإن صحت ورويت (٣) .

(١) إبراز المعاني ص ٤٠٦ .

(٢) إبراز المعاني ص ٤١٦ وقد نقل ذلك الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابة القراءات واللهجات ص ١٥٨ .

(٣) الإبانة لمكي ص ١ .

ولكن ما المراد بالرسم الذي يجب أن يتبع ؟ هو ذلك الرسم الذي جمع عثمان الناس عليه في مصحفه الإمام ؛ ليستقر الناس على حرف بعد أن وقع الاختلاف بينهم بزيادة كلمة ، أو نقص أخرى ، أو ابدال واحدة بواحدة ، أو تقديم ، أو تأخير ، أو تاويل اثبت مع تنزيل ، أو منسوخة تلاوته كتب مع مثبت رسمه (١) .

فحرام بعد المصحف الإمام أن نقرأ الآيات الآتية كما كانت تقرأ من قبل هذا الإمام ، وكانت حلا للمسلمين فيما سبقه من أيام ، وكانت مما دوت في مصاحف كبار الصحابة عليهم الرضوان .

فمن هذه الآيات :

(١) بزيادة كلمة

لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم (في مواسم الحج) (٢) .

(٢) نقص كلمة

والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر (٣) . وفي هذه القراءة نقصان كلمة هي وتواصوا بالحق . في مصحف عبدالله بن مسعود : ومن الشياطين من يغوص له ويعمل وكنا له حافظين (٤) .

وكان في ذلك المصحف أيضا فهل ينظرون إلا الساعة تأتيهم (٥) .

(٣) ابدال كلمة بأخرى

في مصحف ابن مسعود : إن الله لا يظلم مثقال نملة (٦) .

- (١) المواهب الفتحة ، وقد نقل ذلك عن الانتصار للباقلاني ص ٨٦ .
- (٢) مصحف عبدالله بن الزبير ص ٨٢ ، مصحف ابن عباس ص ٧٤ - من كتاب المصاحف للسجستاني .
- (٣) مصحف عبدالله بن مسعود من المصاحف للسجستاني ص ٥٥ .
- (٤) المصدر السابق ص ٦٥ .
- (٥) المصدر السابق ص ٧١ .
- (٦) المصاحف ص ٥٤ .

- وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت (١) .
- وإن عزموا السراح (٢) .

(٤) تقديم وتأخير

- في مصحف ابن عباس إذا جاء فتح الله والنصر (٣) .
- وجاء سكرة الحق بالموت (٤) .

(٥) تاويل أثبت مع تتريل

- حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر (٥) .
- وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وأما الغلام فكان كافرا (٦) .

- (٦) منسوخة تلاوته كتب مع مثبت رسمه . والعصر إن الانسان لفي خسر وإنه فيه آخر الدهر (٧) .

هذا الاختلاف الذي كان في المصاحف هو الذي هاج عثمان (رضي الله عنه) عندما جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل العلماء يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال : « أتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا ، وأشد لحنا ، اجتمعوا بأصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماما (٨) .

-
- (١) المصاحف ص ٥٦ .
 - (٢) المصاحف ص ٧٥ .
 - (٣) المصاحف ص ٨١ .
 - (٤) الإبانة لمكي ص ٧ .
 - (٥) مصحف عائشة وحفصه من المصاحف ٨٤
 - (٦) النشر ج ١ ص ١٤ .
 - (٧) المصاحف للسجستاني ص ٥٥ .
 - (٨) المصاحف للسجستاني ص ٢١ .

وهذا الاختلاف أيضا هو الذي أغضب حذيفة حتى احمرت عيناه من الغضب ، فيما أورده السجستاني عن حدثه عن يزيد بن معاوية قال : « إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة قال : « وليس إذ ذاك حجة ولا جلاوزة ، إذ هتف هاتف : من كان يقرأ على قراءة أبي موسى فليات الزاوية التي عند أبواب كندة ، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله ابن مسعود فليات هذه الزاوية التي عند دار عبد الله ، واختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا « وأتموا الحج والعمرة للبيت » وقرأ هذا « وأتموا الحج والعمرة لله »^(١) فغضب حذيفة واحمرت عيناه ثم قام ففرز قميصه في حجزته وهو في المسجد وذاك في زمن عثمان فقال : « إما أن يركب الى أمير المؤمنين ، وإما أن أركب فهكذا كان من قبلكم »^(٢) .

ولما جمع عثمان القرآن كتب سبعة مصاحف ، فبعث واحداً إلى مكة وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وآخر إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً ، وأمر أهل كل مصر أن يقابلوا مصاحفهم على المصحف المبعوث إليهم^(٣) .

وهكذا جمع عثمان الناس على حرف واحد ، ورسم واحد خال من النقط والشكل ، فاشتتمل لذلك من الأحرف السبعة على ما يحتمله الرسم . هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة ، وتلقته بالقبول بترتيب آياته ، بل كلماته ، بل حروفه — ليس لنا إلى مخالفته من سبيل ، فلا يحل لنا أن نقدم ، أو تؤخر ، أو نحذف شيئاً منه قال في التبيان :

« إن المصحف إمام ودليل فيما يعنيه من ترتيب يمنع التقديم والتأخير ومن حصر يمنع الزيادة والنقصان وإبدال لفظ بلفظ آخر وإن كان بمعناه

(١) س ٢ آية ١٩٦ .

(٢) تنمة الخبر ص ١٢ المصاحف للسجستاني وقد اقتصرنا على ما يهمنا منه .

(٣) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٩ .

دون ما لا يعنيه من كيفية النطق باللفظ (١) .

والإيمان بهذا لا ينفيه قولنا : إنه لا ينبغي أن نبني على رسم الكلمات التي اختلف فيها بالإمالة أو عدمها شيئاً من القصد برسمها بيان لهجة الفتح أو الإمالة ، فلا علاقة لرسم الكلمات الممالة بالياء أو بالالف بالاختلاف الذي خشى على المسلمين منه في عهد عثمان ، والذي من أجله أمر بكتابة المصاحف ، فلو أنهم رسموا فواصل سورة والضحي مثلاً بالالف فلن يغير ذلك شيئاً من قراءة هذه الفواصل ، ولو أنهم كتبوا طغى الماء والأقصى الذي بالياء ما غير ذلك من قراءة هذين الحرفين شيئاً (٢) .

ونحن في قراءة (والضحي) بغير نخالف الرسم، ولكن ذلك ليس من قبيل المخالفة المردودة ، قال ابن الجزري « إن القراءات التي تخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل نحو بصطة في الأعراف - وقرئت بالسين ايضاً - أو حرف ثابت أو محذوف - ونحو ذلك لا يعد مخالفاً اذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة مستفاضة . ألا ترى أنهم لم يعدوا اثبات ياءات الزوائد و... الخ من مخالفة الرسم المردود ؟ فإن الخلاف في ذلك يفتقر ؛ اذ هو قريب يرجع الى معنى واحد، وتمشييه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول ، وذلك بخلاف زيادة كلمة ، ونقصانها ، وتقديمها ، وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني ؛ فإن حكمها في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه ، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته (٣) » .

(١) ومما يتصل بما نقرره من أنه لا صلة بين الرسم والإمالة ان هناك كلمات رسمت في المصحف الإمام بالالف ، ومع ذلك أميلت ، جاء في شرح الدرة المضيئة :

(١) التبيان ص ٨٦ ، والقراءات واللهفات ص ٥٦ .

(٢) اذا كنا نقرأ فاتحين او مميلين متبعين للنقل لا الرسم .

(٣) النشر ج ١ ص ١٢ .

توهم بعضهم أن الأقصى ، وأقصى المدينة ، وطفى الماء - لا إمالة
فيهن لرسمهن بالألف . والصواب أنهن من المال ، ولذلك فال إمامنا
المتولى :

لما طفا الأقصا ، وأقصا بالألف رسما ، ومن يمل ميلا عنه قف^(١)

(٢) وحرف « مشكاة » الألف فيها واوية ، وكتبت بالواو في المصحف ،
ومع ذلك أميلت^(٢) قال صاحب الموضح :

مشكاة رسم في المصحف بالواو^(٣) ، والأصل فيها مشكوة « والدليل
على أنها من الواو ظهورها في الجمع إذا قيل « مشكوات » ، والمشكاة
الكة ، فلما تحركت الواو ، وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا^(٤) .

(٣) و « لدى » رسمت بالألف في يوسف ، وبالياء في غافر ، وكان
اتباعا لرسم المصحف ألا يمال في الأولى ، ويمال في الثانية ، ولكنه لم
يمل^(٥) .

(٤) وقعت الإمالة في ذوات الراء وفي الكلمات التي تنتهي بتاء التأنيث
عند الوقف ، ومع ذلك لم يكن في رسم هذه الكلمات ما يدل على الإمالة .
(٥) أمال الكسائي ما رسم في المصحف بالتاء ، ووقف عليه بالهاء
خلافًا للرسم^(٦) وذلك في رحمت في سبعة مواضع^(٧) .

(١) شرح الدرة المضيئة على هامش ابراز المعاني ص ١٥٦ .

(٢) انظر الابانة لكي والتيسير ص ٤٦ .

(٣) شرح العقيلة ص ٨٠ .

(٤) الموضح للداني مخطوط بمكتبة الازهر برقم ٧٦٦١ قراءات ورقة ٤٤ .

(٥) الكشف ص ٩٤ وما بعدها .

(٦) لطائف الاشارات في علم القراءات للقسطلاني ص ٢١١ .

(٧) في البقرة « أولئك يرجون رحمت الله » . وفي الاعراف « ان رحمت الله
قريب من المحسنين » . وفي هود « رحمت الله وبركاته عليكم » . وفي
مريم « ذكر رحمت ربك » وفي الروم « الى آثار رحمت الله » . وفي
الزخرف « ا هم يقسمون رحمت ربك - ورحمت ربك خير مما يجمعون » .

وفي نعمت في أحد عشر موضعاً (١) .

وفي امرأت في سبعة مواضع (٢) . وفي سنت في خمسة مواضع (٣) .
وفي لعنت في موضعين (٤) . وفي معصيت الرسول في موضعين في المجادلة:
وفي كلمت من قوله تعالى : كلمت ربك الحسنی في الاعراف .

وفي هود (بقيت الله خير لكم) وفي القصص (قرت عين) وفي الروم
(فطرت الله) وفي الدخان (شجرت الزقوم) وفي الواقعة (جنت نعيم)
وفي التحريم (وابنت عمران) .

كل هذه الأحرف مرسومة بالتاء ، وقد أميلت عند الكسائي ووقف
عليها خلافاً للرسم هو ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب (٥) ، ووافقهم
ابن محيصة (٦) .

ولو أنهم اعتدوا برسم المصحف ما أمال الكسائي ولا وقف هؤلاء
جميعاً بالهاء . فالتاء التي لم تقلب هاء تمال الفتحة قبلها (٧) .

وقد يقال إن للكسائي مندوحة في وقوفه على هذه الكلمات بالهاء ،

(١) في البقرة « نعمت الله عليكم وما أنزل » . وفي آل عمران « نعمت الله عليكم
إذ كنتم » . وفي المائدة « نعمت الله عليكم إذ هو » . وفي إبراهيم « بدلوا
نعمت الله كفراً ، وإن تعدوا نعمت الله » . وفي النحل « وبنعمت الله
هم يكفرون ، ويعرفون نعمت الله ، واشكروا نعمت الله » . وفي لقمان
« في البحر بنعمة الله » . وفي فاطر « نعمت الله عليكم هل من خالق » .
وفي الطور « فذكر فما أنت بنعمة ربك » .

(٢) في آل عمران « إذ قالت امرأت عمران » . وفي يوسف « قالت امرأت
الميز في موضعين » . وفي القصص « وقالت امرأة فرعون » . وفي
التحريم « امرأت نوح وامرات لوط وامرات فرعون » .

(٣) في الانفال « فقد مضت سنت الاولين » . وفي فاطر « فهل ينظرون الى
سنت الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً » .
وفي غافر « سنت الله التي قد خلت في عباده » .

(٤) في آل عمران « فنجعل لعنت الله على الكافرين » وفي النور « وان لعنت الله » .
(٥) النشر ج ٢ ص ١٢٩ .

(٦) لطائف الاشارات ورقة ٢١٠ .

(٧) شرح الاشمونى ج ٤ ص ٢١٩ .

لأنها تاء تأنيث من حقها ان تكتب تاء مربوطة ويوقف عليها بالهاء ، ولكن
يرد على ذلك أن صاحب الكافي وصاحب الهداية ذكرا الوقف على (ذات
بهجة وذات الصدور) وشبهه • عن الكسائي بالهاء (١) •

أرأيت مدى مخالفة الكسائي رسم المصحف الى هذا الحد من المخالفة؟
ولكن مخالفته للرسم ليست من قبل المخالفة المردودة التي أشرنا اليها من
قبل •

(٥) حرف ما زكى كتب بالياء وهو واوى ، ومع ذلك لم يتبع رسم
المصحف فلم يمل •

حَاشِيَّةٌ وَتَلَاتِي

هذا هو المشهور عند القراء في ذلك الحرف - ما زكى - ، جاء في
إبراز المعاني لأبي شامة : « استثنى مما رسم بالياء وليست الياء أصله خمس
كلمات فلم تمل •

وهي اسم ، وفعل ، وثلاثة أحرف ، • • والفعل ما زكى منكم من أحد
أبدا ، هو من ذوات الواو فلم يمل تنبيهها على ذلك (٢) •

وجاء في شرح الدرة المضيئة للشيخ الضباع ضبط العلامة المتولى
الكلمات الواوية التي لا إمالة فيها لا حد بقوله : -

عصاه ، شفا ، إن الصفاء وأبا أحد سنا ، ما زكى منكم خلا ، وعلا ، ورد
عفا ، نجا ، قل مع بدا ، ودنا ، ودعا جميعا بواو لا تمال لدى أحد (٣)

(جاء في التيسير للداني : أن ما زكى مفتوحة باجماع)

وقد دعاني ذلك أن أفحص ما أورد الداني في الموضح إذ يقول (٤) :
وقد جاءت الإمالة في فعل خاص وهو في قوله « ما زكى منكم (في النور)

(١) لطائف الإشارات ص ٢١٢ ، والنشر ج ٢ ص ١٣٢ •

(٢) إبراز المعاني ص ١٥٦ •

(٣) البهجة المرضية - على هامش إبراز المعاني ص ١٥٥ •

(٤) الموضح ص ٢٩ وما بعدها •

لرسه في المصاحف بالياء عن الكسائي ، وعن أبي بكر ، وعن عاصم .
 فأما الكسائي فحدثنا فارس بن احمد بن موسى المقرئ قال : حدثنا
 عبدالله بن احمد بن طلاب قال : حدثنا اسمعيل بن شعيب قال : حدثنا
 احمد بن منجد بن سلمون قال : حدثنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا العباس
 بن الوليد قال : حدثنا قتيبة بن مهران عن الكسائي أنه قرأ ما زكى منكم
 بكسر الكاف وكذا رواه عنه يحيى بن زياد الفراء ، وصالح بن عاصم الناقط ،
 واحمد بن ابي الذهل ، واحمد بن جبر ، وهي قراءة قديمة » .

وأما أبو بكر فحدثنا عبد العزيز بن جعفر بن محمد الفارسي النحوي
 قال : حدثنا عبد الواحد ابن عمر بن أبي هاشم قال : حدثنا عمر بن الحسن
 الشيباني قال : حدثنا المنذر بن محمود قال : حدثنا هرون قال : حدثنا أبو
 بكر عن عاصم ما زكى منكم مكسورة » .

فتعليق الداني على هذه الرواية بقوله « وهي قراءة قديمة »
 يرجح عندنا جانب عدم الإمالة في ذلك الفعل : إذ يفهم من هذا أن الكسائي
 كان يقرأ بالإمالة « ما زكى » أولا ، ثم عدل أخيرا .

على أن من حدث بذلك السند « قتيبة بن مهران » وهو مع إتقانه
 وجلالته وضبطه ، له إمالات مزعجة معروفة (١) .

على أن فيما ورد في طبقات القراء من أن ابن قتيبة صحب الكسائي
 إحدى وخمسين سنة ما يرجح أن ما زكى بالإمالة — رواية قديمة كما يقول
 الداني في الموضح تلقاها قتيبة عنه في أول الصجبة ، ثم عدل الكسائي
 عنها أخيرا .

قال في جامع البيان : وروى عنه (أي الكسائي) سائر الرواة المسلمين
 — أنه أخلص فتحه وهي قراءته الأخيرة (٢) .

(١) طبقات القراء ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة للداني ص ١٣١ .

فأي القولين بعد هذا نرجح ؟ ألقول بإمالة ما زكى وقد رواها قتيبة وحده ، وله إمالات مزعجة فيما ينقل ابن الجزري عن الذهبي ١٠٠ ؟ أم القول بعدم إمالتها وقد روى ذلك سائر الرواة المسلمين غير قتيبة ؟ لا شك أننا نرجح القول الأخير وبخاصة إذا ضمنا إلى ذلك أن الرواة في السند الثاني الذي ذكره الداني في الموضح - كلهم كوفيون ، لازموا الكسائي من أمثال أحمد بن جبير ، وأحمد بن أبي ذهل ، ويحيى بن زياد القراء . وفيهم صالح ابن عاصم وهو أكثر في الرواية عن الكسائي فيما يقول ابن الجزري (١) .

بقي أن نبحث ما روى عن أبي بكر عن عاصم في إمالة ما زكى .

ويكفي في تضعيف هذا الاسناد ان من أسندت إليه الرواية عن أبي بكر هو هرون . فمن هرون هذا ؟ هو هرون بن حاتم أبو بشر الكوفي البزاز مقرر مشهور ضعفه كما قال ابن الجزري (٢)

وفي تضعيف هرون ، ما يكفي لتضعيف روايته عن أبي بكر عن عاصم ، بل لقد سئل عنه أبو حاتم فقال : أسأل الله السلامة !!

وبناء على هذا التحقيق نأخذ بالمشهور في أن ما زكى لم ترد عن أحد فيها إمالة . وإذا صح أنها رواية قديمة عن الكسائي فليس العمل كما قال الداني على هذه الروايات عن هؤلاء الأئمة . وإن كان ما رواه جازا في العريية مطردا في القياس (٣) .

بقي إتاما لما رأيناه من عدم الربط بين رسم المصحف ومذاهب القراء في الفتح أو الإمالة ان نناقش ما ذكر من الاحتجاج برسم المصحف في كلمات وقع الاختلاف في إمالتها عند القراء ، والجدول الآتي يحوي هذه الكلمات وما أورده (الداني) صاحب كتاب الموضح من التعليل لمذاهب القراء فيها ، ثم تتبع ذلك برأينا في كلامه ناقضين ما قرره من علاقة الإمالة بالرسم ، مدللين بأدلة أخرى نعتقد أنها الحق والصواب إن شاء الله .

(١) انظر طبقات القراء في تراجم هؤلاء .

(٢) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤٥ .

(٣) الموضح ، ورقة ٣٢ .

الحرف	ما أوردته كتب القراءات من التعليل لمناهج القراء فيها
يا بشرى	<p>أخلص الفتح فيها أبو عمرو، قال الداني: ووجه ما ذهب إليه من إخلاص الفتح أنه لما رسمت الفه في المصاحف ألفا من أجل ياء الإضافة المفتوحة بعدها ثلثا يجمع بين ياءين في الصورة استثقالا لاجتماعهما - عاملها بالفتح الذي هو منها ؛ لكي يسلم بها بذلك المعنى الذي له خولف بها عن نظائرها من ألفات التانيث في الرسم ، ويصح ولا يختل ، فلذلك أخلص فتحها وفتح الراء قبلها .</p> <p>الا نرى أنه لو أمالها لإمالة ما قبلها لنحا بها نحو الياء التي فروا منها إلى الألف لما ذكرناه فخالف بذلك غرضهم في رسمهم ياءها الفادون ياء فلذلك أعطاها الفتح الذي هو من الألف دون الإمالة التي هي من الياء ؛ موافقة لغرضهم ، ومتابعة لمذهبهم (١) .</p>
الحوايا	<p>روى عن حمزة الفتح في الحوايا خاصة دون نظائره، والعلة في ذلك انه لما كان قد رسم في سائر المصاحف بالألف التي الفتح منها دون أشباهه ثلثا يجمع بين ياءين فسي الرسم أخلص فتحه دونها اتباعا لرسمه هذا مع جمعه بذلك بين اللفتين . . . ومع اقتدائه في ذلك بمن أثم به من شيوخه (٢) .</p>
هداي	<p>أخلص حمزة فتحه (٣) ؛ وعلة إخلاصه الفتح في هداي دون نظائره أنه لما رسم في سائر المصاحف بألف دون أشباهه خصه بما هو من الألف وهو الفتح هذا مع ما اتبعه من الأثر عن أئمنه (٤) .</p>

- (١) الموضح للداني ورقة ٣٦ ص ٩٥ . (٢) الموضح ورقة ٣٨ ص ١١١ .
(٣) الموضح ورقة ٣٩ ص ١٢٠ . (٤) الموضح ورقة ٤٠ ص ١٢٢ .

الحرف	ما اورده كتب القراءات من التعليل لمذاهب القراء فيها
محياهم ، محيى مثنوى	<p>اخلص حمزة الفتح في الثلاثة (١) ، وعلة حمزة في ذلك أن هذه الكلمات لما رسمت في المصحف بالألف دون الياء عاملوها بالفتح الذي هو منها ، وكذا علة من روى الفتح في مثنوى ومحيى عن الكسائي، هذا مع الاعتماد في ذلك على الأثر الثابت عن الأئمة (٢) .</p> <p>وقد بقيت مناقشة (فاحياكم ، ثم احياهم ، فاحيا به ، وأحياها ، وانه هو أمات واحى ، وشبهه من باب الاحياء وأرجانها الى آخر الفصل ؛ لأنها تحتاج الى كلام طويل .</p> <p>هذا ما ذكره الداني في التعليل لفتح هذه الاحرف عند هؤلاء الأئمة وكلها يدور حول :</p> <p>(١) رسمها في المصحف بالألف حتى لا يجمع بين ياءين .</p> <p>(ب) النقل عن الأئمة والاعتماد على الاثر الثابت عنهم .</p> <p>لم استرح لتعليل الداني برسم المصحف ، وجعله سببا لفتح الأئمة هذه الكلمات ، فدعاني هذا الى البحث في الكتب التي تعرضت للرسم وتحدثت عنه ، ومراقبة الكلمات التي كتبت بالألف حتى لا تجتمع فيها ياءان ، فوجدت من هذا الضرب الكلمات الآتية :</p>

العليا ، والدنيا ، والرؤيا ، ورؤياك ، ورؤياى ، والحوايا ، وأحيا به ، وأحياكم ، وأمات وأحيا ، ونموت ونحيا ، ومحيى ، وهداى ، وباشراى ، ومثنوى ، . الخ رسمت هذه الكلمات بالألف، حتى لا تجتمع فيه ياءان (٣) .

ثم كانت الخطوة التالية لهذا أن ألقيت على نفسي السؤال الآتي :

هل أمال واحد من الأئمة كلمة من هذه الكلمات السابقة ؟ فان كان

(١) الموضح ورقة ٤٠ ص ١٢٦ .

(٢) الموضح ورقة ٤١ ص ١٢٩ .

(٣) شرح العقيلة لابن القاصح ص ٨٢ .

الجواب بالايجاب فقد اتفق اذن تحليل الداني فتح « يا بشرى ، والحويا ،
ومحيى ، وهداى ، ومثواى » برسمها في المصحف الفا دون ياء بخشية
اجتماع ياءين .

وان كان الجواب بالسلب أي انه لم يمل واحد من الائمة كلمة من هذه
الكلمات السابقة فتحليل الداني فتح ما فتح منها برسم المصحف صحيح
مسلم به .

وقد انتهى بي البحث إلى أن الكلمات :

العليا ، والدنيا ، والرؤيا ، ورؤياك ، ورؤياي . قراها أبو عمرو بالإمالة
المتوسطة (بين اللفظين (١)) وقراها حمزة والكسائي بالإمالة المحضة (٢) .

فإذا كانت العلة كما يقول الداني في فتح أبي عمرو (يا بشرى)
وإخلاص حمزة الفتح في (هداى ، ومحياهم ، ومحيى ، ومثواى) رسمها
في المصاحف ألفا حتى لا يجمع بين ياءين - إذا كانت هذه العلة صحيحة
فلذن كان كل من أبي عمرو وحمزة لا يميل . العليا ، والدنيا ، والرؤيا ،
ورؤياك ، ورؤياي ؛ لأن كل كلمة من هذه الكلمات كتبت بالألف حتى لا
تجتمع ياءان ، وحيث قد ثبت أنهما يميلان هذه الكلمات ، بل قد ثبت أن أبا
عمرو يميل (يا بشرى) إذ يحكى صاحب قرة العين عن أبي عمرو فيه ثلاثة
أوجه : الفتح والإمالة وبين اللفظين والفتح عنه أشهر (٣) .

ونبه الجعبري على أن أبا عمرو لم يمل صغرى مع الراء إلا يا بشرى
في وجه الثاني (٤) .

(١) الموضح ورقة ٣٦ ص ٩٢ ، وانظر البهجة المرضية شرح الدرة المضيئة على
هامش إبراز المعاني ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة يوسف قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح .

(٤) المسألة الأولى من اجابات الاسقاطي الحنفي عن امثلة الوزير عبدالله ملحق
قرة العين ٤٧ قراءات مخطوط بدار الكتب .

وإد قد ثبت أن أبا عمرو يميل يا بشرى - فتكون النتيجة التي تنتهي إليها أن تمثيل الداني إخلاص الفتح في هذه الكلمات برسم المصحف مردود في جملته وتفصيله .

وإذا كانت هناك صلة ظاهرة بين الرسم والإمالة في كلمة (سقيها) كتبت بياءين ، واميلت ، واجتمع مع ذلك ياءان في الخط والأداء - فإن ذلك ليس من قبيل الصلة بين الرسم والإمالة ، وإنما ذلك - مع النقل - مما يندرج تحت قاعدة عامة تمال من أصلها هذه الكلمة ، وهو الأصل الياثي فيها .

على أن أبا عمرو الداني يقول : -

« وجدت في بعض المصاحف المدنية ، وأكثر الكوفية والبصرية (وسقيها) ياء واحدة، فلا صلة بناء على كلامه هذا بين الرسم والإمالة (١)، لأنها ياء في الرسم وبياءين في النطق بالإمالة ، وخاصة إذا علمنا أن الممليين لهذه الكلمة الكوفيان (حمزة والكسائي) والبصري (أبو عمرو) والكلمة في مصاحفهم ياء واحدة. وأهل كل قطر قراءتهم تابعة لرسم مصحفهم (٢) .

على أننا لو سلمنا جدلاً للداني بتعليقه برسم المصحف - فإن اجتماع الياءين في الإمالة أمر يتعلق بالنطق لا بالرسم ، وهل كل محذوف في الخط لا ينطق به في اللفظ ؟ لقد حذفوا إحدى واوى (داود) في الكتابة، خشية اجتماع واوين فهل ينطقها أبو عمرو أو حمزة (داود) بواو واحدة ؟ إنما تنطق هذه الكلمة بواوين مجتمعتين في اللفظ على خلاف الرسم .

وبعد : فلا تلزم موافقة التلاوة للرسم ؛ لأن الرسم سنة متبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه . وقال ابن الحاج في المدخل : « لا يجوز

(١) شرح العقيلة ص ٨٣ .

(٢) غيث النفع للصفافسي على هامش سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح ص ١١٤ .

لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها، أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة » (١) .

بقيت حروف أمالها حمزة وعلل لإمالتها الداني فيما علل برسم المصحف ، وسرى هل يستقيم له هذا التعليل فيما يأتي أو لا يستقيم - هذه الحروف ما كان منسوقا بالواو فقط من باب الإحياء في قوله تعالى : - فأحياكم ، ثم أحياكم ، فأحيا به ، وأحيأها ، وأنه هو أمات وأحيى ، وشبهه من باب الإحياء .

قال الداني في الموضح (٢) :

« فأمال حمزة من هذا الجنس ما كان منسوقا بالواو لا غير ، نحو وأحيى ، وكذلك أمال ما كان من الحيوة على وزن يفعل، إذا كان منسوقا بالواو . وأيضاً نحو ويحيى من حيى ، ولا يموت فيها ولا يحيى وشبهه ؛ ليدل على أن أصل ألفه الياء ، وفتح ما عدا ذلك مما نسق بالفاء أو بضم أو لم ينسق بهما ؛ ليرى أن القراءة ليست موقوفة على القياس دون الأثر وليجمع بين اللغتين لفصاحتهما مع أنه اتبع أيضاً في ذلك مرسوم الخط . فلما كان رسم جميع ما تقدم فيه بالألف دون الياء أخلص فتحها ، إذ الفتح منها ، ولما رسم قوله ويحيى وما كان مثله مما جاء على وزن يفعل بالياء أمالها ، إذ الإمالة منها .

ثم تسأل الداني بما يأتي :

فإن قيل : « فقد أمال أمات وأحيى في والنجم وهو مرسوم بالألف » . قيل « إنما الإمالة لما كان ما قبله وما بعده من ذوات الياء ، وكان قد أمال ذلك على أصله الحق به ، وأنبهه إياه ليسوى بين لفظ الفواصل في ذلك

(١) المصدر السابق .

(٢) الموضح ص ٢٠٢ ورقة ٥١ .

مع أن استعمال الإمالة في الفواصل أكد لكونها موضع وقف ، والوقف موضع التغير . ألا ترى أن أبا عمرو وورشا قد استعملا فيهما من الإمالة ما لم يستعملاه في غيرهما لما ذكرناه ، فلذلك فعل حمزة في قوله وأحيا أماله لما وقع رأس آية، وفتح ما عداه لما وقع حشوا .

فإن قيل : « فهلا فعل هذا في قوله سجي وشبهه ؟ » .

قيل : « لم يفعل ذلك فيه لما كانت ألفه منقلبة عن واو ، وكانت ألف ما قبله وما بعده — منقلبة من ياء فلذلك لم يلحقه به ، ولم يتبعه إياه في استعماله الإمالة » .

فإن قيل فقد أمال يموت ويحيى في المؤمنين ، والجائية ، وهما في الرسم بألف وليسا في فاصلة . !

قيل : لما أمال وأحيا في والنجم لما ذكرناه ، وأمال ولا يحيى في طه وسبح لرسمه بالياء ، ووقوعه في فاصلة ، وكان قد عطف بالحياة على الموت بالواو في الكل ، حمل هذين الموضعين على تلك الثلاثة ، واستعمل الإمالة فيهما ؛ ليأتي ما كان من لفظ الحياة المعطوف به على الموت على لفظ واحد وطريقة واحدة، ولا يختلف وإن اختلف رسمه ، ومثل هذا معروف معهود أعني الجمع بين الشيتين في الحكم، إذا اتفقا في بعض المعاني والتسوية بين لفظيهما وإن اختلفا في العلة واختلفا في الحكم .

ألا ترى أن العرب قالت: يعد والأصل يوعد فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة استثقلا لها مع ذلك . ثم قالت تعد ، ونعد ، وأعد فحذفت منه الواو أيضا ولا ياء في ذلك وهو الموجب لحذف الواو (١) ؟ وذلك ليأتي لفظ المستقبل كله على طريقة واحدة، ولا يختلف وإن اختلفت العلة فيه في نظائر لذلك فكذا ما فعله حمزة فيما تقدم سواء .

(١) في النسخة « الياء » وهو خطأ .

هكذا نرى ان حرص الداني على التعليل برسم المصحف في إمالة ولا يحيى في طه ، وسبحان جره إلى ذلك الكلام الطويل ، وفي سلسلة من التأويل والتعليل ، والأمر كله في غاية البساطة ، وتستطيع أن ترجعه الى علة واحدة دون حاجة إلى الالتجاء لرسم المصحف ، وإقحامه في التعليل ، ولا سيما وقد رأينا من قبل أن التعليل برسم المصحف لا يستقيم .

فالعلة في هذه الأحرف، مما اختاره من مذهبه في إمالة ما نسق بالواو (الاصل اليائي) ومن أجل ذلك لم يمل سجي وشبيهه على الرغم من انه مرسوم بالياء اذ ليس لهذا الفعل اصل يائي .

وأمال أمات وأحيى في والنجم مع رسمه بالألف ، لأن هذا الفعل له أصل يائي ، وللأصل اليائي أيضا أمال نموت ونحيى في المؤمنين والجاثية وهما في الرسم بالألف كذلك .

ولعلنا بعد هذا الاستقصاء للحروف التي ذكر مؤلفو القراءات انها أميلت ، أو أخلص فتحها لرسمها في المصحف بالياء أو الألف « بعد بيان وجه الحق في تعليل القراء ، ومناقشتنا لهم على هذه الصورة التي سبقت - لعلنا مطمئنون إلى النتيجة التي نسجلها وهي أن رسم المصحف لا صلة بينه وبين هذه الحروف مفتوحة او ممالاة .

وإذا كان الأمر كذلك من أن رسم المصحف لا يكشف عن الإمالة أو عدمها ، فماذا نقول في تعليل أبي شامة لعدم إمالة ألف الحياة في قوله : - « وأما الحياة فلم تمل ، وإن كانت ألفها منقلبة عن ياء عند قوم ؛ لأن ألفها رسمت واوا في المصحف (١) ؟ .

فالجواب عن ذلك بما قال مكي بن أبي طالب (٢) : فأما الحياة فلو رويت إمالة الألف لجاز ذلك ؛ لأنه من الياء ، وتكون إمالاته من إمالة ذوات الياء . .

(١) إبراز المعاني ص ١٥٤ و ١٨٠ .

(٢) الكشف ص ١٠٠ .

ولكن لم ترد إمالته عن أحد ، وذلك ليتبع نظائره نحو الصلاة والزكاة .
وقد ذكرنا في صدر هذا الفصل أن لهجة المملى والكاتب من الحجازيين
ظهرت في رسم بعض الكلمات بالواو ، وتوهموا لشدة التفخيم أنها واو ،
ونحن لا ننكر صلة رسم المصحف بلهجة التفخيم في هذه الكلمات كما بينا
من قبل ، وعلى ذلك يكون كلام أبي شامة حجة جديدة لنا ، وليست علينا .

جاء في الموضح للداني (١) :

« الأصل الفتح بدليل رسم الصلاة ، والزكاة ، والحياة ،
والنجاة ، وكمشكاة ومناة الثالثة بالواو ، وأجاب عن ذلك النحويون بأنهم
رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز ؛ لشدة تفخيمهم فتوهموا لشدة
الفخامة أنها واو » .

فإن قيل : « ماذا نقول في «تقاته» من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته » حيث أميلت ؟ وعلى ذلك بأنها كتبت في المصحف
بالألف (٢) وليس ذلك اتباعا صريحا لرسم المصحف وهو ما لا نقول به .

فأرد على ذلك أنه أميل ما أميل ، وترك إمالة ما لم يمل اتباعا للرواية
والنقل عن الأئمة ، إلى أن الكسائي يميل الحرفين معا في الموضعين ، وحمزة
هو الذي يفصل ، فاتبع طريق الرواية والأداء ، وقد قالوا في حمزة « إنه لم
يقرأ حرفا من القرآن إلا بأثر .. »

وإذا كنا لا نعتد برسم المصحف سببا في إمالة ما أميل . وترك الإمالة
فيما لم يمل كما بيناه من قبل ، فماذا نقول في إمالة ما رسم من ذوات الواو
بالياء وأميل مثل « دحاها ، وطحاها ، وتلاها ، وسجا » ؟

وتعليل إمالة هذه الاحرف بغير رسم المصحف ممكن ميسور ؛ فقد

(١) ورقة ٢٤ .

(٢) نظر ابراز المعاني ص ١٥٨

ذكر العلماء أنه يقال « دحيت » ^(١) فعلى هذا تكون الإمالة في دحاها سببها أنها فعل يائي ، وقد جاء في القاموس المحيط « دحيت الشيء ادحاه دحيا بسطته » ^(٢) ، وعلى هذا فلا حاجة لنا إلى التعليل برسم المصحف ما دامت دحى لها أصل يائي .

أما بقية الأفعال « طحا وتلا وسجا » فيقول مكّي في تعليل إمالتها « أن هذه الواو ترجع في بعض تصاريف هذه الأفعال إلى الياء » تقول « طحى وتلى وسجى » فترجع الواو إلى الياء ^(٣) .

وكذلك إن نقلتها إلى الرباعي ترجع الواو إلى الياء ، فشابهت بذلك الألف التي أصلها الياء ، فأمالها الكسائي وحده على هذا التشبيه ، نعم على هذا التشبيه ، لا على أنها مرسومة بالياء ، وحسنت إمالتها لأن بعدها وقبلها ما أصل ألفه الياء ، فاتبعت لفظ ما قبلها وما بعدها من الألفاظ الممالات اللواتي أصلها الياء .

قال الداني : وأما الأفعال فما كان منها على ثلاثة أحرف ، وألفه من الواو فإن القراء لا يميلونه لمكان الواو ، وذلك نحو قوله دعا وعفا ، وخلا ، وبدا وعلا ، ونجا ، وشبهه إلا أربعة أحرف من ذلك فإنهم أمالوها ، اتباعا لما قبلها وما بعدها من الممال وهي دحاها ، وطحاها ، وتلاها ، وسجا ^(٤) .

ويقول الأخفش فيما كتب بالياء وهو من الواو : « في مثل والليل اذا سجدى ، وتلاها ، ودحاها ، كتبت هذه بالياء لأن أواخر الآي التي معها بالياء وكتبوها على مثل الذي هو معه ، يعني أن سجدى قبله والضحى ، وبعده وما

(١) الكشف لمكي ج ١ ص ٨٠ .

(٢) مادة دحى الجزء الرابع ص ٣٢٧ .

(٣) وهو مطرد عند سيبويه انظر الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٠ وفصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال مخطوط برقم ٦٩ قراءات دار الكتب .

(٤) الموضح ورقة ٢٦ ص ٢٣ ، وقد ناقشنا أقوال القراء في سبب الإمالة في هذا الباب « باب دعا » من هذا البحث .

قلبي ، وإن تلاها قبلها وضحاها ، وبعدها جلّأها وكذلك دحاها وطحاها (١) .
والإمالة في هذه الكلمات من باب التناسب ، قال صاحب فصل المقال:
التناسب مقصود كلام العرب كما في الغدايا والعشايا إذا كان قياس جمع
غدوة غُداً بالضم أو غدوات ، لكنه جمع هكذا لمجاورته العشايا وهو جمع
عشية ، وعليه جاء سلاسلا وأغلالا ؛ إذ كان حق سلاسلا المنع من الصرف
لكنه صرف لمجاورته أغلالا ، فكما لم نعلل تنوين سلاسلا برسم المصحف
وإنما العلة صرفية. بما تجري عليه العرب في كلامها كذلك تعليل الإمالة في
طحا وتلا وسجا . بما تجري عليه العرب في سننها (٢) .

وَجَمَاعُ الْقَوْلِ فِي هَذَا الرُّضُوعِ

ان بين الإمالة والخط توافقا كثيرا ، أساسه أن كلا من الإمالة والخط
يراعى فيه الرجوع بالألف إلى الياء ، أو أنها ناشئة من الياء .
قال مكّي: « ومما يقوى حسن الإمالة في جميع ما ذكرنا أن ألفه أصلها
الياء - ان من أمال أراد اتباع الخط ، وذلك ان أكثره مكتوب في المصحف
الإمام بالياء ، فمن أمال أتى بلفظ خط المصحف واتبعه ، ومن فتح قارب
خط المصحف (٣) » .

لكن هذا التوافق بين الإمالة والخط ليس بدائم ؛ لأن للإمالة أسبابا
ودواعي متعددة، وأن الذين ربطوا بين الإمالة والخط إنما لاحظوا فقط
كثرة التوافق من غير أن يدققوا أو يتعمقوا ، وقد عرضنا أمثلة من بعض
الآراء التي تقرر أن الإمالة تابعة للخط ، ولم تسلم على النقد والمناقشة .
والنتيجة: ان الإمالة أساسها التلقي والرواية، والقراءات سنة متبعة (٤)
واذن لا داعي لإدخال رسم المصحف في التعليل .

-
- (١) الموضح للداني ص ٢٩ .
(٢) فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل المال للعوضي البدري الشافعي
(١٢١٤ هـ) مخطوط بدار الكتب برقم ٦٩ قراءات .
(٣) الكشف ص ٩١ .
(٤) ابراز المعاني ص ٤٠٦ ، وهمع الهوامع ج ٢ ص ٢٠١ .

الفصل التاسع

قد يأتي من الإمام ما يتبع فيه الرواية

بعد ان استعرضت أسباب الإمالة سببا سببا ، وبينت مدى اتفاق القراء والنحاة في تطبيق هذه الأسباب على أحرف القرآن الكريم أقول : إن هناك في باب الإمالة عند الأئمة القراء ما لا يندرج تحت سبب ظاهر ، وإنما يتبع فيه القارئ الرواية والنقل عن الأئمة وشيوخه ، وفي هذا دليل على أن القراءات ومنها الإمالة إنما يتبع فيها الأثر والرواية لا القاعدة والقياس ، وقد راقبت ما ورد من هذا الباب في الأحرف التي أمالها الأئمة القراء ، وبوبته على النحو الآتي : —

١ — « قاعدة تنطبق على حروف باعنيها في القرآن الكريم فيميل قارئ من القراء بعض هذه الحروف دون البعض الآخر . »

(أ) فقد انفرد حمزة بإمالة الأفعال الجوف مما يؤول الى (فلت) ، فأمال جاء ، وشاء ، وزاد ، وخاب ، وطاب ، وضاق ، وزاغ ابصر ، وفلما زاغوا ، هذين الموضوعين من زاغ لا غير ^(١) مع أنه لم يمل سال في قوله تعالى فسالت أودية بقدرها . ولا سار في قوله تعالى « وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا » وفاءت ، وكاد ، وكالوهم .

(ب) خصص حمزة بالإمالة الاشرار ، والقرار ، وذات قرار ، والقهار ، والبوار ، كل ذلك بين الكسر والتفخيم ، قال ابو علي الفارسي ما رواه من

(١) الإبانة ورقة ١٤ .

تخصيص حمزة هذه دون ما عداها من الكلم مما كان في قياسها على صورتها فالقياس في ذلك وفي غيرها واحد ، ولعله اتبع في ذلك أثرا ترك القياس إليه ، أو أحب أن يأخذ بالوجهين ، وكره أن يرفض أحدهما ، ويستعمل الآخر ، مع أن كل واحد مثل الآخر في الحسن والكثرة (١) .

(ج) أمال حمزة من باب الإحياء ، ما كان منسوقا بالواو لا غير فأمال وأحى من قوله تعالى « وأنه هو أمات وأحى » ، وكذلك أمال ما كان من الحياة على وزن يفعل إذا كان منسوقا بالواو ، ونحو ويحيى من حي ولا يموت فيها ولا يحيى وشبهه ، وفتح ما عدا ذلك مما نسق بالقاء ، أو بثم أو لم ينسق بهما نحو . فأحياكم ، وثم أحياهم ، وفأحيا به (٢) .

٢ - « يجتمع في بعض الحروف من أسباب الإمالة ما لا يجتمع في حروف أخرى من جنسها فيميل بعض القراء ما كان سبب الإمالة فيه ضعيفا ويترك إمالة ما كان السبب فيه قويا . »

(أ) فقد تفرد هشام بإمالة « عابدون وعابد وعابدون » في سورة الكافرين ، قرأها ابن عامر بالإمالة في رواية الحلواني عن هشام عن أصحابه عنه . على حين أن هشاما لا يميل أول كافه به .

كما أن ابن عامر أخلص الفتح بإجماع عنه في قوله لقوم عابدين ، وأول العابدين ، ولها عابدين وشبهه ، والإمالة في ذلك أولى وأحق منها في المواضع المتقدمة لتوالي كسرتين وياء بعد الألف قبلها ، وتوالي ذلك ما يحسن الإمالة ويجلبها (٣) .

(ب) انفرد الدوري بإمالة يسارع ، وتسارع ، ويسارعون ، حيث وقع (٤) . قرأ هذه المواضع بالإمالة الكسائي في غير رواية أبي الحرث ونصير (٥) .

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٧٦ .

(٢) الموضح ورقة ٤٨ ص ٢٠١ وما بعدها .

(٣) الموضح ورقة ٣٢ ص ٦٥ وما بعدها .

(٤) الإبانة ورقة ١٤ .

(٥) الموضح ص ٢٤٧ .

مع أنه فتح يوارى سواة أخيه ، وفاواري سواة أخي في المائدة ، ويوارى سواتكم في الأعراف . والإمالة في ذلك أولى وأحسن ، لكسرة الراء التي تقوم مقام كسرتين والياء (١) .

(ج) قرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان عن أصحابه عنه إمالة الحمار في البقرة . والجمعة لا غير ، ولم يمل من دياركم ، ومن ديارهم ، خلال الديار مع أن الإمالة في دياركم قوية بسبب اجتماع الياء قبل الألف ، وكسرة الراء التي تعد بكسرتين ، وهي في ديارهم أقوى بسبب الياء، وتوالي الكسرات كسرتي الراء والهاء .

(د) روى عن أبي عمرو إمالة كل ألف بعدها راء في موضع اللام ، قال أبو علي الفارسي : أما ما روى عنه من أنه إذا كانت الراء في موضع العين كعين فاعل لم يمل ألف فاعل كقوله بارد وشراب والباريء و . . فلعله اتبع في ذلك أثرا ، وذلك أن الإمالة في ألف فاعل إذا كانت الراء عينا أقوى من الإمالة في الألف إذا كانت الراء لاما ، لأن الكسرة في العين لازمة غير مفارقة ، وكسرة اللام قد تنقل عنها للرفع والنصب ، وبحسب لزوم ما يوجب الإمالة تحسن الإمالة ، ولا يكون غير اللازم كاللازم (٢) .

(هـ) فتح حمزة زاغت عنهم الأبصار في « ص » ، وأمال ضاقت عليهم الأرض مع أن الألف الممالة هنا اكتنفها حرف استعلاء (٣) .

٣ - « قد يكون القارئ كوفيا مثلا كالكسائي الذي هو إمام من أئمة النحاة الكوفيين، ولكنه يتبع في القراءة مذهب نحاة أهل البصرة للرواية التي تلقاها عن قرا عليهم من شيوخه متصلا ذلك برسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

جاء في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين

(١) الموضح ورقة ٥٦ ص ٢٤٧ .

(٢) الحجة لابن علي الفارسي ج ١ ص ٣٧٧ وانظر الموضح ص ٦٢ .

(٣) الموضح ص ١٧٢ .

والكوفيين (١) :

«ذهب الكوفيون إلى أن « كلا وكلتا » فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصل كلا ، كل ، فخفف اللام ، وزيد الألف للتثنية ، وزيدت التاء في « كلتا » للتأنيث . والألف فيهما كالألف في « الزيدان ، والعمران » ، ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة » .

وذهب البصريون إلى أن فيهما إفرادا لفظيا وتثنية معنوية ، والألف فيهما كالألف في عصا ، ورمى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا « الدليل على أنهما مثنيان لفظا ومعنى . وأن الألف فيهما للتثنية النقل والقياس .
أما النقل فقد قال الشاعر :

في كلت رجلها سلامى واحدة كلتاهما مقرونة بزائدة
فأفرد قوله « كلت » فدل على أن « كلتا تثنية » .

وأما القياس فقالوا : الدليل على أنها ألف التثنية أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفتا إلى الضمير ، وذلك نحو قولك « رأيت الرجلين كليهما » ومررت بالرجلين كليهما ، ورأيت المرأتين كليهما ، ومررت بالمرأتين كليهما « ولو كانت الألف في آخرهما كالألف في آخر عصا » ، ورحا « لم تنقلب كما تنقلب أنهما نحو » رأيت عصاهما ورحاهما ، ومررت بعصاهما ، ورحاهما ، فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف « الزيدان والعمران » دل على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : « الدليل على أن فيهما إفرادا لفظيا وتثنية معنوية أن الضمير تارة يرد إليهما مفردا حملا على اللفظ ، وتارة يرد إليهما مثنى حملا على المعنى » .

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري مسألة ٦٢ .

وساقوا الأدلة على ذلك نكتفي منها بقوله تعالى :

« كلتا الجنتين آتت أكلها » فقال « آتت » بالإفراد حملا على اللفظ ، ولو كان مثني لفظا ومعنى لكان يقول « آتتا » كما تقول الزيدان ذهابا ، والعمران ضربا .

وذكروا شواهد وساقوا أدلة أخرى للتدليل على رأيهم ، والذي يهنا منها ما يأتي : « والذي يدل على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها تجوز إمالتهما قال الله تعالى .

« إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » ، وقال تعالى « كلتا الجنتين آتت أكلها » ، قراهما حمزة والكسائي وخلف بإمالة الألف فيهما ؛ ولو كانت الألف فيهما للتثنية لما جازت إمالتهما لأن ألف التثنية لا يجوز إمالتهما .

وهكذا نرى الكسائي يتخذ موقفين متفايرين كل المفارقة ، فهو نحويا يرى أن كلتا ألفها ألف تثنية ، ويخالف بذلك البصريين الذين يقولون إن كلتا ألفها ألف تأنيث .

وهو قارئا يميل كلتا ، وهذا يدل على أن ألفها للتأنيث متفقا في ذلك مع البصريين .

وفي هذا دليل جديد على أن القراء المميلين أمالوا الأحرف التي أمالوها متبعين في ذلك الاثر والنقل عن أئمتهم ، دون السير وراء النظر أو القياس .

فالكسائي - وهو إمام من أئمة النحاة الكوفيين - لو سار وراء النظر أو القياس ما أمال كلتا ، ولكنه اتبع ما نقل عن شيوخه القراء فرأى أن ألف كلتا للتأنيث قارئا ، وللتثنية نحويا واختلف موقفه في الحالين .

وقد قدرت قائلا : « ربما كان الكسائي النحوي قد رأى رأي البصريين في ألف كلتا للتأنيث ، وعلى هذا أمالها - قارئا - متبعا في ذلك

مذهبه نحويا من غير تخالف بين نحوه وقراءته ، وإذن يسقط استدلالنا بإمالة الكسائي لكلتا على أن القراءة إنما يتبع فيها الأثر لا القياس ، وتقعد بذلك دليلا هاما من الأدلة التي اعتمدنا عليها في البرهان على هذه القضية .

ولكني قلت : « لو اتبع الكسائي النحوي مذهب البصريين لنص أبو البركات الأنباري على ذلك كما جرت بذلك طريقته في إيراد مسائل الخلاف في كتابه الإنصاف » إذ ينص على النحاة البصريين الذين اتبعوا الكوفيين الذين خالفوا مذهب عامة الكوفيين ، واتبعوا مذهب البصريين .

وقد دعانا هذا إلى التنقيب في هذا الكتاب ، وحصر المسائل التي نص فيها على اتباع بعض الكوفيين مذاهب عامة البصريين ، أو المسائل التي اتبع فيها بعض البصريين عامة الكوفيين ؛ ليخلص عندنا أن عدم النص على موافقة الكسائي للنحاة البصريين في مسألة « كلتا » دليل على موافقته للنحويين الكوفيين ، فيما ذهبوا إليه من أن ألفا تثنية لا تأنيث . وبالتالي دليل على أن سبب إمالة لها قارئاً اتباعه السنة والأثر لا القياس أو النظر .

وربت هذه المسائل على النحو الآتي : -

١ - نص أبي البركات الأنباري على أن بعض الكوفيين يتفقون مع عامة البصريين .

٢ - ونصه على أن بعض البصريين يتفقون مع عامة الكوفيين .

٣ - ونصه على أن كوفيا يخالف مذهب عامة الكوفيين والبصريين .

٤ - بصرى يتفق مع الكوفيين ، وبعض البصريين ينفرد بمذهب يخالف فيه عامة الكوفيين والبصريين .

٥ - وعلى أن بصريا يتفق مع الكوفيين ، وبعض الكوفيين ينفردون بمذهب يخالفون فيه عامة الكوفيين والبصريين .

فمن النوع الاول

« مسائل أتبع فيها بعض الكوفيين مذهب عامة البصريين »

مسألة ١٤ ص ٦٦

ذهب الكوفيون الى ان « نعم وبئس » اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وإليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين .

مسألة ١٥ ص ١٨ .

ذهب الكوفيون إلى أن أفعل في التعجب نحو « ما أحسن زيدا » اسم، وذهب البصريون إلى انه فعل ماض ، وإليه ذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين .

مسألة ١٧ ص ٩٩

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم خبر « ما زال عليها » وما كان في معناها من أخواتها ، وإليه ذهب أبو الحسن بن كيسان ، وذهب البصريون إلى انه لا يجوز ذلك ، وإليه ذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء من الكوفيين .

مسألة ٢١ ص ١١٣ .

وذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز « ما طعامك إلا زيد » وذهب البصريون إلى أنه يجوز ، وإليه ذهب أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين .

مسألة ٤٩ ص ٢١٨

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترخيم الاسم الثلاثي إذا كان وسطه متحركا ، وذلك نحو قولك في عنق (ياعن) وفي حجر (ياحج) وفي كنف يا كنت .

وذهب البصريون إلى أن ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف لا يجوز بحال وإليه ذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين .

ومن النوع الثاني

بعض البصريين يتفق مع عامة الكوفيين

انظر مسألة ١٨ ص ١٠٢ ، ومسألة ٣٢ ص ١٦٠ ، ومسألة ٥٢ ص ٢٢٤
ومسألة ٥٥ ص ٢٣١ ، ومسألة ٦٤ ص ٢٦٨ ، ومسألة ٧٠ ص ٢٩٠
ومسألة ٨١ ص ٣٤٣ ، ومسألة ٩٤ ص ٣٨١ .

ومن النوع الثالث

كوفي يخالف مذهب عامة الكوفيين والبصريين

مسألة ٧٤ ص ٣١٩

اختلف مذهب الكوفيين في رفع الفعل المضارع نحو يقوم زيد، ويذهب
عمرو ، فذهب الأكثرون إلى أنه يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة
وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بالزائد، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع لقيامه
مقام الاسم .

مسألة ٨٣ ص ٣٤٨ .

ذهب الكوفيون إلى أن حتى حرف نصب ينصب الفعل من غير تقدير
أن ، وتكون حرف خفض من غير تقدير خافض ، وذهب الكسائي إلى
أن الاسم يخفض بعدها بإلى مضمرة أو مظهرة .

وذهب البصريون إلى أنها في كلا الموضعين حرف جر، والفعل بعدها
منصوب بتقدير أن ، والاسم بعدها مجرور بها .

ثم انظر مسألة ٧٦ ص ٣٦٢

ومسألة ٨٧ ص ٣٦٣ ، ومسألة ١١٤ ص ٤٦٦

ومن النوع الرابع
بصرى يتفق مع الكوفيين ، وبعض الكوفيين ينفردون بمذهب يخالفون فيه
عامة الكوفيين والبصريين

انظر مسألة ٧٥ ص ٢٢٢

ومن النوع الخامس
بصرى يتفق مع الكوفيين ، وبعض الكوفيين ينفردون بمذهب يخالفون فيه
عامة الكوفيين والبصريين

انظر مسألة ١٦٨ ص ٤٨١ ، ومسألة ١٠٩ ص ٤٤٤

فنحن نرى أن أبا البركات الأنباري ينص في تحديد دقيق على تخالف
النحاة البصريين والكوفيين ، وإتباع بعض من هؤلاء مذهب الآخرين على
النحو الذي سبق - فلو كان الكسائي النحوي يتفق مع البصريين في ذهابهم
إلى أن ألف كلتا ألف تأنيث ، لكان قد نص عليه كما نص على غيره في
المسائل التي عرضناها ، وكما نص عليه نفسه في بعض المسائل كما رأينا .
وإذ قد ترك النص مع جريه على ذلك في كتابه فهذا دليل على أن الكسائي
يخالف مذهب البصريين نحويا ، ويتفق معهم قارئاً ، لما أخذه عن شيوخه
وأئمة في القراءة ، وسنده المتصل في ذلك بالرسول (صلى الله عليه وسلم)
وفي ذلك دليل أي دليل على أن القراءات ومنها الإمالة إنما يتبع فيها الأثر
بجانب ما اهتدينا إليه من الأدلة الأخرى .

الفصل العاشر

إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف

لم يعالج سيبويه هذه المسألة في اسهاب في باب الإمالة ؛ فقد اكتفى بالنص على أنه سمع العرب يقولون: « ضربته ضربه ، وأخذته أخذه » شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الالف (١) .

أما كتب القراءات فتعالج هذه المسألة على نحو أوسع ؛ فهي تنص على أن إمالة ما قبل هاء التأنيث مذهب الكسائي (٢) والمطولات من كتب القراءات تنسب هذه القراءة أيضا الى عاصم (٣) .

وقد أطلق خلف عن الكسائي - القياس في إمالة سائر الحروف قبل هاء التأنيث لم يستثن من ذلك ، ولا خص بعضا دون بعض .

وكذلك روى عن أبي مزاحم الخاقاني، وكان من أضبط الناس لحرف الكسائي ، وإلى ذلك يذهب أبو بكر بن الانباري وجماعة من أهل الاداء والنحويين (٤) .

وكان أبو بكر بن مجاهد وأصحابه يخصصون من ذلك بالفتح ما فيه قبل هاء التأنيث حرف من عشرة أحرف : منها حروف الاستعلاء السبعة وهي

(١) الكتاب لسيبويه ج ٣ ص ٢٧٠ .

(٢) انظر إبراز المعاني ص ١٧٦ ، سراج القاري ص ١٣٢ ، النشر ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) الموضح للداني ورقة ٦٥ ص ٣١٥ و ٣١٦ ، الحجة لأبي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٨١ .

(٤) الموضح للداني ورقة ٦٥ ص ٣١٧ .

الصاد ، والضاد والطاء ، والظاء ، والغين ، والخاء ، والقاف ، ومنها الحاء
والعين وهما حرفان حلقيان .

والعاشر الألف في غير الكلم وهي الصلاة ، والزكاة ، والحياة ،
والنجاة ومناة ، وهيئات هيئات ، وذات ، ولات ، واللات .

وكذلك اتفقوا على الفتح اذا كان قبل الهاء حرف من أربعة أحرف
وهي (اكهر) اذا لم يكن قبل حرف من هذه الاربعة ياء ساكنة أو كسرة (١) .
فعلى اطلاق خلف وابي مزاحم الخاقاني يجوز ان نيل ما قبل هاء
التأنيث في الكلمات الآتية :

« طاقة والحاقة » ، وغلظة ، والصاخة ، وشاخصة ، وخصاصة ،
وبعوضة ومقبوضة ، وبازغة ، وبالغة ، وبسطة ، وحطة ، ومكة ، وفطرة ،
وخطيئة ، وفاكمة .

وقد قال أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي محتجا لهذا الاطلاق
في إمالة ما قبل هاء التأنيث « في القرآن أعطى ، واتقى ، ويرضى ، لا
خلاف في جواز الإمالة فيه وفي شبهه ، فلما أجمعوا على الإمالة لقوة
الإمالة في الأطراف لأنها في موضع التغير كانت الهاء في الوقف بمثابة
الألف إذا عدت الالف نحو مكة وفطرة » (٢) .

قال أبو سعيد : « وكنت في بعض الأيام في مجلس أبي بكر بن مجاهد
(رحمه الله) ورجل يقرأ عليه فوقف على الصاخة بالإمالة ، فقال لي أبو بكر
« يا أبا سعيد .. ما تقول في الإمالة .. فقلت له « لا تمتنع » وذكر له ما
قدمت ذكره (٣) .

(١) النشر ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) النشر ج ٢ ص ٨٥ وما بعدها .

(٣) الموضع للداني ورقة ٦٧ ص ٣٣٦ .

وفي اختيار ابن مجاهد وأصحابه :
لا يمال ما قبل هاء التانيث عند الوقف إذا كان حرف استعلاء أو أحد
حروف (حاع) .

ووجه ما ذهب إليه مع حروف الاستعلاء السبعة أنها لما منعت الإمالة
في الألف كان منعها إياها في الهاء المشبهة بالألف أولى وأحرى .
وأما وجه فتح هاء التانيث في الوقف مع الحاء والعين، فلا نهما حرفا
حلق وحروف الحلق من حيّز الألف والفتح من الألف .

ووجه الفتح مع الألف أنه إذا وقف بالفتح مع الحاء والعين من أجل
أنهما حرفا حلق من حيّز الالف كان الوقف عليها بالفتح مع الألف أخرى^(١) .
وينتصر أبو عمرو الداني (٤٤٤ هـ) لقراءة الكسائي بإمالة ما قبل هاء
التانيث عند الوقف ، فينقل انها لغة للعرب مشهورة مستعملة رواها عاصم
ورواها الكسائي ، ويروى عن أبي حمدون قوله :

سمعت الكسائي يقرأ بمض هذه الحروف بإمالة ما قبل هاء التانيث ،
ثم سمعته يقول بالفتح حين سئل عن ذلك . فقلت له « فإنك تميل .. »
فقال لي : هذا طباع العرضة^(٢) .

يعني بذلك ان الإمالة ها هنا لغة أهل الكوفة ..

قال مكّي : « وهذه الإمالة في ذلك الحرف على السنة مولدي البصرة
والكوفة اليوم »^(٣) .

(١) الموضح للداني ورقة ٦٦ و ٦٧ ص ٣٢٥ .

(٢) كذا في ص ٣٢٣ الموضح للداني وفي ابراز المعاني لابي شامة « ص ١٧٧ »
العرضة وهو تصحيف ولعلها العرض ففي القاموس المحيط من معاني
العرض جانب البلد وناحيته . ويؤيد ذلك بقية الخبر « يعني بذلك ان
الإمالة ها هنا لغة اهل الكوفة ، وقد جاءت الكلمة في النشر لابن الجزري
« هذا طباع العربية » وربما كان لذلك وجه اذ ان سيبويه روى عن العرب
ذلك ج ٢ ص ٨٢ . الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الكشف ص ٩٩ والنشر ج ٢ ص ٨٩ .

على حين ان مكى بن ابى طالب (٤٣٧ هـ) لا ينتصر لإمالة ما قبل هاء
التأنيث وذلك اذ يقول :

« والاختيار فتح ما قبل هاء التأنيث ؛ لأنها كسائر الحروف ؛ ولأن
الوقف عارض ، ولأنه الأصل ، ولأن القراء أجمعوا عليه غير الكسائي » .
وقد كان قول سيويه « سمعت العرب يقولون : ضربت ضربه واخذت
أخذه شبه الهاء بالألف ، فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف (١) . حيث
ذكر تشبيه الهاء بالألف مجملا ولم يذكر وجه الشبه — كان ذلك مدعاة لمن
جاء بعده أن يفصل هذا التشبيه .

فابن خالويه (٣٧٠ هـ) في كتابه الحجة يقول بتعاور الألف والهاء في
كثير من الكلمات ، ففي أنا أربع لغات « أنا فعلت ، أن فعلت ، أن فعلت ،
أنه فعلت » (٢) .

وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) يقول : « لو لفظت بالياء من ضرب لقلت
قول الخليل : إن شئت (به) ، وإن شئت (با) فجرت الألف والهاء مجرى
واحدا في هذا » .

ويقول في موضع آخر : — عاقدا الشبه بين الهاء والألف — « الحجة
لمن قرأ عليهم بكسر الهاء ان الهاء من مخرج الألف ، وهي في الخفاء نحوها ،
فكما أن الكسرة أو الياء إذا وقعت إحداها قبل الألف أميلت الألف نحوها ،
وقربت منها كذلك إذا وقعت قبل الهاء قربت الهاء منها بإبدال ضميتها كسرة ،
كإمالتهم الألف نحو الياء » (٣) .

وقد علل أبو علي الفارسي إمالة الفتحة في نحو مؤصدة نحو الكسرة
في قول عاصم بما علل به سيويه ناقلا كلامه في الكتاب (٤) ، وشرح وجه

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) الحجة لابن خالويه ص ٢٠ .

(٣) المصدر السابق « الحجة لابن خالويه » ج ١ ص ٣٥ .

(٤) انظر نص سيويه السابق .

الشبه بين الألف والهاء فقال :

فإن قلت : « كيف أمالها والألف لو كانت هنا موضع الهاء لسم تلزم فيها الإمالة ؛ لأنه ليس كسرة ولا ياء ٢٠ » قيل : قد تمال الألف في الاواخر وإن لم يكن ما يوجب الإمالة ، وذلك نحو قولهم : « طلبنا ، ورأيت عنبا » ، فكما أمالوا هذه الألف وإن لم يكن في الكلمة ما يوجب الإمالة كذلك أميلت الهاء تشبيها بالألف (١) .

وقد جعل مكّي بن ابي طالب ٤٣٧هـ في كتابه الكشف أوجه الشبه بين الألف والهاء خمسة ، إذ يقول :

اعلم أن هاء التانيث أشبهت الألف التي للتانيث من خمس جهات .

الاولى : قرب المخرج من الألف .

الثانية : أنها زائدة كألف التانيث .

الثالثة : أنها تدل على التانيث كالألف .

الرابعة : أنها تسكن في الوقف كالألف .

الخامسة : أن ما قبلها لا يكون إلا مفتوحا كالألف .

فلما تمكن الشبه في الوقف بالسكون أجراها الكسائي مجرى الألف في الوقف ، فأما ما قبلها من الفتح ، فقربه من الكسر كما يفعل بألف التانيث ، إلا أن ألف التانيث تقرب عند الإمالة نحو الياء ، وليست كذلك الهاء ، فإن وصل فتح ؛ لأنها تصير تاء فلا تشبه حينئذ الألف ، فلذلك حسن الوقوف بالإمالة ، وذلك نحو جبه ، ودابه ، وشبهه يقف بالإمالة عليه الكسائي (٢) .

ويجعل الداني (٤٤٤هـ) الشبه بين الألف والهاء في المخرج والمعنى كما قال مكّي ، وفي اللفظ — حيث أبدلت منها في قول الراجز : —

(١) الخجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٨٢ .

(٢) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكّي ص ٩٨ .

الله نجّاك بكفي مسلمه من بعدما، وبعدها، وبعده

يريد وبعد (ما)^(١)

وينقل أوجه الشبه هذه أبو شامة (٦٦٥ هـ) في ابراز المعاني^(٢) ، وابن الجزري (٨٨٣ هـ) في كتابه النشر مع شيء من التفصيل^(٣) .

وقد ذكر الدكتور إبراهيم انيس في كتابه اللهجات العربية وما يلقي ضوءاً على الشبه بين الهاء والألف، وذلك اذ يقول : -

« ما ظنّه القدماء « هاء » متطرفة^(٤) هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل ، أو كما يسمى عند القدماء ألف المد ، وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة ، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة بل يحذف آخرها ، ويمتد النفس بما قبلها من صوت لين قصير : « الفتحة » ، فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء .

ولقد تطورت تاء التأنيث في اللغات السامية على مراحل ليس هنا مجال تفصيلها ، وإنما يمكن الإشارة إليها فيما يلي : -

(أ) الاصل في علامة التأنيث هو التاء المتطرفة ، وقد ظلت على حالها في الفعل الماضي ، وجمع الإناث في اللغة العربية .

(ب) تطورت في الأسماء المؤنثة إلى حال وسطى وهي النطق بها تاء في حالة الوصل ، وحذفها في حالة الوقف .

(١) الموضح للداني ورقة ٦٦ ص ٣٢٢ .

(٢) ابراز المعاني ص ١٧٧ .

(٣) النشر ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) فيما روى من أن قبيلة طيء كانت تؤثر الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقلبها هاء، وقد سمع بعضهم يقول : « دفن البناء من الكرماء » انظر معيزات لغات العرب للشيخ حمزة فتح الله .

(ج) الطور الثالث لهذه العلامة هو حذفها مطلقا وصلا ووقفا في كل اسم مفرد مؤنث ، وقد شاع هذا الطور الأخير في معظم اللغات السامية كالعبرية ، وفي اللهجات العربية الحديثة . فحين تسمع كلمة مثل ، « الشجرة » في لهجات الكلام الآن يخيل اليك ان التاء المربوطة قد قلبت « هاء » والحقيقة انها حذفت من النطق ، وامتد النفس مع صوت اللين قبلها فسمع كالهاء (١) .

وهذا التطور في اللهجات العربية الحديثة - كما يقول الدكتور إبراهيم انيس يبدو طبيعيا ، ويتبع سنة التدرج ، ولكني لا أستطيع ان اتخذ من إمالة القراء لما قبل هاء التأنيث دليلا على صحة ما ذكر الدكتور أنيس إذ قال : -

ومما يؤيد ما نذهب إليه - الإمالة في هذه الأسماء ، فقد رويت في قراءة الكسائي كما شاعت في كثير من اللهجات العربية الحديثة ، وهذه الإمالة لا علاقة لها بتاء التأنيث كما زعم بعض القراء ، بل هي مجرد إمالة الفتح قبلها (٢) .

فالإمالة لم تقع فيما قبل هاء التأنيث لأن الهاء حذفت ، أو أنهم يقدرّون حذفها ، لا ، ، ، بل لانها شبيهة بالألف في الخفاء ، وقرب المخرج إلى غير ذينك من الاسباب التي ذكرها القراء والنحاة .

هل القارئ إذا قرأ قوله تعالى : « فلا اقتحم العقبة » وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . اولئك اصحاب الميمنة . والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشئمة . واتبع مذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء

(١) كتاب اللهجات العربية ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

التأنيث عند الوقف فأمال العقبة ، رقبه ، مسغبة ، مقربه ...
الخ هل يحذف الهاء في هذه الكلمات من النطق ؟ لا ! وإذا كان حذف
الهاء في مثل هذه الكلمات في اللهجات العربية الحديثة ، فإن القراء
يحرصون على النطق بها ، وإن كانت تأتي خفية شبيهة بالألف في الخفاء .

وقد وقع خلاف بين القراء في الممال في هذا الباب : أهو هاء التأنيث
مع ما قبلها .. أم ما قبلها هو الممال فقط ؟

والواقع أن كلام سيويه « سمعت العرب يقولون ضربت ضربه ،
وأخذت أخذه ، شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل
الألف » ^(١) مبهم غير صريح في أن الممال هو الهاء مع ما قبلها ، بل هو
يحتمل الوجهين معا .

« هل الممال هو ما قبل الهاء فقط ؟ أو هو مع الهاء ؟ وكان كلام
سيويه محتملا الوجهين معا ؛ لأن قوله : شبه الهاء بالألف يحتمل أنه شبهها
بها في أنه يميلها كما يميل الألف .

لكن جاء قوله : فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف ، مضعفا لذلك
الاحتمال ، وإن كان لا ينفيه .

وقد ظللت غير متبين رأي سيويه على التأكيد ، حتى قرأت لأبي علي
الفارسي في كتابه الحجة ما يقطع بأن الممال في رأي سيويه — الهاء وما
قبلها ، وذلك حيث يقول أبو علي معقبا على قول سيويه السابق : فإن قلت
كيف أمالها والألف لو كانت هنا موضع الهاء لم تلزم فيها الإمالة ؛ لأنه ليس
كسرة ولا ياء ؟ قيل : —

قد تمال الألف في الأواخر ، وإن لم يكن ما يوجب الإمالة ، وذلك
نحو قولهم : — طلبنا ، ورأيت عبا ، فكما أمالوا هذه الألف وإن لم يكن

(١) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٧٠ .

في الكلمة ما يوجب الإمالة كذلك أميلت الهاء تشبيها بالألف (١) .

ومكي (٤٣٧ هـ) يرى أن المال الهاء وما قبلها ، إذ يقول : الألف وهاء التأنيث لا يمكن إمالتها إلا بامالة الحرف الذي قبلهما (٢) .

والداني (٤٤٤ هـ) يرى كذلك أن المال الهاء وما قبلها في موضع من كتابه الموضح (٣) وفي موضع آخر يروي عن أبي حمدون أن المال ما قبل الهاء (٤) .

وقد ذكر ابن الجزري (٨٨٣ هـ) أن سيبويه من النحاة ، والداني والشاطبي من القراء يرون أن المال هاء التأنيث مع ما قبلها ، حيث شبهت الهاء بالألف .

وأن جمهور القراء يرون أن المال هو ما قبل الهاء فقط ، وهو مذهب مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) (٥) ، وسبط الخياط البغدادي (٥٤١ هـ) فقد جاء في كتابه المبهج « اختلفوا في إمالة ما قبلها وفي فتحه » (٦) .

قال ابن الجزري : « والأول أقرب إلى القياس ، والثاني أظهر في اللفظ وأبين في الصورة ، ولا ينبغي أن يكون بين القولين خلاف ، ويقول ابن الجزري : إن النزاع لفظي ، فاعتبار حد الإمالة ، وأنها تقرب الفتحة من الكسرة ، والألف من الياء فإن هذه الهاء لا يمكن أن يدعى تقريبا من الياء ، ولا فتحة فيها فتقرب من الكسرة ، وهذا مما لا يخالف فيه الداني ، ومن قال بقوله .

(١) الحجة لأبي الفارسي ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٢) ورقة ٧٤ من الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق التلاوة ضمن مجموعة رقم ٧٧ قراءات المكتبة الأزهرية .

(٣) الموضح ص ٣١٥ و ٣١٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٣١٧ و ٣٢٣ .

(٥) لم أجد نصا يشير إلى رأي مكي في أن المال هو ما قبل الهاء فقط في كتبه الثلاثة : الكشف - التبصرة - الإبانة .

(٦) المبهج لسبط الخياط البغدادي ص ٨٦ .

وباعتبار أن الهاء إذا أميلت فلا بد أن يصحبها في صوتها حال من الضعف خفي يخالف حالها إذا لم يكن قبلها مال ، وإن لم يكن الحال من جنس التقريب إلى الياء فيسمى ذلك المقدار إمالة ، وهذا مما لا يخالف فيه مكّي ومن قال بقوله « فليس بين الرايين خلاف (١) » .

وهذا توفيق مصطنع لا يثبت على المناقشة ، وإن كان ابن الجزري قد استطاع أن يدعم وجهة نظر كل فريق ، ووفق في الدفاع عن رأي الجمهور ، فلم يوفق في الدفاع عن رأي الداني ، والشاطبي ومن لف لفهما ، إذ لا يمكن أن أسمى إمالة ما يصحب صوت الهاء حين تمال في رأي الداني — من حال الضعف الخفي .. وإنما أسمى إمالة لو قربت هذه الهاء إلى الياء .. وإذن لا يكون المال الهاء ، وإنما يكون حرف آخر هو الألف ، فخرجت المسألة من إمالة الهاء إلى إمالة الألف المبذلة من الهاء ، وهو ما لم يقل به أحد من القراء ، بله الداني ، والشاطبي ..

وهذا التوجيه ينتهي بنا إلى أن نرجح رأي الجمهور من القراء من أن المال هو ما قبل الهاء فقط . وهو ما قرره نلذكه في كتابه تاريخ القرآن (٢) .

هذا وإذا وصلت هذه الهاء ، ولم يوقف عليها فلا تجوز الإمالة فيها — ولا فيما قبلها ، وذلك لأنها إذا وصلت رجعت إلى التاء فلم تشبه الألف حينئذ (٣) .

وقد ذكر جمهور القراء إمالة هاء السكت ، ذلك لأن ضرورة إمالتها كسر ما قبلها وهي إنما أتى بها بيانا للفتحة قبلها ، ففي إمالتها مخالفة

(١) النشر ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) تاريخ القرآن لنلذكه ص ١٩٧ .

(٣) الموضح للداني ورقة ٦٨ ص ٣٣٧ .

للحكمة التي من أجلها اجتلبت (١)

ولأن الإمامة وقعت في تاء التأنيث ؛ لأنها تدل على ما تدل عليه الألف في سكرى ، وحبلى ، وشبههما من التأنيث ، وهو الجالب للإمالة (٢) .

وقد هاجم أبو عمرو الداني أبا مزاحم الخاقاني في إجراءاته هاء السكت مجرى هاء التأنيث في الإمامة في مذهب الكسائي ، ووصف ذلك بأنه غلط فاحش ، وخطأ بين .

وقال الهذلي الإمامة فيها بشعة (٣) ، وقد كان ابن مجاهد لا يرى إمالة هاء السكت وما قبلها ، وقد بلغه ذلك فأنكره أشد النكير ، وقال فيه ابلغ قول (٤) .

ومن الغريب أن يقف إمامان جليلان كابن مجاهد والداني هذا الموقف من قراءة رواها أبو مزاحم الخاقاني عن الكسائي ، على أن ثعلباً وابن الأنباري وغيرهما من النحويين يذهبون إلى جواز الإمالة مع هاء السكت (٥) ، إلى أن لذلك - كما يقول أبو عمرو الداني نفسه - ضرباً من القياس ، وذلك أن سيبويه حكى الإمالة في قولهم طلبنا ، وطلبنا زيد ، ورأيت عبداً فكما أمالت العرب هذه الألف لوقوعها طرفاً كذلك تمال هاء السكت (٦) .

(١) النشر ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) الموضح للداني ورقة ٦٧ و ٣٢٩ .

(٣) النشر ج ٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٤) الموضح للداني ورقة ٦٧ ص ٣٣٠ .

(٥) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٦) الموضح للداني ورقة ٦٧ ص ٣٣٥ .

الفصل الحادي عشر

إمالة بعض الحروف

منعت إمالة الحروف عند النحاة ؛ لأنها ادوات جوامد غير متصرفة ، والإمالة ضرب من التصرف ؛ لأنه تغيير ، وقال سيبويه : « ومما لا يميلون ألفه حتى ، وإما ، وإلا » فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو حلى ، وعطشى ^(١) يريد أن الحروف غير متصرفة فلا تلحقها تشنية ، ولا جمع ، ولا تغيير فلا تصير ألفاتها ياءات .

وأرى أنه لا داعي لإدخال البناء أو الإعراب فيما هو متصل بالصوت ، كما لا يصح أن يعلل عدم إمالة بعض الحروف بجموده ، وعندى أن السبب في منع إمالة بعض الحروف أنه غير مستقل بنفسه ، فلا يفهم معناه إلا مع غيره ، فهي موصولة بغيرها أثناء الكلام ، إذ لا يفهم معنى « لعلى » الجارة وحدها موقوفا عليها ، وكذلك لا يفهم معنى لإلى ، ولأما ، ومعنى قولهم : « الحرف لا يستقل بالمفهومية » أن نحو من وإلى مشروط في دلالتها على معناه الإفرادى ذكر متعلقهما ونحو الابتداء ، والانتها ، وابتداء ، وانتهى غير مشروط فيهما ذلك ^(٢) .

ولو كانت هذه الحروف مفردة غير موصولة تفيد معنى لساغت إمالتها موقوفا عليها ؛ لأن الإمالة تغيير والوقوف موضع التغيير كما يحدث في ذ ^(٣) .

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٢) مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ .

(٣) الموضح ص ١٢٢ .

قال الشيخ خالد الأزهرى في التصريح :

« والذي سهل إمالتها يقصد (أنى ، متى ، بلى ، لا) نياتها عن الجمل ،
فصار لها بذلك مزية على غيرها (١) . »

أقول : « وما نياتها عن الجمل إلا في أنها تعطى معنى مفهوما مستقلة
عن غيرها ، منطوقة وحدها . »

هذا هو المقياس الذي أرى أن تقاس عليه إمالة ما يمال من الحروف ،
ولا داعي لما ذكره سيويه سببا في إمالة (ذا) وهو اسم غير متمكن يلحق
بالحروف إذ يقول : « وإنما جازت إمالته وإن كان مبنيا غير متمكن من
قبيل أنه يشابه الأسماء المتمكنة من جهة أنه يوصف ، ويوصف به ، ويشئى
ويجمع ويصغر . . » (٢) .

بل الصواب ما ذكره سيويه أيضا في عدم إمالة (ما) من أنها
لا تتم اسما إلا بصلة (٣) .

ويلحق بالحروف في هذا الأمر الاسماء غير المتمكنة ، فما كان منها قائما
بنفسه عند النطق أميل ، وإلا فلا يمال مثل إمالة « متى » وأتى بمعنى كيف ،
فأما ما الاستفهامية ، والشرطية ، والموصولة فلا تمال ؛ لأنها لا تستقل
بنفسها ، ولا يفهم لها معنى عند النطق بها وحدها ، ولا تتم اسما كما يقول
سيويه إلا بصلة .

أقول : « ولهذا أميلت أتى بمعنى كيف ؛ لأنها تستقل بنفسها في
النطق ، ولم تمل أتى إذا وقعت شرطا في نحو « أتى تقيم أقيم معك » . »

قالوا : ولما كفت بلى في الجواب ضارعت بذلك الاسم والفعل فأميلت .

(١) ج ٢ ص ٣٥٥ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ص ٦٦ ج ٩ .

(٣) الكتاب لسيويه ج ٢ ص ٢٦٧ .

ولا قيمة لمضارعة بلى الاسم والفعل في التعليل لإمالتها ، وإنما العبرة
بأنها تكفي في الجواب بنفسها مستقلة عن غيرها قال في المبهج: «وأملت
بلى لأنها قامت بنفسها في الجواب» (١) .

ومن هنا كان قطرب على صواب إذ يرى إمالة « لا » لكونها مستقلة ،
وذكر الصبان حاشية على كلمة « لا » فقال (أي الجوايبة) (٢) : وقد سمعت
إمالة لا في إمثلا (٣) .

ولهذا أيضا أميل ما أميل من الحروف والأسماء غير المتمكنة ،
مما يستقل بنفسه ، أو يصح أن ينطق به وحده مفهما معنى مثل (ذا)
الإشارية ، و (ها) ، ونا في قوله « مر بها ، ونظر إليها ، ومر بنا ، ونظر
إلينا » قالوا : فهذه تطرد إمالتها لكثرة الاستعمال ، وليست العلة كثرة أو
قلة ، وإنما العلة أنه يصح أن تقف عليها مفيدة معنى .

ولهذه العلة أيضا لو سميت بهذه الأحرف كالآء ، جازت إمالتها (٤) ،
قال الخليل : لو سميت رجلا بها أو امرأة جازت الإمالة (٥) .

أقول ذلك لأخلص منه إلى إمالة فواتح السور مثل الراء في « المر »
والطاء والهاء في طه وغيرها (٦) . فللعلة التي ذكرت أميل ما أميل من هذه
الأحرف ؛ لأنها أسماء لهذه الأصوات الدالة على الحروف المحكية المقطعة ،
بدليل أنك تقول « جيمك حسنة ، وصادك محكمة » (٧) .

ومن هنا نتفق مع النحويين في الحكم ، وإن اختلفنا معهم في التعليل .

(١) المبهج ص ١٥٦ .

(٢) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢١٧ .

(٣) ج ٢٠ ص ٣٥٧ وما بعدها .

(٤) تصريح ص ٣١٥ ج ٢ .

(٥) سبويه ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٦) انظر النشر ففيه حصر لفواتح السور التي أميلت ج ٢ ص ٦٦ وما بعدها .

(٧) كتاب الكشف عن علل القراءات لمكي بن أبي طالب ص ٩٠ وانظر الموضح

ورقة ٥٨ ص ٢٦٠ .

الفصل الثاني عشر

موانع الإمامة

فإذا انتقلنا إلى موانع الإمالة ، وأردنا أن نتعرف مدى اتفاق القراء مع النحاة فيما يمنع الإمالة ، وفيما لا يمنع من هذه الحرف ، وجدنا أن النحاة يقررون : أن حروف الاستعلاء تمنع الإمالة إذا كان حرف منها قبل الألف ، والألف تليه « كقاعد وغائب وخامد » ، أو بعد ألف تليها كناقذ ، وعاطس ، وعاصم ، وعاضد ، وعاظل ، وناخل ، وواغل ، وكذلك إن كانت بعد الألف بحرف وذلك « نافخ ، ونابح ، وناقق » أو بحرفين وذلك « مناشيط ، ومنافخ ، ومعاليق ^(١) » .

قالوا : « ومتى اتصلت بالألف راء مفتوحة أو مضمومة منعت الإمالة » وذلك راشد ، وفراش ، وهذا حمار ، ورأيت حمارا ^(٢) . وكيف المانع في الأحوال الآتية :

(١) إذا كان حرف الاستعلاء مكسورا نحو « طلاب ، وغلاب ، وخيام ، وصيام فإن أهل الإمالة يميلونه .

(٢) إذا كان حرف الاستعلاء ساكنا بعد كسرة نحو « مصباح وإصلاح ^(٣) » .

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٣) شرح الشافية للرضي ص ١٧ ، التوضيح وشرح التصريح ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٣) إذا اتصلت بالألف راء مكسورة ، قال سيبويه : « ومما تغلب فيه الراء قولك : قارب ، وغارم ، وهذا طارد » وكذلك جميع المستعلية إذا كانت الراء مكسورة بعد الألف (١) .

فهل استثنى القراء ما استثناه النحاة ؟ لقد وردت الكلمات « خفاف ، وخلاف ، وخلال ، وخياط ، وخيام ، وخيانة ، وضعاف وضياء ، وظلال ، وقتال ، وقيام ونحو ذلك في القرآن الكريم مما كسر فيه حرف الاستعلاء (٢) .

هذه الأحرف كلها ممالاة عند النحاة ، ولكن هل أميلت عند القراء ؟ لم يمل من هذه الحروف إلا « ضعاف » في قوله تعالى « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم » إمالة حمزة من رواية خلف ، والنحاة يقولون : « النصب في ضعاف جيد ، والإمالة أجود (٣) .

وقد ناقشت إمالة هذا الحرف من قبل ، وبينت أن الجمهور من أهل الأداء لا يميلونه (٤) .

فإذا انتقلنا إلى الحالة الثانية التي أمالها النحاة مع وجود حرف الاستعلاء وهي حالة « سكون حرف الاستعلاء بعد كسرة » وجدنا أن ما ورد في القرآن الكريم مما أماله النحاة والذي ورد فيه حرف الاستعلاء ساكنا بعد كسرة - ما يأتي : -

مصباح - مقدار - وإخراج - وأخوان - وإصلاح - وإطعام - وإصباح (٥) .

فنجد أن كل هذه الأحرف غير ممالاة عند القراء .

(١) الجزء الثاني من الكتاب لسيبويه ص ٢٦٧ .

(٢) ينظر المعجم المفهرس في تعيين سور هذه الكلمات .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٠ .

(٤) النشر ج ٢ ص ٦٣ .

(٥) ينظر المعجم المفهرس في مواد هذه الكلمات لتعيين سورها .

على أن إمالة نحو « إصلاح » مختلف فيه عند العرب ، جاء في شرح الشافية : وأما إن كانت حروف الاستعلاء ساكنة قبل حرف الألف بعد الكسرة نحو مصباح ، ومقلاع ، ومطعان – فبعض العرب لا يعتد بحرف الاستعلاء ؛ لكونه بالسكون كالميت المعدوم فيميل ، وبعضهم يعتد به لكونه أقرب إلى الألف من الكسرة الطالبة للإمالة •

قال سيويه : « كلاهما عربي له مذهب ^(١) » •

وكم كنت أود أن أعرف هؤلاء الذين يميلون ، والذين يفتحون من قبائل العرب ؛ فقد كان ذلك يعين على تتبع تأثير القراء بمختلف اللهجات العربية ، وتأثير القبائل المختلفة ، وظهور لهجاتها في قراءات القرآن الكريم • فإذا انتقلت إلى الحالة الثالثة التي يكف فيها حرف الاستعلاء وهي ما كانت مثل طارد ، وقارب ، وغارم – نجد أن ما ورد من هذا النوع في موضعين « والسماء والطارق • وما أدراك ما الطارق » •

وطارد في موضعين « وما أنا بطارد الذين آمنوا » « وما أنا بطارد المؤمنين » •

وغارم في قوله تعالى : وفي الرقاب والغارمين •

وقارعة في قوله تعالى « أن تصيبهم بما صنعوا قارعة » « القارعة ما القارعة » وما أدراك ما القارعة « كذبت ثمود وعاد بالقارعة » •

والقراء لا يميلون ما جاء على هذا الوزن مما كانت الراء فيه عينا لاسم فاعل فإؤه حرف استعلاء •

وقد اتفق القراء مع النحاة في إمالة نحو المعطى ، والوسطى ، وقال ابن الحاجب :

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ١٨

« أجيزت الإمالة في نحو المعطى ، والوسطى مع حروف الاستعلاء لقوة السبب ؛ لأن انقلاب الألف ياء لغير الإمالة مطرد ، والبنية باقية سبب قوى للإمالة فتجري عليها مع حروف الاستعلاء أيضا (١) » .

هذا كلام الرضى ، وقد وافق القراء حيث أنهم يميلون ما كان على وزن فعلي . حتى قال الشاطبي متحدثا عن الممال (وكيف أتت فعلي . . . (٢)) .

ومن هذا العرض نتبين أن دائرة الممال عند القراء تضيق فيما يكف المانع كما ضاقت فيما يؤدي إلى الإمالة من أسباب .

(١) شرح الشافية لابن الحاجب ص ١٥

(٢) إبراز المعاني ص ١٦٧ .

الفصل الثالث عشر

فِي سَبَابِ الْإِمَالَةِ

وهذا فصل نعقده لبيان السر في الإمالة، وانها ظاهرة من تلك الظواهر المتعددة التي شاعت في اللغة العربية ، والتي يرجع سببها في الحقيقة الى الانسجام الصوتي ، والتماس الخفة .

وتتجلى ظاهرة الانسجام الصوتي في اللغة العربية واضحة ، وقد لاحظ المتقدمون تأثير الأصوات بعضها في بعض ، ومخرج حرف على آخر ، فأحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة ^(١) ، والحروف المتقاربة لا تأتلف في كلمة واحدة أصلية الحروف ، فقبح على ألسنة العرب اجتماع الحاء والهاء ؛ لأن الحاء في الحلق بلزق الهاء ، ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة معنى على حدة كقول لبيد : -

يتمادى في الذي قلت له ولقد يسمع قولي: حيء هل ^(٢)

وكذلك الحال في الحاء والمين ، قال الخليل : « العين ، والحاء ، لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف ؛ لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل حيء على ، فيقال منه حيعل ^(٣) .

ومن هنا لم تأتلف الصاد مع السين ، ولا مع الزاي في شيء من كلام العرب ^(٤) .

(١) الجهمرة لابن دريد ج ١ ص ١١ .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٣) لسان العرب ج ٩ ص ٣٤٩ .

(٤) لسان العرب ج ٧ ص ١٦٧ ، ص ٢٩٨ و ج ٨ ص ٢٦٨ .

وقالوا : تأليف القاف والكاف معقوم في بناء العربية؛ لقرب مخرجيهما
إلا أن تجيء كلمة من كلام العجم معربة (١) .

وقد نقل السيوطي في كتابه المزهر ما أورده أبو حيان في شرح
التسهيل مما تعرف به عجمة الاسم ، وذكر من ذلك : -

- ١ - أن يكون أوله نون ثم راء نحو فرجس .
- ٢ - أن يكون آخره زاي بعد دال نحو مهندز .
- ٣ - أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان والجص .
- ٤ - أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق .

٥ - أن يكون خماسيا ورباعيا عاريا عن حروف الذلاقة ، وهي الباء ،
والراء ، والفاء ، واللام ، والميم ، والنون ، فإنه متى كان عربيا فلا بد أن
يكون فيه شيء منها ، نحو سفرجل ، وقذعمل ، وقرطعب ، وجحمرش (٢) .

ومن سنن العرب كذلك تقريب الأصوات أي اللينة بعضها من بعض
لما في ذلك من مشاكلة ، وتجانس ، والتماس للمخفة التي رغبوا فيها ومالوا
إليها :

وتقريب الصوت من الصوت يكون بتغليب الحرف المتقدم على المتأخر
أحيانا كما في قولهم (الحمد لله) ، وقد يكون بتغليب المتأخر على المتقدم
أحيانا أخرى كما في قولهم الحمد لله ، وسنجري على تسمية النوع الاول
« مشاكلة اصطحاب » أو مشاكلة طردية ، أي ان الناطق قد اصطحب بعض
صفات الحرف الأول حين النطق بالثاني . أو يطرد بعض خصائص الحرف
السابق على ما يليه .

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٢٨٢ .

(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ١٦٠ .

كما جرينا على تسمية النوع الثاني « مشاكلة التهيؤ » ، أو « مشاكلة عكسية » ، وذلك ان الناطق يتهيا لنطق الحرف المقبل فيتأثر بشيء من خصائصه يستبق إليه قبل النطق بالحرف من سبيل التهيؤ له ، أو يعكس بعض خصائص الحرف المتأخر على السابق له عند النطق بذلك السابق .

وقد عقد ابن جني في كتابه الخصائص^(١) بابا في الإدغام جعل المعنى الجامع فيه « تقريب الصوت من الصوت » ، وفسر ذلك التقريب في الإدغام بقوله : ألا ترى أنك في قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر . ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمازها من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك قططع ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقفة والفترة على الأول خلطته بالثاني ، فكان قربه منه ، وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه ، وإلحاقه بحكمه .

وذلك من قبل مشاكلة التهيؤ :

والمشاكلة كذلك واضحة جدا في الإدغام الكبير ؛ حين لا يكون الحرفان متماثلين كما في قال ربك ، وفي المهد صبيا ، ففي الاول : أدغمت اللام في الراء فصار الحرفان كراء مشددة ، وهذه مشاكلة التهيؤ .

وفي الثاني : أدغمت الدال في الصاد فصار الحرفان كصاد مشددة ، والذي يعني أن نبين ما بين الإدغام والإمالة من تقارب وصلة ، وهو أمر قد فطن له المتقدمون ، وسبقوا إلى بيانه وإيضاحه ، وحسن تقريره ، وقد عد ابن جني الإمالة نوعا من الإدغام ، وذلك أنه زاد في الإدغام نوعا سماه (الإدغام الأصغر) يقرب فيه أحد الحرفين من الآخر قربا مكا ، لا يصل إلى

(١) الخصائص لابن جني ج ١ ص ٥٣١ .

تماثل الحرفين ، واندماج أحدهما في الآخر ، قال : -

« وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف ، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك ، وهو ضروب ، فمن ذلك : -

(أ) الإمالة ، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت ، وذلك نحو عالم ، وكتاب ، وسعى ، وقضى ، واستقصى ، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الالف نحو الياء ؟ ، وكذلك سعى ، وقضى ، نحوت بالالف نحو الياء التي انقلبت عنها ، وعليه بقية الباب :

(ب) ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً ، او ضاداً ، او طاءً ، او ظاءً ، فتقلب لها تاؤه طاءً ، وذلك نحو اضطرب ، واضطرب ، واطرد ، واطظلم ، فهذا تقريب من غير إدغام ، فأما اطرء فمن الباب ايضاً ، ولكن إدغامه ورد ههنا اتفاقاً لا قصداً وذلك أن فاء طاءً ، فلما أبدلت تاؤه طاءً صادفت الفاء طاءً فوجب الإدغام لما اتفق حينئذ ، ولو لم يكن هناك طاءً لم يكن إدغام .

(ج) أن تقع فاء افتعل زاياء أو دالاً أو ذالاً فتقلب تاؤه لها دالاً كقولهم « ازدان ، وادعى ، وادكر » .

(د) أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فيقرب منه بقلبها صاداً ، وذلك كقولهم في سقت : صقت ، وفي السوق : الصوق ، وفي سبقت : صبقت ، وفي سملق وسويق : صملق وصويق ، وفي سالخ وساخط : صالغ صاخط ، وفي سقر : صقر ، وفي مسالخ : مصالخ .

(هـ) تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شخير ، وبخير ورغيف . قال ابن جني : وسمعت الشجري غير مرة يقول زئير الأسد . يريد الزئير وحكى ابو زيد عنهم الجنة لمن خاف وعبد الله .

(و) وقالوا مُتَتِن وهو الأصل ، ويليهِ مُتَتِن ، ويلي هذه مُتَتِن •

ومن ذلك أيضا قولهم (فعل : هل) مما عينه أو لامه حرف حلق نحو
سأل يسأل ، وقرأ يقرأ ، وسمر يسمر أو قرع يقرع ، وسجل يسجل ،
وسبح يسبح • وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس
حرف الحلق ؛ لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة •

(ز) ومن التقريب قولهم الحمد لله ، والحمد لله •

(ح) ومن التقريب قولهم في نحو مصدر: مزدرد ، وفي التصدير: التزدير ،
وعليه قول العرب في المثل : (لم يحرم من فزده) أصله فصد •

(ط) ونحو من ذلك قولهم مررت بمذعور وابن بور^(١) فهذا نحو من قيل
وغيض لفظا وإن اختلفا طريقا^(٢) •

ومن عرض ابن جني السابق في تقريب الصوت من الصوت تبين أن
ذلك التقريب قد يكون باصطحاب بعض صفات الحرف الأول حين النطق
بالثاني ، كما في اصطر ، واضطرب ، ومُتَتِن ، والحمد لله •

وتلك هي مشكلة الاصطحاب او المشكلة الطردية :

وقد يكون ذلك التقريب بتغليب المتأخر على المتقدم كما في سقت
وصقت ، وزئير الأسد ، ومُتَتِن ، والحمد لله وتلك هي مشكلة التهيؤ
او المشكلة العكسية •

ومشكلة الاصطحاب قد تشعر بشيء من ضعف النشاط النطقي فإن
الحرف حينما تم النطق به اصطحب المتكلم أثره ولم ينتقل عنه ، وفي ذلك
شيء من التريث والبطء •

(١) ينطق حرف اللين بعد العين والباء بصوت بين الباء الواو

(٢) انظر الخصائص لابن جني ج ١ ص ٥٣١ وما بعدها •

أما مشكلة التهيؤ ، فإنها تدل على الاستعداد، والعناية للتهيؤ بالنطق قبل أن يلابس المتكلم النطق بالحرف ، وهو عندنا نوع من النشاط الفكري والنطقي معا .

وسنرى في الأمثلة التي سنعرضها فيما يلي مدى ظهور نوعي المشاكلة في أبواب اللغة العربية المختلفة بعامة ، وفي باب الإمالة بوجه خاص ، متعرضين لما روى من هذين النوعين في كتب القراءات ؛ لنستطيع أن نحكم بعد ذلك أي نوعي المشاكلة أكثر ظهورا في العربية ، وأشد تفشيا وشيوعا في الكلام .

أُمَثَلَةٌ لِنَوْعِي الْمَشَاكِلِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

(اولا) الفواصل

قال الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري (رحمه الله) قرأ السبعة « ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، وقد كان النصب ممكنا مثله في « فيموتوا » من قوله تعالى : « ولا يقضى عليهم فيموتوا » ولكن عدل عنه لتناسب الفواصل (١) .

ومن أمثلة المشكلة في الفواصل قوله تعالى : « وتظنون بالله الظنونا » (٢) الألف التي بعد النون الأخيرة لتناسب الفواصل . ولهذا أخوات في فواصل الآيات كقوله عز وجل « قوارير (٣) ، وسلسيلا (٤) » . والمشكلة هنا مشكلة استصحاب ، إذ أن الألف الأخيرة في الظنونا صفة لفتحة النون (٥) وهي كذلك في قواريراء وسلسيلا صفة لفتحة الراء واللام .

(ثانيا) في القوافي

مثالها :

١ - قول الراجز :

قلت وقد خرت على الكلكال يا ناقتي ما جلت عن مجالي
أراد التهيؤ ليتناسب كلكال ومجالي .

٢ - وما أنشده الفراء :

لو أن عمرا همَّ أن يرقودا فانهض فشد المئزر المعقودا

(٢) سورة الاحزاب آية ١٠ .

(٤) سورة الانسان آية ١٨ .

(١) مفتى اللبيب ج ٢ ص ٩٦ .

(٣) سورة الانسان آية ١٥ .

(٥) لسان العرب ج ٢ ص ٣١٠ .

أراد أن يرقد وتلك مشاكلة التهيؤ ليتناسب يرقودا ومعقودا .

٣ - وأنشد أيضا :

الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى إخواننا صور
وأني حيثما يشئ الهوى بصرى من حيثما سلكوا أدنو فأنظور^(١)
أراد فأنظر وتلك من مشاكلة الاستصحاب، حيث شاكل المتأخر المتقدم .

(ثالثا) في الإتياع

١ - قال ابن يعيش في شرح المفصل في باب الإمالة :

والمشاكلة بين الألفاظ من مطلوبهم ، ألا ترى أنهم قالوا : -

« أخذه ما قدّم وما حدث » فضموا فيهما ، ولو انفرد لم يقولوا إلا
حدث مفتوحا ، أقول : وتلك مشاكلة الاستصحاب .

٢ - ومنه الحديث : « أرجعن مأزورات غير مأجورات » والأصل
موزورات ، فقبلوا الواو ألفا مع سكونها لتشاكل مأجورات، ولو انفرد لم
تقلب . وتلك مشاكلة التهيؤ .

وقالوا : هو يشوب ويروب أي يدافع مدافعة غير مبالغ فيها ومرة
يكسل فلا يدافع ألبته .

جاء في اللسان : ويروب أراد أن يقول يروب أي يجعله رائبا خائرا
لا شؤب فيه فأتبع يروب يشوب^(٢) لازدواج الكلام^(٣) . كما قالوا هو
يأتيه الغدايا والعشايا ، والغدايا ليس يجمع للغداة ، فجاء بها على وزن
العشايا^(٤) (لمشاكلة التهيؤ) .

(١) لسان العرب ج ٢٠ ص ٢١٠ وما بعدها .

(٢) المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٤ .

(٣) مشكلة الاستصحاب .

(٤) انظر مادة شوب في لسان العرب .

٣ الحمد لله « مشاكلة استصحاب » •

الحمد لله « مشاكلة تهيو » •

(رابعا) في الإعراب

قال ابن جني : قد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى أن أدخلوا بالإعراب

فقال بعضهم : « وقا اضرب الساقين إمك هابل » (١) •

ومنه قولهم : ا جحر ضب خرب وذلك من مشاكلة الاستصحاب •

(خامسا) في الإعلال

وتظهر مشاكلة الاستصحاب في :

١ - مطية أصلها مطيوة - قلبت الواو ياء فصارت مطية •

وكذلك سيد وميت وهين •

٢ - آمنت أصلها أأمنت - أبدلت الهمزة الثانية مدا من جنس حركة

الأولى ، وكذلك أومن وإيمان أصلها أؤمن ، ائمان •

٣ - صيام - قيام - انقياد - اعتياد - سياط الأصل صوام ، قوام ،

انقواد ، اعتواد ، سواط • قلبت الواو ياء مشاكلة للكسرة قبلها •

٤ - وكذلك القول في ديمة - ديم وقيمة ، وقيم ، وميزان ، وميقات •

٥ - وفي بويح وضورب قلبت الألف واوا مشاكلة للضمة قبلها •

٦ - وفي قال ومال الأصل قَوَل ومَيْل • قلبت الواو والياء ألفا

مشاكلة للفتحة قبلها •

٧ - وفي موقن وموسر : أصلها مئقن ومئسر ، قلبت الياء واوا

مشاكلة للضمة قبلها •

(١) الخصائص لابن جني ج ١ ص ٥٣٦ •

٨ - وكذلك القول في : طوبى ، وكوسى ، وخورى ، الأصل طيبى وكيسى ، وخيرى •

كما ظهرت كذلك مشكلة التهيؤ في :

١ - بيض جمع أبيض أصلها بَيْض •

٢ - وفي طى ، ولى ، ومقضى ، ومرمى ، إذ الأصل طَوَى ، وَلَوَى ، ومقضَوَى ومرمى ، إذ اجتمع في كل كلمة الواو والياء والاولى منهما ساكنة فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء •

٣ - وفي مقضى ، ومرمى ، عمل آخر وهو من قبيل مشكلة التهيؤ أيضا إذ كسرت الضاد والميم لمناسبة الياء •

٤ - وفي يدوم ويزيد الأصل يدْوم ، ويَزِيد ، فنقلت حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله ، وفي ذلك مشكلة التهيؤ •

٥ - ومن يقول طيبى أصلها طَيْبى كسرت الطاء لمشكلة التهيؤ للياء بعدها •

٦ - وفي مبيع الأصل مبيوع ، نقلت حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم التقى ساكنان فحذفت واو مفعول • وتحركت الياء بالكسرة لتشاكل الياء مشكلة تهيؤ •

(سادسا) في الإبدال

ظهرت فيه مشكلة استصحاب فيما يأتي :

إذا كانت فاء الافتعال (ص ، ض ، ط ، ظ) وجب إبدال تائه طاء • اضطرب أصلها اصتبر ، فاجتمع في هذه الكلمة صوتان مهموسان ، غير أن أحدهما مطبق ، والآخر مستقل ، فقلبت التاء الى نظيرها المطبق (١) •

ومثل ذلك يقال في اضطرب ، واطلع ، واظلم •

(١) الأصوات اللغوية ص ١١١ •

وإذا كانت فاء الافتعال (ذ او ز) أبدلت تاؤه دالا مهملة ، مثل
ازتجر ، فاجتمع في هذه الكلمة صوتان متجاوران : الأول منهما مجهور ،
والثاني مهموس فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور أيضا ،
ليجتمع صوتان مجهوران (١) .

وكذلك القول في ادعى واذكر .
هذا والقياس في الإدغام قلب الأول إلى الثاني لا العكس ، إلا إذا
دعا الحال إلى ذلك نحو واذكر .

ففي ادكر مشكلة التهيؤ ، وفي اذكر مشكلة الاصطحاب (٢) .
كما ظهرت مشكلة التهيؤ :

١ - في ادكر أصلها اذكر .

٢ - وإذا كانت فاء الافتعال واوا أو ياء أصلية أبدلت تاء ، وأدغمت
في تاء الافتعال ، وكذا ما تصرف منه .

اتعد - اتصل - اتسر أصلها او تعد ، او تصل ، يتسر .
أخذ المتقدم حكم المتأخر (مشكلة التهيؤ) .

(سابعا) في التقاء الساكنين

ظهرت مشكلة الاستصحاب في : -

١ - رُدَّه - لم يرده تخلص من التقاء الساكنين بالتحريك بالضم .

٢ - وكذلك في ميم جماعة الذكور المتصلة بالضمير المضموم نحو :

« كتب عليكم الصيام » « ولهم البشرى » ففي تحريك الميم بالضم
مشكلة للضمير المضموم قبلها ، وذلك استصحاب .

(١) الأصوات اللقوية ص ١٠٩ .

(٢) شذا العرف ص ١٣٦ .

٣ - ويجوز الضم والكسر على السواء في ميم الجماعة المتصلة بالضمير المكسور نحو بهم اليوم ، ففي حالة التحريك بالكسر تكون المشاكلة مشاكلة الاستصحاب .

وظهرت مشاكلة التهيؤ في :

١ - قالتُ اخرجُ تهيو .

٢ - قالتِ اغزري »

٣ - أنْ اقتلوا أنفسكم »

(ثامناً) في الإمالة

١٠ تظهر نوعي المشاكلة في الممال
مشاكلة الاستصحاب

وفي باب الإمالة تظهر مشاكلة الاستصحاب في الكلمات التي وقعت فيها إمالة لكسرة أو ياء قبل الالف مثل (وهذه أمثلة سيويه) .

عماد - كلاب - سربال - شمال - الاسوداد - درهمان -
رأيت قزحا يريد ان يضربها ويريد أن ينزعها - عندها - رأيت ذها -
معزانا - هما مسلمان .

خاف - طاب - هاب - صار .

كيال وبياع - السيال والضياع - شيان - عيلان - غيلان -
رأيت زيدا - بيني وبينها - يريدان يكيلها - فينا وعلينا - رأيت يدا -
رأيت يدها - رأيت عمادا - رأيت عيرا .

مشاكلة التهيؤ

وتظهر مشاكلة التهيؤ في باب الإمالة إذا كان سجب الإمالة متأخرا عن الألف ، وذلك في الأمثلة الآتية : -

عابد — عالم — ساجد — مفاتيح — عذاقر — هاييل •
مررت ببابه — أخذت من ماله — من أهل عاد — مررت بمجلاتك •
رمى — غزا — صفا — دعا — معزى — حبلى •
من حمارك — من عوارك — من المعار — من الدوار •
قارب — غارم — طارد — ناقة فارق — أينق مفاريق •
ابن قادر •

من الضرر — من البحر — من الكبر — من الصغر — من الفقر — من
المحاذر •

فقد أميل ما أميل في الكلمات السابقة مراعاة للكسرة بعد الممال ، أو
مشكلة للياء بعده ، وهي شبيهة بالكسرة ، ومشكلة الرء ، وهي كما يقول
سيبويه: تشبه الياء ، وقد تكون اللثغة بقلب الرء ياء •

ب- ظهور نوعي للمشاكل مع موانع الإمامة
مشاكل الاستصحاب

فاذا انتقلنا إلى موانع الإمامة ، وطبقنا مشكلة الاستصحاب عليها
وجدنا أن الإمامة منعت فيما وقع فيه قبل الألف حرف من حروف الاستعلاء
مثل :

قاعد ، وغائب ، وخامد ، وصاعد ، وطائف ، وضامن ، وظالم •
وفي ذلك مشكلة الاستصحاب ؛ ذلك لأن هذه الحروف مستعلية ،
إلى الحنك الأعلى ، فنطق بالألف مستعلية إلى الحنك الأعلى بتغليب هذه
الحروف عليها (١) •

(١) انظر الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٤ •

وكذلك قالوا: هذا راشد، وهذا فراش فلم يميلوا
(لمشكلة الاستصحاب)؛ لأنهم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحين، ولما
كانت الراء بمنزلة حرفين مفتوحين قويت على نصب الألفات وصارت بمنزلة
القاف .

مشكلة التهيؤ

فإذا طبقنا مشكلة التهيؤ في موانع الإمالة وجدنا أن الإمالة منعت
فيما وقع بعد موضع الإمالة - حرف من حروف الاستعلاء، وتلك أمثلة
سيويه التي منعت فيها الإمالة رعاية لمشكلة التهيؤ .

مناشيط، منافخ، معاليق، مقاريض، مواعيط، مبالغ .

مررت ببال قاسم . مررت ببال ملق . هذا حمار . رأيت حمارا . من
الشرق .

ورعاية العرب لحرف الاستعلاء المتأخر عن الألف في منع الإمالة
أكثر من رعايتهم لحرف الاستعلاء المتقدم عن الألف في منع الإمالة ذلك لأن
الإمالة في الحالة الأولى تكون بمثابة انحدار ثم تصعد، وهو أصعب من
التصعد بعد الانحدار .

وقد فطن أبو العباس المبرد إلى المشكلة في باب الإمالة - أسبابها
وموانعها - وذلك إذ يقول في كتابه المقتضب: معنى الإمالة أن تقرب
الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء فإذا كان الذي يشاكل الحرف غير ذلك
ملت بالحرف إليه فهذه الحروف - يريد حروف الاستعلاء - منفتحة
المخارج فلذلك وجب الفتح (١) .

(١) المقتضب ج ٣ القسم الأول ص ٣٩ .

وبعد

فبالأمل نرى أن الإمالة راجعة إلى التجانس الصوتي ، وما فيه من خفة ومشاكلة ، ذلك لأنه وإن كانت الألف تشبه الياء في اللين فيبينهما تباعد لاقتتاح الألف ، وانسفال الياء فقاربوا بينهما في الصوت ^(١) ، إذ أن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب منه أسفله وأدناه فتتافرا ، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء . فصار الصوت بين بين ، فاعتدل الأمر بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر ^(٢) .

وقد رأينا أن التجانس الصوتي الذي دعا إلى الإمالة هو الذي دعا أيضا إلى الإدغام .

قال سيويه ^(٣) :

« وإنما أمالوها أي الألف — للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا : صدر فجعلوها بين الزاي والصاد ، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة ؛ لأن الصاد قريبة من الدال فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال نحو قولك في مصدر : مزدر ، فقربوا الصاد من صوت الزاي ليتناسب الصوتان ولا يتنافرا ، وذلك أن الصاد مقاربة الدال في المخرج ، وبينهما مع ذلك تناف وتباين في الأحوال والكيفية ^(٤) .

« فالصاد مستعمل مطبق مهموس رخو فأشربوه صوت الزاي ليوافق الدال في الجهر والشدة ^(٥) » .

(١) شرح الجمل الكبيرة لابن الضائع .

(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٥ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٥ .

(٥) شرح الجمل الكبيرة لابن الضائع .

وربما كان السر في ميل اللغة العربية إلى الناحية الموسيقية وما فيها من التماس الخفة أنها نشأت لغة شفوية - لم تقيد بقيود الكتابة ، واكتفى فيها - أول الامر - بالسمع والنطق ، ومتى اقتصر أمر اللغة على السماع وعلى النطق وعلى الإثشاء ، فلا بد أن تعنى كل العناية بهذا الانسجام الصوتي الذي ظهر فيما ظهر في الإمالة على النحو الذي رأيناه من قبل .

ويختلف الحكم بقوة الإمالة أو بها ، وقوة الفتح أو ضعفه كذلك على حسب ما في الإمالة أو الفتح .
النطق ، فكلما كان التجانس أظهر كما يستدعيه من فتح أو إمالة أقوى ، ونعني بهذا أن الفتح والإمالة يدعو ما في الصوت من تجانس ، وما في النطق من سهولة .

ومن هنا أميلت الألف في كل من عالم وعماد ، لأن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر (١) .

ومن هنا أيضا لم تمل الألف في نحو « صاعد وقائم » إذا كان قبلها أو بعدها حرف من حروف الاستعلاء ، لأن هذه الحروف مستعلية إلى الحنك الأعلى (٢) : أي أن الصوت يستعلي عند النطق بها إلى أعلى الحنك (٣) ، وإذا خرجت الألف من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت الحروف مستعلية ، وكانت الألف تستعلي ، وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم (٤) .

وقد جاء في كتب النحاة قواعد عامة في قوة الإمالة أو ضعفها ترجع

-
- (١) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٥ .
(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٤ .
(٣) شرح المفصل ج ٩ ص ٦٤٠ .
(٤) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٤ .

إلى قوة ذلك التجانس أو ضعفه (١) :

(١) فكما كثرت الكسرات كان أدعى للإمالة لقوة سببها .

(ب) ومتى بعدت الكسرات عن الألف ضعفت ؛ لأن للقرب من التأثير ما ليس للبعد .

(ج) ولاجتماع أسباب الإمالة حكم ليس لافترادها :

١ - فالإمالة في حبلاب أقوى من شمال ؛ لأن الكسرتين أقوى من الكسرة الواحدة .

٢ - وعباد أقوى من شمال : لقرب الكسرة من الألف .

٣ - وشمال أقوى من أكلت عبا ؛ لقوة الحاجز بالحركة .

٤ - وأكلت عبا أقوى من الإمالة في (درهمان) ؛ لأن بين كسرة الدال من « درهمان » وبين الألف ثلاثة أحرف ، فلما كانت الكسرة أقرب إلى الألف فالإمالة له ألزم ، والنصب جائز .

(د) وكلما كثرت الكسرات والياءات كانت الإمالة أحسن من النصب .

١ - فديباح وديماس ، أقوى من شيان وعيلان .

٢ - الإمالة للياء الساكنة من نحو شيان وعيلان أقوى من الإمالة للياء المتحركة من نحو الحيوان والميلان ؛ لأن الساكنة أكثر لينا .

وجاء في التصريح : « الإمالة في شيان أقوى من جادت يداه فانخفاض الصوت بالساكنة أظهر منه في المتحركة لقربها من حيز المد » .

٣ - الإمالة للياءين نحو كيال وياع أقوى من نحو البيان وشوك السيال ؛ لأن الياءين بمنزلة علتين وسبيين .

(١) انظر الفصل ج ٩ ص ٥٦ .

(هـ) إمالة ما الياء فيه مجاورة للألف من نحو السيال والبيان أقوى من إمالة ما تباعدت عنه .

(و) الكسرة اللازمة أقوى من العارضة .
فهي في نحو عائد ، وسالم ، وعماد أقوى منها في مررت بيا به ، وأخذت من ماله .

وهنا يجدر بنا أن نناقش ابن يعيش في عبارته التي يقول فيها ^(١) :
« وقالوا عالم ، فأمالوا للكسرة بعدها كما أمالوا قبلها ، إلا أن الكسرة إذا كانت متقدمة على الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متأخرة ، ذلك أنها إذا كانت متقدمة كان في تقديمها تسفل بالكسرة ثم تصعد إلى الألف ، وإذا كانت الكسرة بعد الألف كان في ذلك تسفل بعد تصعد ، والانحدار من عال أسهل من الصعود بعد الانحدار » ^(٢) .

فإذا كان الانحدار من عال أسهل من الصعود بعد الانحدار كانت الإمالة في عالم أقوى منها في عماد ؛ لأن سهولة النطق في الأولى أبين وأظهر .

وإذا كنا نرى النحاة يقولون : « إن منع الإمالة بحروف الاستعلاء المتأخرة في نحو عاضد أقوى من المنع بالمتقدم عنها كما في ضامن ؛ لأن التصعد بعد التسفل أصعب عندهم من التسفل بعد التصعد » ^(٣) .

فمعنى هذا أن الإمالة فيما فيه تسفل بعد تصعد أقوى منها فيما فيه تصعد بعد تسفل :

وهذا الذي اتهمنا إليه يتفق مع سنة اللغة العربية في ظهور التأثير

(١) قد نقل هذه العبارة جرنيرت في كتابه Die Imala ص ٥١ ولم يفتن لما فيها من بعد عن التحرير والتدقيق .

(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٦ .

(٣) التصريح ج ٢ ص ٣٥٣ .

الرجعي فيها غالباً (١) أي أن الصوت الأول يتأثر بالصوت الثاني فيكون تأثير المتأخر من الحركات والحروف على المتقدم منها ، ففي عالم يكون التأثير للكسرة في اللام على الألف قبلها ، وفي عماد يكون التأثير في الألف (الفتحة الطويلة) التي تطلب من الفهم أعلاه على الكسرة في العين قبلها . وهذا يجعل الإمالة في الأولى (عالم) أقوى منها في الثانية (عماد) على عكس ما يقرر ابن يعيش .

والأمر كذلك في الفتح : ففي عاضد يكون التأثير لحرف الاستعلاء المتأخر ، على حين أنه في ظالم يكون التأثير للام المكسورة على حرف الاستعلاء ، وهذا يجعل الفتح في عاضد أقوى منه في ظالم (٢) ، ومن أجل ذلك جعلوا للمنفصل المتأخر من حروف الاستعلاء أثراً دون المتقدم المنفصل ، فلا يميلون بمال قاسم ، ويميلون في ضبط عالم (٣) .

وطبق هذه النظرية كذلك في الإدغام :

فقد قالوا « صبقت في سبقت ، وصقت في سقت ، وصويق في سويق » غلبوا المتأخر وهو القاف على المتقدم وهو السين ، فجعلت صاداً ، كما غلبوا السين في قسور ، وقست ، فلم يقولوا قَصُور ، وقِصت (٤) :

وقد لاحظ ذلك أبو علي الفارسي من قبل إذ يقول : رأينا الحركات إنما تلقى على الحروف التي تكون قبل الحروف التي تنقل منها ، ولا تنقل إلى ما بعد الحروف المنقولة منها الحركة : ألا ترى إلى بعث ، وقلت ،

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٩ .

(٢) وقد قال ابن يعيش : حرف الاستعلاء إذا كان قبل الألف كان أضعف في منع الإمالة مما إذا كان بعده ، ولذلك تميل نحو قادر وغارب ، ولا تميل نحو فاروق وسارق . انظر شرح المفصل ج ٩ ص ٦١ .

(٣) شرح الشافية ج ٣ ص ١٩ و ٢٠ .

(٤) شرح المفصل ج ٩ ص ٦٠ وانظر الكتاب ج ٢ ص ٢٦٥ .

وخفت ، وهبت ، وظلت ، حيث نقلت حركة العين فيها ؟

وكذلك يمد ويعف ويشم إنما ينقل إلى الحرف الذي قبل الحرف المنقولة منه الحركة (١) .

وإذن لا يسلم على المناقشة نص ابن يعيش الآتي : —

« الكسرة إذا كانت متقدمة على الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متأخرة » . بل العكس كما اتهمنا إليه هو الصحيح أي أن .
« الكسرة إذا كانت متأخرة عن الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متقدمة » .

وستتبع نوعي المشكلة عند القراء في أبواب مختلفة بعامة، وفي الإمالة بخاصة، لنستهدي بالقراء ومذاهبهم في أي ضربى المشكلة أقرب إلى طبيعة النطق العربي ، وسنن العرب الفصحاء .

وبعد

فلو اخترنا الأبواب التي أمالها القراء من ألفاظ القرآن الكريم لوجدنا أنها في الأعم الأغلب من قبيل مشكلة التهيؤ .

(أ) فإمالة الألف المنقلبة عن ياء في اسم أو فعل من قبيل مشكلة التهيؤ :
مثل هدى .

(ب) وإمالة ألف التأنيث التي على وزن فعلي من قبيل مشكلة التهيؤ .

(ج) وإمالة الضحى والقوى والعلى من قبيل مشكلة التهيؤ كذلك
ويصح أن تجعل (الربا) قبيل هذه المشكلة ، باعتبار أنه
يصح تشيئها بالياء .

(د) وإمالة كل ألف متطرفة بعدها راء متطرفة مجرورة من قبيل
مشكلة التهيؤ .

(١) الحجة ج ١ ص ٣٤٦ .

(هـ) ومذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء التأنيث من قبيل هذه المشكلة .

(و) والإمالة في (صاد النصارى ، وسين الكسالى ، وتاء اليتامى)
من هذا القبيل أيضا .

(ز) ولا تنطبق مشكلة التهيؤ على مذهب حمزة في الأفعال الجوف .
إلا إذا اعتبرنا أن من أسباب إمالة هذه الأفعال - ما عدا خاف -
أن ألفها يائية ، وإذن تكون الإمالة في تلك الأفعال من قبيل
مشكلة التهيؤ أيضا أو يصح أن تسمى مشكلة للمح الأصلى .

ويلحق بهذا ما سماه النحاة والقراء « الإمالة للإمالة » ، وقد رأينا في
فصل سبق أن إمالة ما يصير إلى ياء من قبيل التناسب - أو المشكلة - وهي
الأفعال التي تضمنها البيت .

وحرف تلاها ، مع طحاها ، وفي سجي وحرف دحاها وهي بالواو تبلا
وظاهر أن الإمالة في تلاها وفي سجي من قبيل مشكلة التهيؤ ؛ حيث
تقدمتا عن الكلمات التي أميلت من أجل الأصل اليائي (١) .

وأما طحاها ، ودحاها فقد سبقت كما أتبت بما أميل من أجل الأصل
اليائي ، فيصح فيهما أن تكون الإمالة فيهما من قبيل مشكلة الاستصحاب
أو التهيؤ . قال الداني :
وقد تحملوا للإتباع ما قد تركوه في غيره .

ألا ترى أنهم قالوا : هو يَحِبُّ ، فكسروا الياء من أجل كسرة الحاء ..
وقرأ عاصم في رواية أبي بكر أمَّن لا يَهْدِي . فكسروا الياء في
المضارع أتباعا لما بعدها مما كسروه لالتقاء الساكنين ولولا الإتباع لم
يكسروا الياء ؛ لأن من يقول منهم أنت تعلم بكسر التاء ، وهي لغة بني تميم ،
وأسد ، وقيس لا يقول هو يعلم بكسر الياء استثقالا للكسرة عليها ، فإذا

(١) الموضح ورقة ٢٧

كانوا قد أمالوا للإمالة ، وتحملوا للإتباع ما قد تركوه في غيره كما شرحناه
دل ذلك على صحة ما ذهب إليه الكسائي في إتباع ذوات الواو ما قبلها وما
بعدها من ذوات الياء (١) .

وقد قرأ القراء بالإمالة للإمالة في عدة كلم من ذلك : صاد النصارى ،
وتاء اليتامى ، وسين أسارى وكسالى ، وكاف سكارى : أمالها بعض القراء
لإمالة ما بعدها (٢) وتلك مشكلة التهيؤ .

كذلك أمالوا الألف الأولى من تراءى من أجل إمالة الألف الثانية
المنقلبة عن الياء . ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من
(إنا لله) لإمالة الألف من (لله) ولم يمل (وإنا إليه راجعون) لعدم ذلك
بعده (٣) . وذلك أيضا من قبيل مشكلة التهيؤ .

وهكذا نستطيع أن نحكم القراء في هذا الباب أيضا ، فنسترشد بهم في
أن مشكلة التهيؤ أكثر شيوعا على الألسنة من مشكلة الاصطحاب ، وقد رأينا
أن مذهب أبي عمرو في الإدغام ينتسب كله إلى مشكلة التهيؤ كذلك . ومما
يزيدنا يقينا بهذه النتيجة أن مشكلة التهيؤ كما قررنا ذلك من قبل - دالة
على نشاط فكري ونطقي معا ، وذلك شيء يتصل بما اتصف به العرب من
فصاحة وقوة بيان .

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٢) النشر لابن الجزري ج ٢ ص ٣٤ .

الفصل الرابع عشر

الأبواب التي وافق القراء النخاة في إمالتها

١ - أمال حمزة والكسائي وخلف كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل كالهدي ، والهوى ، والقتى ، والعمى ، والزنا ، وأتى ، وأبى ، وسعى ، ويخشى ، ويرضى ، وأخفى ، واشترى ، ومشوى ، وفاوى ، وأدنى ، وأزكى •

٢ - وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى ، وبشرى ، وقصوى ، وإحدى ، وذكرى ، وسيمى ، وموتى ، ومرضى ، والسلوى ، وألحقوا ، بذلك موسى ، وعيسى •

٣ - وكل واوى كسر أوله أو ضم : « الربا كيف وقع ، والضحى ، والقوى ، والعلی » •

٤ - أمال أبو عمرو والكسائي كل ألف متطرفة بعدها راء متطرفة مجرورة نحو الدار ، والنار ، والقهار ، والغفار •

٥ - وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضي في « زاد ، وشاء ، وجاء ، وخاب ، وران ، وخاف ، وزاغ ، وطاب ، وضاق ، وحاك » •

٦ - وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا يجمعها : (فجئت زينب لذود شمس) وفتحها بعد عشرة أحرف ، وهي :

أحرف (جاع وحروف الاستعلاء) التي هي « خص ضغط قظ » •

وأما الأحرف الباقية وهي « أكهر » فأميل إن كان قبل كل منها ياء ساكنة ، أو كسرة متصلة ، أو متفصل بساكن ميميل – وألحق بهاء التانيث هاء السكت على النحو الذي ذكر في موضعه •

٧ – بعض حروف الهجاء في فواتح السور •

هذه هي الأبواب التي أمالها القراء متفقيين فيها مع النحاة ، وسنرى أن القراء – أمالوا ما كان أكثر دوراناً على السنة أكثر القبائل شهرة •

الفصل الخامس عشر
الوقوف على الممال

الإمالة تجيء في الوقف كالوصل في نحو سعى وشبهه مما أميل ليدل على أن أصل الالف الياء ، وكذلك يمال نحو كلاهما ؛ لأن الإمالة لكسرة ظاهرة ، وكذلك الوقف بالإمالة إذا كانت الكسرة مقدرة في نحو خاف . وزاد ؛ لأن الكسرة منوية في الوقف كالوصل (١) .

وكل ما أميل في الوصل لعلته لعدم في الوقف ، أو قرىء بين بين نحو بمقدار ، بدينار (٢) ، ومن الناس ، برب الناس ، وشبهه مما تقع الراء والسين فيه طرفا فهو ممال أيضا ، وبين بين في الوقف لكون الوقف عارضا (٣) .

وهذا الذي سبق لا خلاف فيه بين النحاة والقراء ، أما الذي وقع فيه الخلاف فهو « الوقف على ما دخل التنوين فيه على الف أصلها الياء » نحو مفترى ، ومصلى ، وعزى ، وشبهه إذا كان المنون في موضع نصب ، أما إذا كان في موضع رفع كقوله تعالى « سحر مفترى » (٤) أو موضع خفض كقوله تعالى « عن مولى » (٥) فلا خلاف في أن الوقف يكون بالإمالة .

-
- (١) كتاب الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن أبي طالب ص ٩٦ .
 - (٢) أوردنا مذاهب القراء والاحتجاج لها في الوقف على ذلك الحرف وشبهه في حديثنا عن الإمالة من أجل الراء فليراجع .
 - (٣) التيسير لأبي عمرو الداني ص ٥٣ .
 - (٤) سورة القصص آية : ٣٦ .
 - (٥) سورة الجاثية آية : ٤١ .

ومبعث الخلاف في المنون إذا كان في موضع نصب هو « هل الألف
اللاحقة للأسماء المقصورة في الوقف بدل من التنوين ، أو هي بدل من لام
الكلمة ٢٠٠ ؟ » أو بعبارة أخرى « أي الألفين حذف ٠٠ آلف المبدلة من
التنوين ، أم الألف المبدلة من الياء ٠٠ » ؟

أما الكسائي ومن معه من الكوفيين فيقولون: « إن المحذوفة هي المبدلة
من التنوين ، وذلك لأنك لما وقفت عوضت من التنوين ألفا ، وقبلها ألف
أصلية ، عوض من الياء الأصلية ، فحذفت الثانية ، لالتقاء الساكنين ، وبقيت
الأولى وهي الأصلية ، وكان بقاء الأصل أولى من بقاء « الزائد » ، فأملت
في الوقف ؛ لأنك تقف على ألف أصلاها الياء (١) .

وقد قال قوم من النحويين منهم أبو علي الفارسي « إن الموقوف عليه
في هذا الألف التي هي عوض من التنوين ؛ لأن الألف الأصلية قد كان
أذهبها التنوين فلا رجوع لها مع وجود التنوين ، أو وجود ما هو عرض من
التنوين ، وأيضا فإن الحذف للساكنين إنما يحذف فيه الأول أبدا ، وأيضا
فإن التنوين دخل بمعنى دليل الانصراف ، ولا يحذف ما يدل على المعنى ،
فالوقف على الألف التي هي عوض من التنوين في حال النصب بلا إمالة فيه
على هذا القول (٢) .

هذه نظرة النحاة البصريين وذلك دليلهم ، وإليك نظرة القراء والنحاة
الكوفيين :

جاء في النشر : قال في جامع البيان : « وأوجه القولين ، وأولاهما
بالصحة قول من قال « إن المحذوفة هي المبدلة من التنوين لجهات ثلاث : -
(١) انعقاد اجماع السلف من الصحابة (رضي الله عنهم) على رسم ألفات
هذه الأسماء ياءات في كل المصاحف .

(١) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي ص ٩٦ .

(٢) الكشف ص ٩٦ .

(ب) ورود النص عند العرب، وأئمة القراءة بإمالة هذه الألفات في الوقف .
(ج) وقوف بعض العرب على المنصوب المنون نحو رأيت زيد ، وضربت عمرو بغير عوض من التنوين . حكى ذلك سماعا منهم الفراء والأخفش (١) .

وعلى هذا يوقف على المنون المنصوب في مثل مصلى في قوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى « (٢) بالإمالة أيضا .

فالخلاف نحوي لا تعلق للقراء به ، قال مكّي : « والذي قرأنا به هو الإمالة في الوقف على هذا كله ، على حكم الوقف على الألف الأصلية ، وحذف ألف التنوين ، والله أعلم . »

على أن نصوص النحاة تبين أنهم يميلون الألف إذا كانت مبدلة من التنوين في الوقف ، فهم يميلون رأيت عبدا ؛ تشبيها لألفها بألف نحو جلي حيث كانت أخيرا (٣) .

وقال سيوييه في الكتاب: واعلم أن الذين قالوا : « رأيت عبدا » الألف ألف نصب ، ويريد أن يضربها يقولون « هو منا وإنا إلى الله راجعون » وهم بنو تميم ، ويقولون أيضا قوم من قيس وأسد ممن ترتضى عربيته (٤) .

فإذا كانوا يميلون الألف من المبدلة من التنوين في الوقف فلا محل لخلانهم في ألف المنون المقصور .

(١) النشر الجزء الثاني ص ٧٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٥ .

(٣) شرح الشافعية للرضي ص ١٣ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٢ .

الفصل السادس عشر

مذاهب القراء في الإمامة ، وظهرها في كتب النجاة

اشتغل كثير من النحاة بالقراءات ، وتصدروا للإقراء ، كما اشتغل كثير من القراء بالنحو ، فكان الواحد منهم يجمع إلى علمه بعلم القراءات بصره بمسائل النحو ، فابن كثير المكي (١٢٠ هـ)^(١) أحد القراء السبعة المشهورين يقرأ عليه عيسى بن عمر (١٤٩ هـ)^(٢) ، والخليل بن احمد (١٦٥ هـ)^(٣) ، وكل واحد من هذين إمام راسخ ، وحجة ثبت في اللغة والنحو . وأبو جعفر الرواسي^(٤) ، وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩ هـ)^(٥) كل له قدم راسخة في العربية والقراءات ، وكان الكسائي - كما يقول ابن الانباري - أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب ، وأوحد الناس في القرآن . كذلك كان يحيى بن زياد القراء (١٠٧)^(٦) ، وثعلب (٢٩٢ هـ)^(٧) ، والأخفش الكبير (٢٩٢ هـ)^(٨) الذي كان شيخ الإقراء بدمشق ضابطاً ثقة

-
- (١) طبقات القراء ص ٤٤٣ .
 - (٢) نزهة الألباء ص ١٣ .
 - (٣) نزهة الألباء ص ٢٩ .
 - (٤) بغية الوعاة ص ٣٣ .
 - (٥) طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥ .
 - (٦) نزهة الألباء ص ٦٦ .
 - (٧) نزهة الألباء ص ١٥٧ .
 - (٨) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤٧ .

نحويا مقرئاً قال أبو علي الأصفهاني عنه : « صنف كتباً كثيرة في القراءات والعريّة » .

وابن مقسم (٣٥٥ هـ) ^(١) وابن خالويه (٣٧٠ هـ) ^(٢) وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ^(٣) وابن سنان أبو عمرو بن أبي جعفر الحيري النيسابوري (٣٧٨ هـ) ^(٤) .

وأبو ليلى الصيرفي (٤٢٧ هـ) ^(٥) ، ومحمد بن إبراهيم الجذامي الغرناطي ابن الحاج (٥٤٠ هـ) ^(٦) ، وابن حميد مكبر الانصاري المرسى البلسني (٥٨٧ هـ) ^(٧) .

وأبو عبد الله الفافقي الأندلسي البلسني (٦٠٨ هـ) ^(٨) ، وابن سعادة أبو عبد الله الشاطبي (٦١٤ هـ) ^(٩) ، وابن الحاجب (٦٤٦ هـ) ^(١٠) ، وابن مالك (٦٧٢ هـ) ^(١١) ، وابن عنان (٦٨٣ هـ) ^(١٢) .

وأبو عبد الله الطرسوني (٧٣٠ هـ) ^(١٣) ، وأبو حيان الأندلسي (٧٤٥) ^(١٤) الخ . ولو ذهبنا نستقصي لطال حبل الكلام ، ويكفي أن نعلم أن سيبويه شيخ النحاة قرأ على أبي عمرو بن العلاء ^(١٥) ، ولا يزال بعض

-
- (١) بغية الوعاة ص ٣٦ .
 - (٢) طبقات القراء ج ١ ص ٢٣٧ .
 - (٣) نزهة الالباء ص ٢٠٥ .
 - (٤) بغية الوعاة ص ٩ .
 - (٥) بغية الوعاة ص ٣٧ .
 - (٦) بغية الوعاة ص ٤ .
 - (٧) بغية الوعاة ص ٢٨ .
 - (٨) بغية الوعاة ص ٢٢ .
 - (٩) بغية الوعاة ص ١٢ .
 - (١٠) طبقات القراء ج ١ ص ٥٠٨ .
 - (١١) طبقات القراء ج ٢ ص ١٨ .
 - (١٢) بغية الوعاة ص ٥ .
 - (١٣) بغية الوعاة ص ١٨ .
 - (١٤) طبقات القراء ص ٢٨٥ ج ٢ .
 - (١٥) طبقات القراء ص ٢٨٨ ج ٢ .

العلماء في زماننا يجمعون إلى جانب تمكنهم في النحو - معرفتهم بالقراءات - وما ذلك إلا لأن الصلة بين النحو والقراءات متينة ، حتى عد ابن الجزري (٨٨٣ هـ) فيما يلزم المقرئ « أن يحصل جانباً من النحو والصرف بحيث أنه يوجه ما يقع له من القراءات ، وهذا من أهم ما يحتاج إليه » (١) .

وهذا السيوطي (٩١١ هـ) يذكر في مقدمة كتابه بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - أنه اعتمد على طبقات القراء لأبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ) ، وطبقات القراء للحافظ أبي عبدالله الذهبي (٧٤٨ هـ) ، وذيل طبقات القراء للعفيف المطري ، فجمع كل ما تضمنته هذه الكتب من ترجمة نحوى (٢) . وإذا كانت هذه صلة ما بين النحاة والقراء ، فهل نجد صدى لها من اهتمام المؤلفين النحاة في كتبهم بمذاهب القراء ؟

إننا نجد صورة ضئيلة غير واضحة المعالم في كتاب سيبويه (١٨٣ هـ) ، فغاية ما يظفر به الباحث في كتاب سيبويه من هذا الباب قوله : « وقرأها بعضهم خاف » (٣) .

وقوله : « إذا كان من كلامهم هي المنابر كان اللازم لهذا الإمالة ، إذا كانت الراء بعد الألف مكسورة ، وقال : « كانت قوارير قوارير من فضة » (٤) .

فإذا انتقلنا إلى القرن الثالث الهجري ، وبحشنا في المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) . وجدنا أن هذه الصورة لا تزال غير واضحة المعالم ، فالمبرد لا يورد في باب الإمالة مما يتعلق بمذاهب القراء إلا قوله « وقد قرأ القراء » ذلك لمن خاف مقامي » (٥) .

(١) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٤ .

(٢) بغية الوعاة ص ٣ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٥) المقتضب للمبرد ج ٣ القسم اول ص ٣٦ .

ولم يتعرض أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠ هـ) في كتابه الجمل لمذاهب القراء في باب الإمالة ، وظلت مذاهب القراء بعيدة عن كتب النحاة على هذا النحو حتى الزمخشري من نحاة القرن السادس الهجري (٥٣٨ هـ) فيضيف إلى ما ذكر سيويه والمبرد في هذا الباب قوله في الفصل : —

(أ) وإنما أميلت العلى ؛ لقولهم العليا ^(١) .

(ب) وقرئ « كانت قوارير » ^(٢) .

(ج) وأما قولهم « الربا » فلأجل الراء ^(٣) .

(د) وقد أميل (والشمس وضحاها) وهي من الواو لتساكن جلاها ويفشاها ^(٤) .

* * *

ولم يتحدث الزمخشري (٥٣٨ هـ) في الفصل ، وبالتالي ابن يعيش (٦٤٣ هـ) في شرحه للمفصل عن إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث وهي مذهب الكسائي ، مع أنه تحدث عن إمالة الفتحة في قولهم « من الضرر ، ومن الكبر ومن الصغر » ، مع أن هذا الباب لم يمل عند أحد من القراء . وهذا دليل عندنا على أن التأثير حتى عصر الزمخشري لم يكن قد ظهر ظهورا واضحا في كتب المؤلفين النحاة .

فالأنباري من علماء القرن السادس (٥٧٧ هـ) في كتابه أسرار العربية لم يتعرض للأحرف الممالة في القرآن الكريم أو المفتوحة إلا في تعليقه لعدم الإمالة في قوله تعالى « دار القرار » ^(٥) .

ويظهر أن ابن يعيش (٦٤٣ هـ) كان مقيدا بالمفصل للزمخشري ، وإن

(١) الفصل ج ٩ ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٦١ .

(٣) نفس المصدر ج ٩ ص ٦٣ .

(٤) نفس المصدر ج ٩ ص ٦٤ .

(٥) اسرار العربية ص ١٦٢ .

كان تأثيره بمذاهب القراء يبدو واضحا في حديثه عن درجات الإمامة ،
وتعرضه لمذهب عاصم وحمزة في إفراط الأول في الفتح ، وإفراط الآخر في
الكسر (١) وفي قوله في شرح المفصل : ومن الممال قوله تعالى : « وانظر
إلى حمارك » (٢) .

والحق أن ظهور مذاهب القراء في كتب النحاة يبدو واضحا منذ القرن
السابع الهجري ، ولولا أن ابن يعيش كان مقيدا بالزمخشري لظهر لنا هذا
التأثير أشد وضوحا مما هو عليه الآن في شرح المفصل .

خذ مثلا ابن الحاجب (٦٤٤هـ) في الشافية ، والرضي (٦٨٨ هـ)
شارحها ، فإننا نرى ابن الحاجب يتحدث عن الإمامة للإمامة في الفواصل ،
نحو « والضحي » (٣) كذلك تكلم عن مذهب الكسائي (وإن لم يصرح
باسمه) في إمامة ما قبل هاء التأنيث في الوقف في شيء من تفصيل قريب
من مذاهب القراء ، فذكر ملخصا لها إذ يقول : « وقد يمال ما قبل هاء
التأنيث في الوقف ، وتحسن في نحو رحمة ، وتقبح في الراء نحو ككرة ،
وتتوسط في الاستعلاء نحو حقة » (٤) .

ويأتي الرضي (٦٨٨ هـ) شارح الشافية فيتناول مذهب الكسائي في
إمامة ما قبل هاء التأنيث — بإفاضة لا تقل عن تناول القراء لهذه المسألة
وأفاضتهم فيها ؛ فيصرح باسم الكسائي ، ومذهبه ، وما روى عنه ، وما
اختاره له أهل الأداء (٥) .

ثم نراه يتحدث عن الإمامة في نحو : « القوى ، والعلی ، والضحي » في
القرآن ؛ فيذكر مذهب القراء في إمامة هذه الكلمات حيث يقول :

-
- (١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .
 - (٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٦١ .
 - (٣) شافية ابن الحاجب ج ٣ ص ١٣ .
 - (٤) شافية ابن الحاجب ج ٣ ص ٣٤ .
 - (٥) شرح الشافية ج ٣ ص ٢٥ .

وأما نحو : « القوى ، والعلی ، والضحي » - في القرآن - فلمنا جاز
إمالتها لكونها رءوس الآي ، فتناسب سائر الكلم التي هو رءوس الآي ،
وفيها سبب الإمالة (١) .

والی جانب ذلك يذكر مذهب النحاة في أن هذه الكلمات تشي بالياء
عند بعض العرب .

ويتحدث ابن الضائع (٥٦٨٠) في شرح الجمل الكبيرة للزجاجي عن
الإمالة للإمالة ، فيتعرض للقراء والقراءات ، وأن ليس كل ما يجوز في كلام
العرب يقرأ به ، وأن القراءة سنة متبعة لا تجوز إلا بالرواية ، وذلك حيث
يقول :

« وشبيه بهذا أي بالإمالة - إمالتهم رءوس الآي ، يميلون في ذلك
ما ليس فيه موجب ؛ لأن فيها ماله موجب - نحو والضحي ، والليل اذا
سجا ؛ لأن ما بعده يمال وفيه موجب ، ففي قوله تعالى : وما قلّی موجب
مرعي عند القراء ؛ لأنهم لا يميلون الألف المنقلبة عن الواو في الأفعال نحو
غزا ، وإن كان فيها موجب ، غير ان القراء لم يميلوها ؛ لأن الألف لم ترد
الإمالة فيها ، وليس كل ما يجوز في كلام العرب يقرأ به ؛ لأن القراءة سنة
متبعة لا تجوز إلا بالرواية ، فلذلك نقضي بأن إمالة الضحي ، وسجى
لإمالة قلّی ، ولولا ذلك لقضينا بأن إمالة الضحي لسجى . . . » .

وهكذا نجد مذاهب القراء بادية الملامح والقسمات في كتب النحاة
منذ القرن السابع الهجري ، وتبلغ هذه الظاهرة مداها عند أبي حيان من نحاة
القرن الثامن (٧٤٥ هـ) في ارتشاف الضرب ، حيث تظهر مذاهب القراء في
باب الإمالة على النحو الآتي :

(١) إن كان الإدغام من كلمتين نحو قراءة أبي عمرو : الابرار ربنا ،

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ١٢ وما بعدها .

والنهار لآيات ، فقال النحاة من أهل البصرة : لا تمال أصلا ، وقال الأكثرون :
تمال ، وهو مذهب ثعلب ، وهو الصحيح (١) .

(٢) ومع كون الياء من أقوى أسباب الإمالة لم يأخذ بها القراء فيما
علمنا إلا في قراءة ورش الخيرات ، وحيران ، وإلا في قراءة قتيبة المال (٢) .

(٣) وفي حديثه عن الإمالة في الأفعال الجوف مثل ب « طاب ،
وجاء ، وشاء » (٣) . ونرى أن تمثيله بجاء ، وشاء ، جريا منه وراء القراء
فالإمالة في هذين الفعلين رواهما ابن ذكوان .

(٤) إمالة ما قبل هاء السكوت في نحو كناية جائزة عند ثعلب ، وابن
الأباري ، وقد قرأ به أبو مزاحم الخاقاني في قراءة الكسائي (٤) .

(٥) وقال : رويت الإمالة في الناس مطلقا عن أبي عمرو والكسائي (٥) .

(٦) إمالة تاء اليتامى ، وسين أسارى ، وكسالى ، وكاف سكارى ،
وصاد النصارى لإمالة ما بعدها ، وقرأ بذلك بعض القراء ... وأمالوا
والضحي لإمالة وما قل (٦) .

(٧) وأمال حمزة والكسائي « حتى » إمالة لطيفة (٧) .

وعلى النحو الآنف الذكر كان التقارض بين النحاة والقراء في أحكام
الإمالة ينرى ذلك في كتاب التوضيح لابن هشام (٧٦١ هـ) ، وفي كتاب جمع
الجوامع وشرحه الهمع للسيوطي (٩١١ هـ) . وقد رأينا قبل كيف جرى
القراء وراء النحاة في كثير من تدوينهم أحكام الإمالة . منذ ذلك
التاريخ .

(١) الارتشاف ص ٢٠٦ .

(٢) ارتشاف الضرب ص ٢٠٨ .

(٣) الارتشاف ص ٢٠٩ .

(٤) الارتشاف ص ٢١٠ .

(٥) الارتشاف ص ٢١١ .

(٦) الارتشاف ص ٢١١ .

(٧) الارتشاف ص ٢١١ .

الفصل السابع عشر

علامات الإمامة السجدة

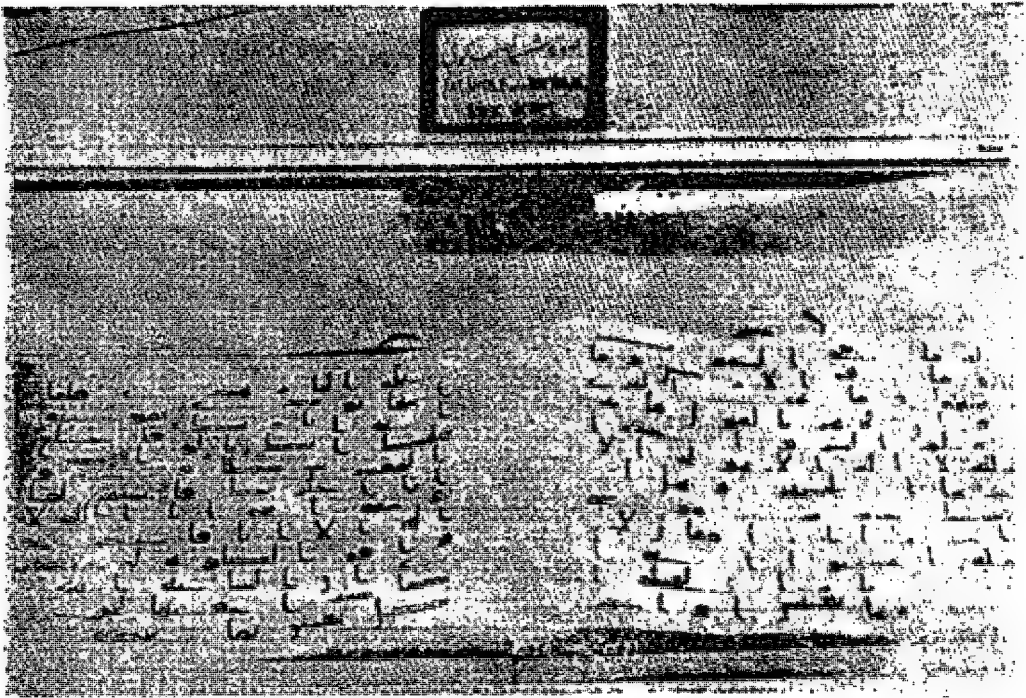
أورد كاتب مادة إمالة في دائرة المعارف الاسلامية ما يأتي :
وقام جدال كبير حول ما إذا كانت الإمالة ترسم في الخط العربي بياء
فسي آخر الكلمة ، ولكن لا يمكن القطع في ذلك برأي ، وإن كان
بروكلمان في كتابه Grammatik, Grundriss قال إنها كانت ترسم كذلك ،
ولا توجد في المخطوطات علامة خاصة بها ، أما في الكتب المطبوعة فيدل
عليها عادة بألف تحت الحرف الممال (١) .

وإن كان الجدال قد قام حول رسم الإمالة بياء في آخر الكلمة ، فربما
كان مبعث هذا الجدال أن بين الإمالة والخط توافقا كبيرا أساسه أن كلا
منهما يرجع فيه إلى الياء في كثير من الكلمات الممالاة .

وقوله : « ولا توجد في المخطوطات علامة خاصة بها » صحيح إن أريد
بالمخطوطات « المخطوطات القديمة » فالخط الكوفي الذي كتبت به
المصاحف في القرن الأول الهجري خال من النقط ، والشكل ، وكان من
الطبيعي أن يخلو أيضا من هذه العلامات التي تشير إلى الإمالة ، إذ كانت
تلك تميز اختلافا أدق في النطق من الحركات الأصلية (٢) .

(١) مادة « إمالة » دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) تنظر الصحيفة المصورة من المصحف الكوفي من سورة طه ص ٣٢٦ .



عرفنا قبل بهذه الصورة الشمسية للمصحف الكوفي . ونعرض هاتين
الصفحتين منه من سورة طه من قوله تعالى : « له ما في السموات وما في
الارض وما بينهما وما تحت الثرى » إلى قوله تعالى : « كل نفس بما تسعى » .
للتدليل على أن الخط الكوفي في ذلك العهد كان خاليا من النقط والشكل
وبالأولى كان خاليا من علامات الإمالة الخطية .

في القرن الثاني (١٨٢ هـ)

وقد جاء في الكتاب لسيبويه : وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول :
« كيال كما ترى فيميل ، والظاهر من قوله كما ترى : أن سيبويه أراد
أن يسجل الإمالة في كيال ونحوه كتابة ، ولكن لا نجد أثرا لذلك التسجيل
الكتابي في الكتاب لسيبويه (١) .

(١) وبعد القرن الثاني كانت علامة الإمالة النقطة الحمراء تحت حرف يتبعه
الألف التي هي مكان الإمالة ونجد هذه العلامة في النسخ المتأخرة .
(انظر الصورة الفوتوغرافية ص ٣٧٣ ، ٣٧٥) وقد كتبت في القرن
الثاني عشر سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) (٢) .

والصورة (ص ٣٧٧ ، ٣٧٩) وقد كتبت بخط مغربي كذلك - في
القرن الثالث عشر الهجري (٣) ، وعلامات الإمالة في هذه النسخة على
مذهب ورش ، إذ يفتح رءوس الآي المتصلة بضمير ، وهو مذهب
الحسن بن غلبون (٤) .

ويلاحظ أن الفتحة فوق الحرف الممال متروكة (٥) .

(ب) وقال Noldeka : كثيرا ما كانت حركة الكسرة مستعملة كعلامة
الإمالة « اتى نصارى ، جاء ، هديكم ، كافرين » .

وقد رأينا هذه العلامة في كتاب المقتضب للمبرد ، في نسخة
مكتوبة في القرن الرابع الهجري (٣٤٧ هـ) (٦) إذ جاء في ذلك
الكتاب من كلام المبرد ، وبخط الكاتب « تقول هذا ناقد يعني بالفتح

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) ٢٥ مصاحف فهرس دار الكتب .

(٣) مصاحف فهرس دار الكتب ٣٨٨ - ١ .

(٤) ارشاد المرید الى مقصود القصید على هامش ابراز المعاني ص ١٦٥ .

(٥) Die Imala ص ٤٤ .

(٦) فهرس دار الكتب .

ولم يجزِ نِقاد من أجل القاف (١) « وكانت هذه الحركة غالبا مكتوبة بلون آخر .

(ج) وفي بعض النصوص وجدت علامة الإمالة كما يلي :
() إشارة للإمالة المحضة ، و () (٢) إشارة للإمالة المتوسطة (بين بين) ، والغالب ان ذلك كان من عمل القراء ، لأنهم كما ذكرنا هم الذين يهتمون بدرجات الإمالة (٣) .

(د) وفي مخطوطة أخرى نجد علامة الإمالة هكذا ...
(هـ) وقد وجد في المفصل رمز () تحت الحرف الممال كعلامة للإمالة كمثل عالم .

وقد ذكر « جرنيرت » أن علامة الإمالة في رءوس الآي وفي فواتح السور هكذا () فوق الحرف كمثل طه وكهيعص (٤) .

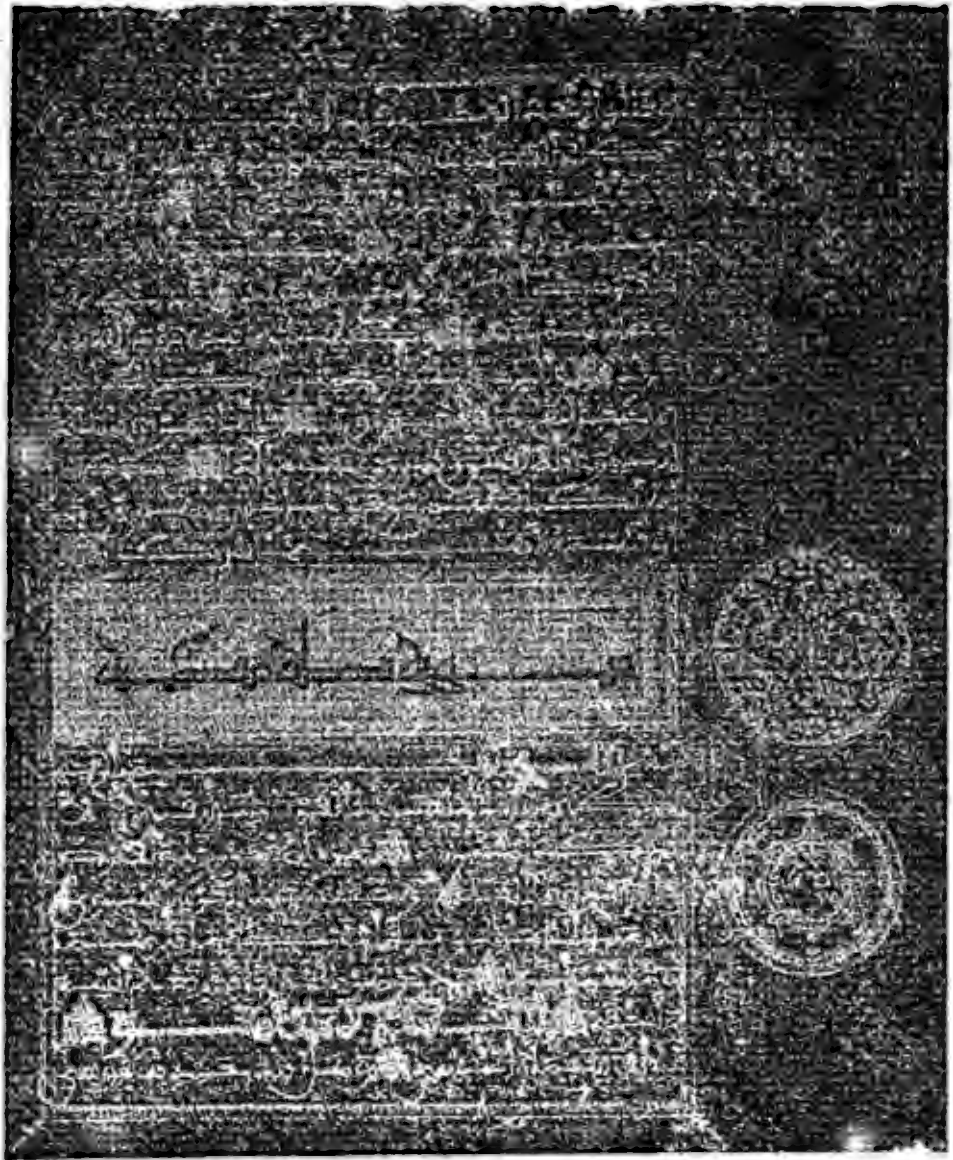
والواقع أن هذه العلامة تدل على الألف المتروكة في المصاحف العثمانية ، مع وجوب النطق بها (٥) .

فتراها على الكلمات الآتية : على (٦) وإلى فرعون (٧) يموسى (٨) .
وذلك الكتب (٩) .

(و) وفي المصحف المصري (١٣٣٧ هـ) نجد النقطة الخالية الوسط المعينة الشكل تحت الراء في قوله تعالى « باسم الله مجريها » تدل على الإمالة .

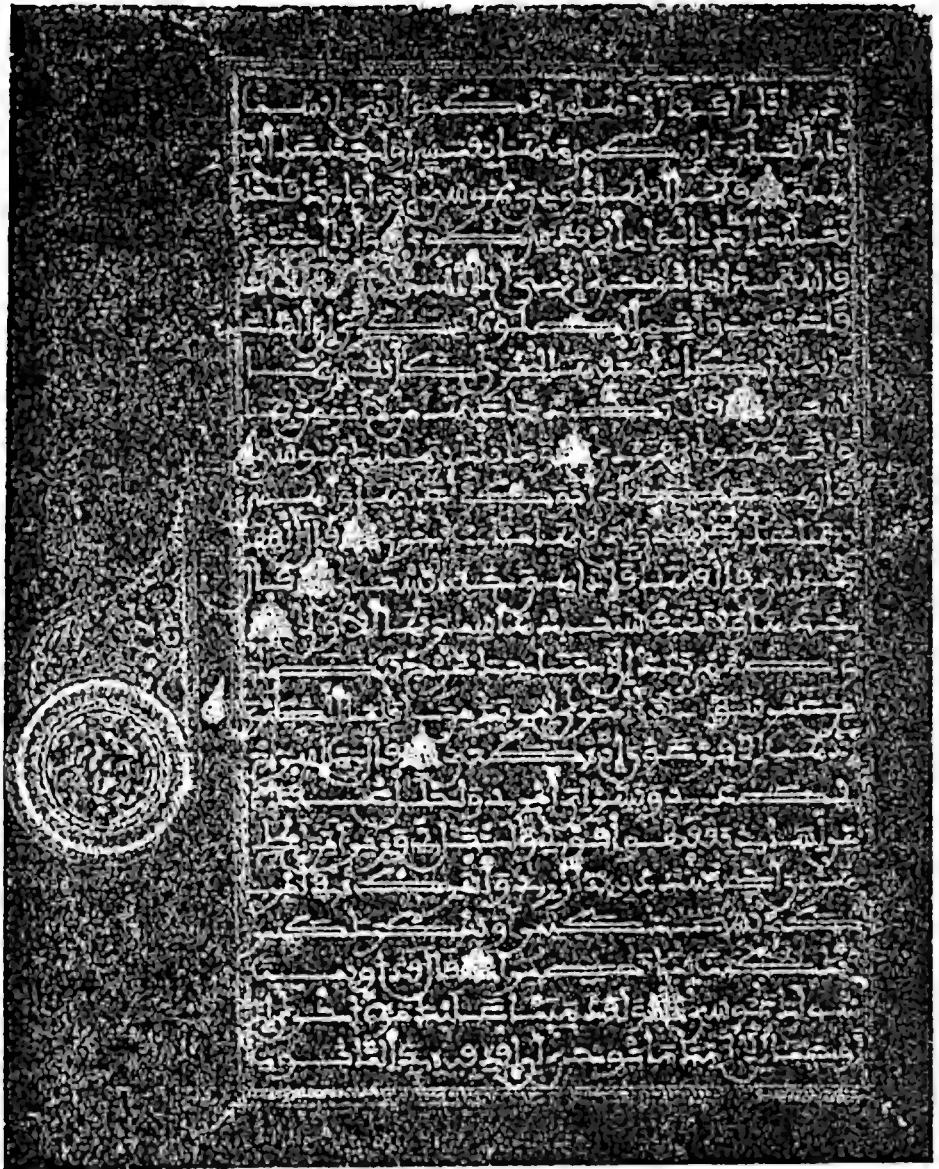
قالوا « وكان النقاط يضعونها دائرة حمراء فلما تعمز ذلك في المطابع عدل إلى الشكل المعين » .

-
- (١) المقتضب للمبرد ج ٣ ص ٤٠ . (٦) سورة الشعراء آية ١٠٩ .
(٢) Die Imala ص ٤٤ . (٧) سورة طه آية ٢٢ .
(٣) انظر الفصل الثاني . (٨) آية ٤٠ .
(٤) Die Imala ص ٤٤ . (٩) سورة البقرة آية ٢ .
(٥) انظر خاتمة المصحف المصري (١٢٣٧ هـ) .

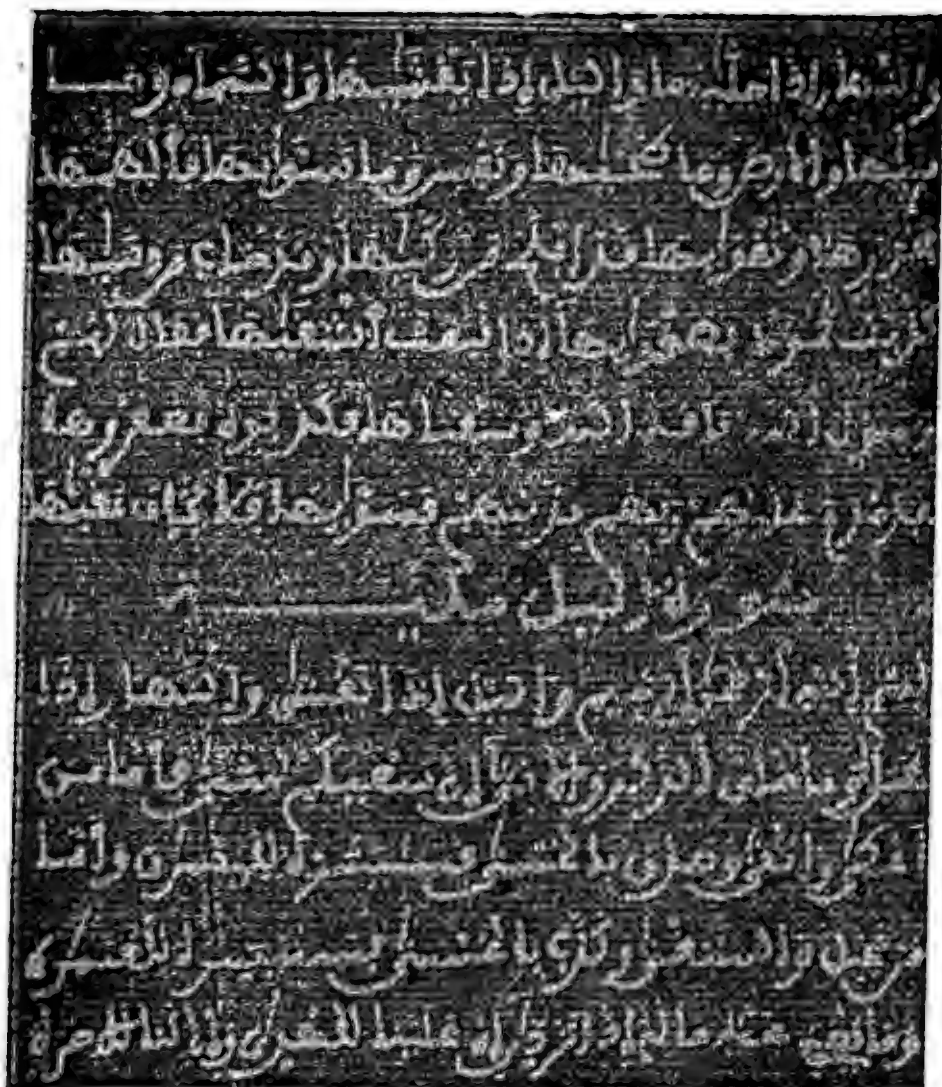


صورة شمسية من مصحف مكتوب بقلم مغربي سنة ١١٤٢هـ «١٧٢٩م»
يرسم الشريف علي نجل أمير المؤمنين وخليفة السلطان محمد بن عبدالله بن
السلطان اسماعيل .

٢٥ مصاحف دار الكتب
وفي هذا المصحف علامة الإمالة الخطية نقطة حمراء تحت الحرف الممال
على اليمين قليلا ويلحظ أن فتحة الحرف الممال متروكة .
(انظر كذلك صورة أخرى من هذا المصحف في الصفحة التالية)



صورة شمسية من مصحف شريف مخطوط بقلم مغربي ومضبوط
بالشكل ، وقد كتب هذا المصحف في القرن الثالث عشر الهجري . «١٣٨٨-
مصاحف - معرض المخطوطات
بدار الكتب المصرية



صورة شمسية من مصحف مكتوب بخط مغربي في القرن الثالث عشر الهجري
 وعلامة الإمامة نقطة حمراء تحت الحرف المعال على اليمين قليلا كما
 يلحظ أن فتحة ذلك الحرف دائما متروكة . والإمالة هنا على مذهب ورش ؛
 إذ يفتح رءوس الأي المتصلة بضمير

انظر هذه الصفحة والصفحة التالية

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

(ز) وقد رأينا في بعض المصاحف كلمة (مل) مكتوبة بالمداد الأحمر علامة الإمالة فوق الحرف الممال .

والدكتور خليل عساكر في تقرير له إلى لجنة اللهجات بالمجمع -
موضوعه « طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف
عربية » يجعل للإمالة علامات ابتكرها ^(١) . فالعلامة (—) = e
توضع تحت الحرف للفتحة المالة .

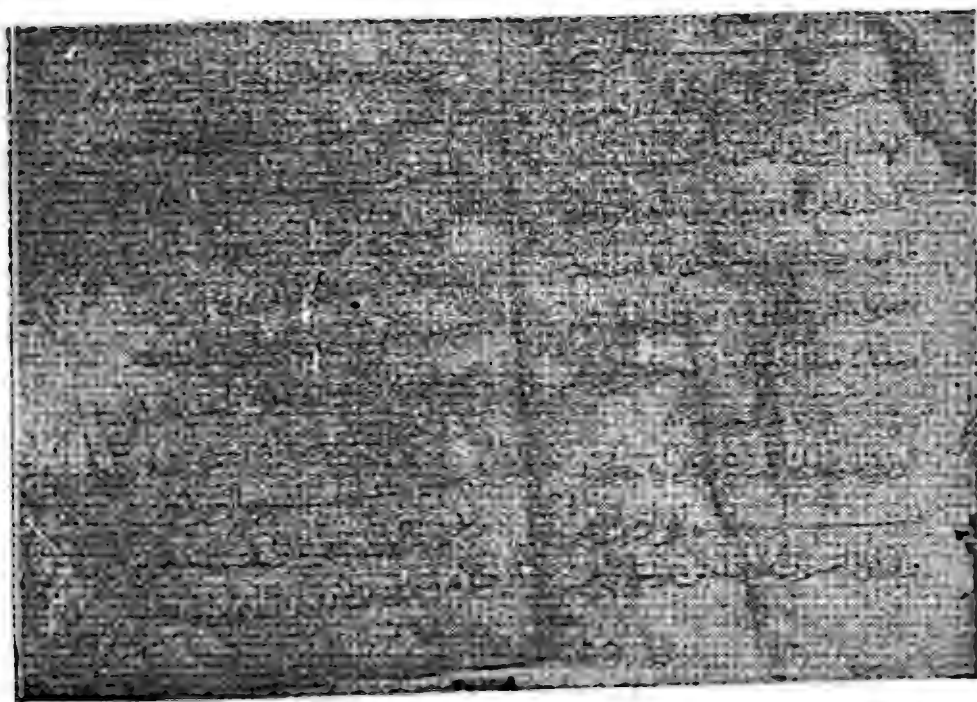
والعلامة (و) = ù الضمة المكسورة في مثل كلمة بوع في إحدى
الروايات التي ورد في :

ليت شابا بوع فاشتريت إلى علامات أخرى وردت في
التقرير المذكور .

والذي دفع صاحب التقرير إلى ابتكار هذه العلامات رغبته في تسجيل
نصوص اللهجات تسجيلا كتابيا يعتمد على الحروف والحركات - وإن كان
ذلك لا يستطيع أن يعطينا صورة صادقة صحيحة من أية لهجة كما يقول
الدكتور عساكر نفسه ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد - كما يقول الدكتور
عساكر أيضا - أن نلجأ إلى الآلات الحديثة لتسجيل الأصوات مثل
الدكتافون الذي يسجل الصوت ثم يحكيه ^(٢) .

(١) التقرير المذكور ص ٣ .

(٢) التقرير ص ٦ .



صورة شمسية لمصحف لم يؤرخ، ويلحظ علامة الإمالة فيه كلمة «مل» فوق
الحرف الممال، وأن الفتحة موضوعة على الحرف الممال . محفوظ بمكتبة
الأستاذ الشيخ طهيش الحرر بدار الكتب المصرية « القسم الادبي » .

الفصل الثامن عشر
مدى شُيُوع الإمامالة في الأزمينة القديمة

نقل العرب لغتهم إلى الأقطار المفتوحة ، واختلطت القبائل العربية المختلفة بالأجناس البشرية شرقا وغربا ، وانتقلت لهجات هذه القبائل إلى سكان البلاد الأصليين ، ومن بين هذه اللهجات لهجة الإمالة .

ظهرت لهجة الإمالة في الهند ، وسوريا ، ولبنان . ومالطة . وفي افريقية العربية في بلاد المغرب ، واسبانيا ، وجزيرة صقلية (١) .

وللأسماء والكلمات العربية التي حفظ رسمها في المصادر الأجنبية شأن كبير في بيان مدى ذبوع الإمالة في الأزمنة القديمة (٢) .

فالعرب المغاربة ينطقون كثيرا من الألفات ياءات من ذلك ركاب ، لكن . وباب ، ولسان ، فينطقونها ركب ، وليكن ، ويب ، ولسين (٣) .

وتظهر الإمالة في بعض الكلمات التي اقترضها الفرس من العرب مثل : ركب بدلا من (ركاب) ، وعتيب بدلا من (عتاب) ، كما تظهر في الكلمات الفارسية الأصلية آييد بدلا من آباد ، وآزير بدلا من آزار (٤) ، ولا تزال

(١) Die Imala P. 8.

(٢) مادة إمالة « دائرة المعارف الإسلامية » .

(٣) ص ١٠ ج ١ من Arabic Grammar تأليف W. wriiht

(٤) Die Imala p. 9.

الكلمات العربية لسان ، وسلاح ، ولكن ، تنطق بإمالة في اللغة الفارسية
« لسين ، سليح ، وليكن ^(١) » .

وباجه ، وجبان ، وقنالش ، ولبرالة تكتب في اللغة الاسبانية هكذا ^(٢)
Beja, gaen, Caniles, Lebrilla,

وفي الشهادات العربية اليونانية في جزيرة صقلية نجد : —

رحمين، سليم ، وشديد ، وعبد الكيفي ، وعيسى ، وهليل ، وعبد
الرحمين ، وابن ابي الحيرت

بدلا من رحمان بن سالم ، وشداد ، وعبد الكافي ، وعيسى ، وهلال،
وعبد الرحمن ، وابن ابي الحارث ^(٣) .

الإمالة في السنين المتكلمين الآن في مصر والشوآن

نود أن نبدأ أولا بالتنبيه على ان الغرض من هذا الفصل ليس إلا مجرد
عرض لظاهرة الإمالة في لهجات المتكلمين الآن ، لا على وجه من التحديد
الدقيق ؛ بل على وجه التمثيل في صورة ربما كانت أقرب إلى الإجمال منها
إلى التفصيل . ذلك لأن سبيل التحديد الدقيق لا تكون على هذه الصورة
التي أجرى بها هذا الاستفتاء ، والتي سنعرض لها فيما بعد بالبيان ، وإنما
تكون — فيما أعرف — في الارتحال إلى البلاد المختلفة التي يراد فحص
لهجاتها مدينة مدينة ، وقرية قرية ، بل إلى ما هو أصغر من القرى فيما يعرف
عندنا في مصر (بالعزب والكفور) . نعم نرتحل إلى هذه البلاد ونقيم في
كل بلد ما شاء الله والبحث العلمي الواعي أن نقيم : نتحدث إلى أهله ،
ونستمع إليهم ، ونسجل لهم على آلات خاصة (كالدكافون) لهجاتهم
وطريقتهم الملتزمة منهم في أدائهم ، ونجمع مادة البحث مما نسجل على هذه

(١) ينظر القاموس الفارسي في هذه المواد .

(٢) كتاب الإمالة لجرنيرت ص ٩ .

(٣) Die Imala p. 10

الآلات ، ومما تلحظه الأذن فيما يجري فبي أفواههم ، وعلى حناجرهم وألسنتهم من أصوات ، ثم نعود من هذه الدورة الواسعة بما جمعنا من مادة مسجلة كما يعود الكيميائي الى معمله ، يفحص ويبحث ، ويتتبع ، ويستقرىء ، ويعمل ، ويحلل ، ويفسر ، ثم يستنتج أو يحكم . وعند ذلك فقط تكون النتيجة أقرب إلى الصحة ، وأدنى إلى الصواب .

ذلك سبيل التحقيق الدقيق — أو قل سبيل قريب من التحديد الدقيق — في هذه المسألة التي أتعرض لها في هذا الفصل بالبيان .

وليس معنى ذلك أنا لم نلتزم الدقة فيما قمنا به من استفتاء ، بل على العكس قد تحريناها فيما سلكناه من وسيلة بالقدر الذي تمكنا منه ، وعلى النحو الذي يصل بنا في اطمئنان إلى الغرض الذي هدفنا إليه . وهو أن نبين ان ظاهرة الإمالة كما وصفت لنا في كتب القدماء من علماء العربية لا تزال تسمع حتى الآن في بعض لهجاتنا الحديثة .

وهنا يحسن أن نذكر أن الكلمات التي جرى عليها الاستفتاء قد اختيرت مما يشيع في اللهجات الدارجة . وإليك نموذجاً لها :

المركز

البلد

الاسم

يذكر اسم القطر إن كان المجيب غير مصري

الكلمة	كيف ينطق بها		الكلمة	كيف ينطق بها	
	ممالة	غير ممالة		ممالة	غير ممالة
باهت			جوى		
دايس			وبا		
سارح			مضى		
حاضر			حنى		
خاس			إحنا		
خايل			البناء		
صايح			بالعزا		
صايم			إذا		
ضايع			إلا		
طافش			أه		
طايش			كتابها		
غاطس			فستانها		
عارف			طبخها		
غار منه			شغلها		
قارصه			يفرضها		
قاصص شعره			حلتها		
ظايط			لك		
التجار			ياخويا		
بعياط			نهار ابيض		
بنى			امبارح		

ومما قصد أيضا في هذه الكلمات أنها تمثل الطوائف الآتية :

١ - كلمة باهت - تمثل طائفة من الكلمات وقعت فيها الكسرة بعد الألف ، وليس المكسور ياء ، وليس قبل الألف أو بعدها حرف استعلاء .

٢ - كلمة دايس تمثل طائفة من الكلمات خالية من حروف الاستعلاء والمكسور بعد الألف (الياء) .

٣ - كلمة سارح تمثل طائفة من الكلمات وقعت فيها الكسرة بعد الألف والمكسور حرف الراء - وقد عرفنا منزلة الراء في باب الإمالة .

٤ - الكلمات الآتية فيها حروف الاستعلاء واقعة قبل الألف أو بعدها :

« خاسس ، خايل ، صايح ، صايم ، ضايح ، طافش ، طايش ، غاطس ، عارف ، غاير منه ، قارصه ، قاصص شعره ، ظايط » .

٥ - بعايط مثال للكلمة ، قبل ألفها كسرة وياء وبعدها حرف استعلاء .

٦ - بنى - جرى - مثال لأفعال ثلاثية ذات أصل يائي متطرف .

٧ - ربا لأسماء ثلاثية أصل ألفها الواو .

٨ - منى لأسماء ثلاثية أصل ألفها الياء .

٩ - حسنى لأسماء زادت حروفها عن ثلاثة، وأصل ألفها المتطرف الياء .

١٠ - « احنا - البنا - بالعزا » كلمات تنتهي في العامية بألف .

١١ - إذا - إلا - أنا ، أمثلة لبعض المبنيات .

١٢ - كتابها . . إلى حلتها - أمثلة لما في آخره « ها » ، وبعض هذه الكلمات فيه حروف استعلاء (طبخها وشغلها) أو الراء مفتوحة قبل الضمير وذلك (يضر بها) .

١٣ - لك - نهار أبيض - وضعتا لنعرف الإمالة التي تقع في أول حرف في الكلمة من الفتح الى الكسر .

١٤ - امبارح للألف بعدها وقبلها كسرة، والمكسور الراء .

أما الكلمات المختومة بتاء التأنيث ، والتي تدخلها الإمالة عند الوقف فقد اكتفيننا بالاستفتاء الذي أجراه الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس وقد أرفقنا بصورة بجغرافية الإمالة في هذا الباب . متفقا في ذلك مع ما سبق من ابواب .

وهكذا جمعنا مادة الاستفتاء ، وتحرينا فيه ما تحرينا مما بيناه ، وكان علينا بعد ذلك أن نتخير من يدلى بالفتيا من أولئك الذين هم صلة بهذا الموضوع، وممن يمثلون بلادا مختلفة في القطر المصري . ومن تمكنهم ثقافتهم أن يفهموه ، ويجيبوا عنه إجابة تعيننا على الوصول إلى ما قصدناه، فوقع الاختيار على طلبة كلية دار العلوم ، وكليات الجامع الأزهر الثلاث : اللغة العربية ، والشريعة وأصول الدين . وكنا نوجه الطلاب بما يأتي : -

(أ) إن المقصود من هذا الاستفتاء إنما هو التعرف على ظاهرة الإمالة في هذه الكلمات في ألسن المتكلمين باللهجة الدارجة لا العربية العلمية، فيجب أن يستوحي كل مجيب لهجته في قريته أو مدينته ، ولهجة الفلاح في مزرعته ، والريفي الصميم في بلدته .

(ب) كذلك كنا ننطق أمامهم أمثلة موضحة لهذه الكلمات في حالي فتحها وإمالتها قبل البدء في الإفتاء .

(ج) إن الفتيا في هذه الكلمات تكون حال الوقف عليها لا موصولة بما بعدها ؛ لأنها لو وصلت فالأعم الأغلب فيها الفتح ، حتى عند من يميل ، فهناك بعض القرى ينطق أفرادها كلمة احنا احنه في حال الوقف ، فإذا وصل فتح ، فيقول مثلا : « إحنا رحنا امبارح » .

كل هذه التوجيهات راعيها، لنستطيع ان نصل إلى نتيجة صحيحة أو قريبة من الصحة ، وما يدعو إلى الارتياح والاطمئنان إلى النتائج التي وصلنا إليها أنها تتفق مع الاستفتاء الذي أجراه الدكتور ابراهيم أنيس في إمالة ما قبل هاء التأنيث ، وأن بعض أساتذة الكليات في الجامع الأزهر ، وجامعة القاهرة قد اشتركوا في هذا الاستفتاء فجاءت بياناتهم موافقة للطلاب الذين من بلادهم • مثل :

(١) فضيلة الشيخ محمد كامل حسن (وكيل كلية اللغة العربية)
من مركز العياط (السعودية جيزة) •

(ب) علي طه عبد القادر الزويد (طالب بكلية الشريعة) من مركز
العياط (اللشت) جيزة •

الاستاذ الدكتور عبد الرزاق حميده (أستاذ بدار العلوم) من مركز
السنطة سحيم •
الطالب محمد كمال الدين أمين خليل من مركز السنطة سحيم •

الاستاذ الدكتور ضياء الدين الرئيس (استاذ بدار العلوم) من
مركز المنزلة (المطرية) •
الطالب فتحي قاسم (الطالب بدار العلوم) من مركز (المنزلة) •

الاستاذ علي حسن عبد الجليل (مدرس بكلية اللغة العربية) القاهرة
متفقا مع طلاب كثير من القاهرة أيضا في مختلف كليات الأزهر •

كذلك مما يدعو إلى الاطمئنان بالنتيجة - توافق الطلبة في الكليات المختلفة وهم من بلاد واحدة : -

مثلا : -

- (١) مصطفى محمد احمد منصور (مليح شبين الكوم) كلية اللغة العربية .
(ب) عبد الواحد غنيم (مليح شبين الكوم) دار العلوم .

- (١) محمد يوسف النقيب (القنايات مركز الزقازيق) دار العلوم .
(ب) عبد المنعم سالم خضر (القنايات مركز الزقازيق) كلية الشريعة .

هذه الحالات وقد ذكرناها من قبيل التمثيل لا الحصر - تجعلنا نميل إلى أن هذا التوافق ليس من قبيل الصدفة ، وإنما هو من قبيل الصدق في القيا ، والتزام المفتين الأمانة العلمية في الإفتاء .

وقد جمعنا ما يقرب من نحو ألف ومائة وعشرين حالة . استبعدنا منها نحو من ستين حالة ظهر فيها عدم الجدية ، وفحصنا الألف والستين حالة الباقية وربناها على النحو الآتي :

١٥٠ حالة لا إمالة فيها مطلقا .

٢١٥ حالة ظهرت الإمالة فيها قليلة من كلمة إلى أربع .

٣١٠ حالة ظهرت الإمالة فيها متوسطة من ٤ - ١٤ .

٣٨٥ حالة ظهرت الإمالة فيها غالبة غامرة .

وقد لاحظت أن أسماء الفاعلين في النهر الأول من جدول الاستفتاء

لا إمالة فيها ألبتة في لهجات الذين أدلوا ببياناتهم .

ثم رتبنا كل حالة من الحالات الأربع السابقة على حسب مراكز المديرية ، وحصلنا على المصور الجغرافي للإمالة في القطر المصري والسودان المرافق لهذا البحث .

ويمكننا أن نستنبط ما يأتي : -

تكثر الإمامة بصورة ظاهرة في مديريات المنوفية ، والبحيرة ، وكفر الشيخ مما يلي البحيرة ، والجزء الشمالي من مديرية الدقهلية في مراكز المنزلة ، ودكرنس وفارسكور ، وما يجاور هذه المراكز من مديرية الغربية في مراكز (المحلة الكبرى ، والسنطة ، وزفتى) .

وهي في مديرية الغربية بوجه عام متوسطة ، وبخاصة في المناطق التي تبعد عن الدقهلية من الشرق ، والبحيرة من الغرب .

وهي متوسطة كذلك في مديرية كفر الشيخ في المناطق التي تبعد من البحيرة المائلة - وأكثر ما يتجلى ذلك في مراكز (بلقاس وببلا وكفر الشيخ) .
مديريات الوجه القبلي تتراوح بين إمامة متوسطة (في كمّها) وإمامة قليلة .

أما منطقة الفيوم فيلاحظ أن الجزء الشمالي تظهر فيه إمامة ظهورا واضحا على العكس من الجزء الجنوبي ، إذ تظهر فيه الإمامة متوسطة .

وبعد : فهل يمكن تحليل ظهور الإمامة في بعض المديريات من القطر المصري ، وقلتها أو اختفاؤها في البعض الآخر ؟

وهل يمكن الربط بين لهجات القبائل العربية النازلة في مصر منذ الفتح الإسلامي واللغات المصرية الآن ؟

الحق أن الباحث لا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال وهو مطمئن إلى صحة ما يقول ، فالقبائل العربية التي هاجرت إلى مصر ليست معروفة على وجه الدقة ، على أنه لو أتيح لنا التعرف على هذه القبائل فلن يتاح لنا التعرف على لهجاتها ، فهو أمر مجهول لنا بعد هذا الزمن المتطاوّل المليء بالأحداث والغزوات ، ولا شك أن تطور الأصوات اللغوية العربية لا يخضع فقط لانتشار العرب ولغتهم في مناطق غير جزيرتهم ، وإنما يخضع كذلك

لعوامل اجتماعية ، وسياسية ، ونفسية ، وعوامل جغرافية ، من حيث طبيعة البلاد ، وبيئتها ، وشكلها ، وموقعها ، كما يرجع إلى اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب ، وإلى التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق (١) .

وفي باب الإمالة بالذات تزداد المسألة تعقيدا ؛ ذلك لأنها أمر صوتي يحدث غالبا في أواخر الكلمات ، ووقوع الصوت في آخر الكلمة يجعله أكثر عرضة للتغيير من وقوعه في وسطه أو أوله .

على أنه قد ورد في كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي ما يلقي ضوءا خافتا على هذه المجهلة :

فمن النتائج التي حصلنا عليها في الاستفتاء المتقدم أن مدينة (بليس) من الشرقية تظهر فيها الإمالة ظهورا غالبا ، كما أن مديرتي المنوفية والبحيرة وبعض أجزاء الفيوم كذلك فهل نزلت هذه الجهات قبائل عربية أثّر عنها الإمالة ؟ .

يحدثنا المقريزي أن (عوف) من قيس عيلان نزلوا في بلاد الصعيد وفي الفيوم وفي البحيرة (٢) .

وأن (لواته) وهم من قيس (٣) نزل منها في المنوفية بنو يحيى و . . . وعبد و مصلة و بنو مختار (٤) .

وأن بني سليم وهم من قيس أيضا (٥) نزلوا بليس . جاء في البيان والإعراب للمقريزي :

(١) انظر تفصيل هذه العوامل في كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١٤٢ وما بعدها طبعة سنة ١٩٥٠ م .

(٢) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص ٥٢ .

(٣) البيان والإعراب للمقريزي ص ٥٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٤ .

« وعن الهيثم بن عدي قال حدثني غير واحد أن عبيد الله بن الحجاب لما ولاه هشام مصر قال : ما أرى لقيس حظا فيها إلا لناس من جديلة ، وهم فهم وعدوان ، فكتب إلى هشام : إن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) قد شرف هذا الحي من قيس ، ونعشهم ، ورفع من ذكرهم ، وأنى قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظا إلا آياتا من فهم ، وفيها كور ليس فيها أحد ، وليس يضير بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجا وهي « بلبيس » ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل . » فكتب إليه هشام « أنت ورأيك » ، فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوزان ، ومائة أهل بيت من بني عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هواز بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان بن مضر البطن المشهورة ، التي منها بنو كلاب ، وجعلة ، وعقيل ، وفشير ، والبكاء ، وعجلان ، وعبدالله ، وربيعة ، وسواة ، وهلال ، ونمير ، ومائة أهل بيت من هواز بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان ، فأثر لهم بلبيس وأمرهم بالزرع ، ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم ، فاشتروا إبلا ، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم ، فكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر ، ثم أمرهم باشتراء الخيول ، فجعل الذي يشتري المهر لا يمكث إلا شهرا حتى يركب ، وليس عليهم مؤنة في إعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مراعيهم ، فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك ، فأقاموا سنة فأتاهم نحو ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس ، ومات مروان ولبليس ثلاثة آلاف أهل بيت ، ثم توالدوا ، وقدم عليهم من البادية من قدم فأحصوا في ولاية محمد بن سعيد فوجدوا خمسة آلاف ومائتين ما بين صغير وكبير » (١) .

فهل يفسر لنا هذا كله ظاهرة الإمالة في بلبيس دون غيرها من مراكز

(١) البيان والإعراب للمقريزي ص ٦٥

الشرقية ، وهو ما انتهى إليه بنا ما أجرينا من استفتاء ٢٠٠؟ قد يكون ذلك ،
ولكننا مع هذا نقف موقف الحياد من هذا التعليل ، غير مغفلين العوامل
الأخرى التي ذكرناها من قبل .

ومن المهم أن نذكر أن في اللهجات الحديثة ضربا من الإمالة يجب
تعليله على نحو مغاير لتعليل الإمالة النحوية ، ففي لهجة بيروت مثلا تتوقف
الإمالة على الحروف الموالية للآلف ولا تؤثر الكسرة إلا في النادر (مع الراء
مثلا) ، وهذا ميل يجيء عفوا من الفتحة إلى الكسرة ، والحروف التي تمنع
الإمالة هنا ليست حروف الاستعلاء فحسب ، بل حروف الحلق والحنجرة^(١) .

ونجد إمالة من الضم إلى الكسرة كما في لهجة أهل فارسكور ، ونوسا
الغيط مركز أجا مديرية الدقهلية يقولون كل° - وكِدِّي شعرك ، بدل
كُدِّي شعرك - وكلِّي بدل كلِّي ، وقد سمع فلاشر بيروتا يقول
(كل النَّيس^(٢)) بدل كل الناس ، والصلة قريبة بين أهل بيروت والدقهلية .

وفيما يلي مصور لمساكن المتكلمين بالقطر المصري .

(١) مادة إمالة دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) Die Imala. p. 8.

السخاءِ

مُوازنة بين قواعد الإمامية عند النجاة وعند القراء

هذا فصل نعقده لاستخلاص أبرز ما بين النحاة والقراء من فروق في باب الإمامة ، وقد تعرضنا لأكثره في البحوث السابقة ، وإنما جمعناه هنا ليكون مستقلا أولا ، ولأن بعض هذه الفروق تستحق فضلا من الإيضاح والبيان آخرًا .

فاولا : في عنونة هذا الباب

فالنحاة يتخذون عنوانا له « الإمامة » غالبا ، أما القراء فمنهم من اتخذ عنوانا « الفتح والإمامة » ، ومنهم من اتخذ عنوانه « الفتح والإمامة وبين اللفظين » . وقد عللنا مسلك كل من النحاة والقراء من قبل (١) .

وثانيا : حديث الفريقين عن درجات الفتح والإمامة

يهتم القراء اهتماما ملحوظا بالحديث عن درجات الفتح ، ودرجات الإمامة ، ويبينون في دقة المعيب من هذه الدرجات في كلتا الحالين . على حين أن النحاة ليس عندهم إلا الفتح فقط ، أو الإمامة فقط ، من غير اهتمام بدرجات هاتين الظاهرتين كما يفعل القراء (٢) .

وثالثا : الأسماء المختلفة للإمامة بنوعيتها

وللإمامة بنوعيتها أسماء متعددة عند القراء ، فالشديدة تسمى أحيانا التكثير ، والبطح ، والإضجاع ، والكسر ، إلى آخر هذه الأسماء التي أتينا عليها من قبل .

(١) انظر الفصل الأول .

(٢) انظر الفصل الثاني .

والمتوسطة أحيانا بين بين ، وبين اللفظين والتقليل والتلطيف، والإشارة
الى الكسر (١) .

ورابعا : أصالة الفتح والإمالة

تأخذ مسألة أصالة الفتح والإمالة أهمية ظاهرة عند القراء أكثر منها
عند النحاة كما رأينا من قبل (٢) .

وخامسا : الترقيق والنظرة اليه

بعض القراء يجعلون الترقيق نوعا من الإمالة ، فيتحدثون عن مذهب
ورش في ذلك مع حديثهم عن الإمالة — كما فعل الداني في الموضح، إذ أفرد
لمذهب ورش في الرءاءات بابا بين ذلك فيه — كما يقولون — بيانا بليغا (٣) .
ولكن النحاة المتقدمين وفي مقدمتهم إمامهم سيبويه لم يتعرضوا لشيء
من ذلك في باب الإمالة ، وأقول النحاة المتقدمين ؛ لأن مذاهب القراء تخللت
مذاهب النحاة في العصور الأخيرة منذ القرن السادس كما بينا من قبل .

وسادسا : أسباب الإمالة

وقد بينا فيما سبق أن القراء لا يعتدون ببعض الأسباب التي ذكرها
النحاة في باب الإمالة ، وبعض هذه الأسباب تلحقه صفة الضعف عند
النحاة ، على حين أنه سبب قوي عند القراء مثل « الإمالة للإمالة » ،
« والألف المشبهة بالياء » .

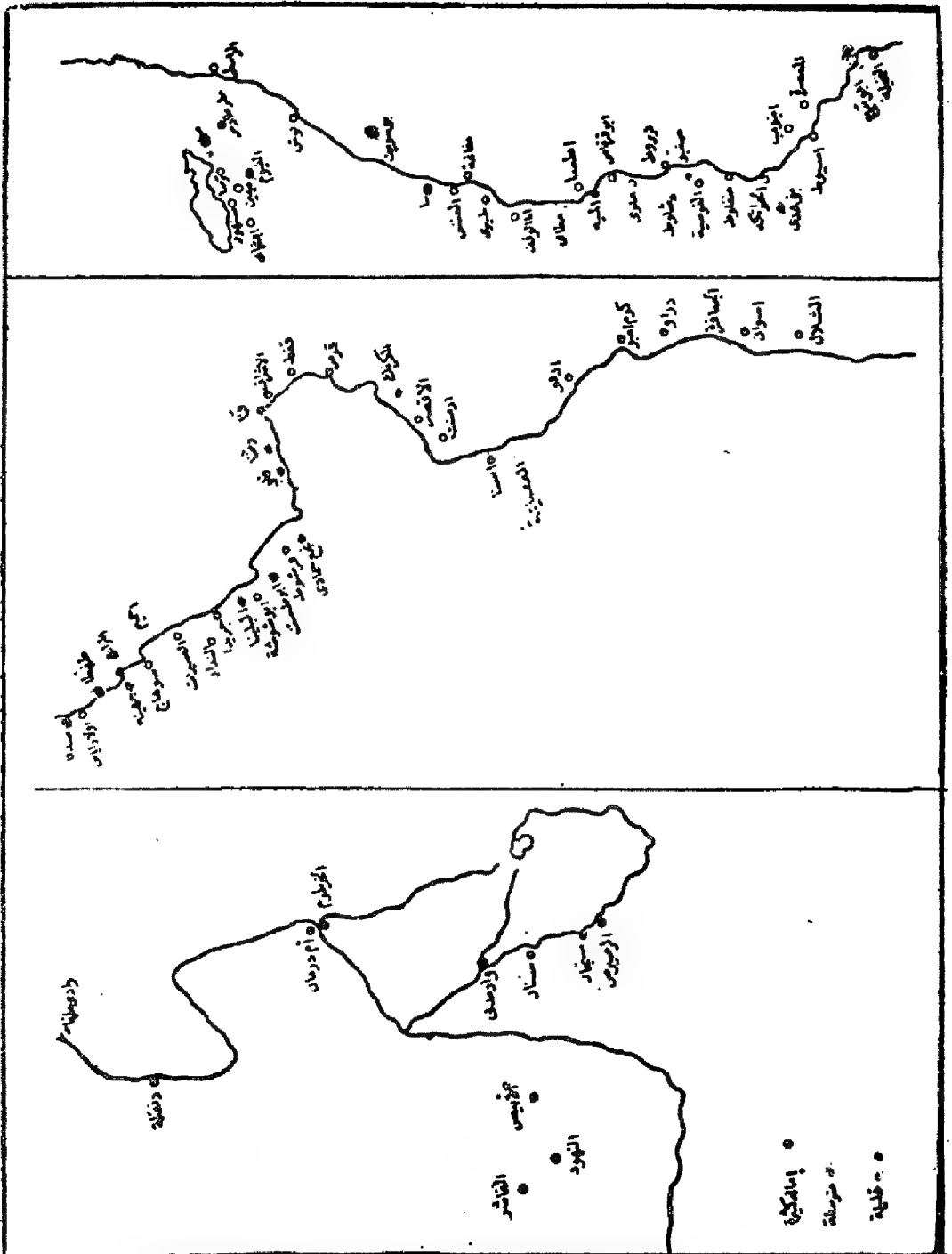
وسابعا : الألفاظ الممالة

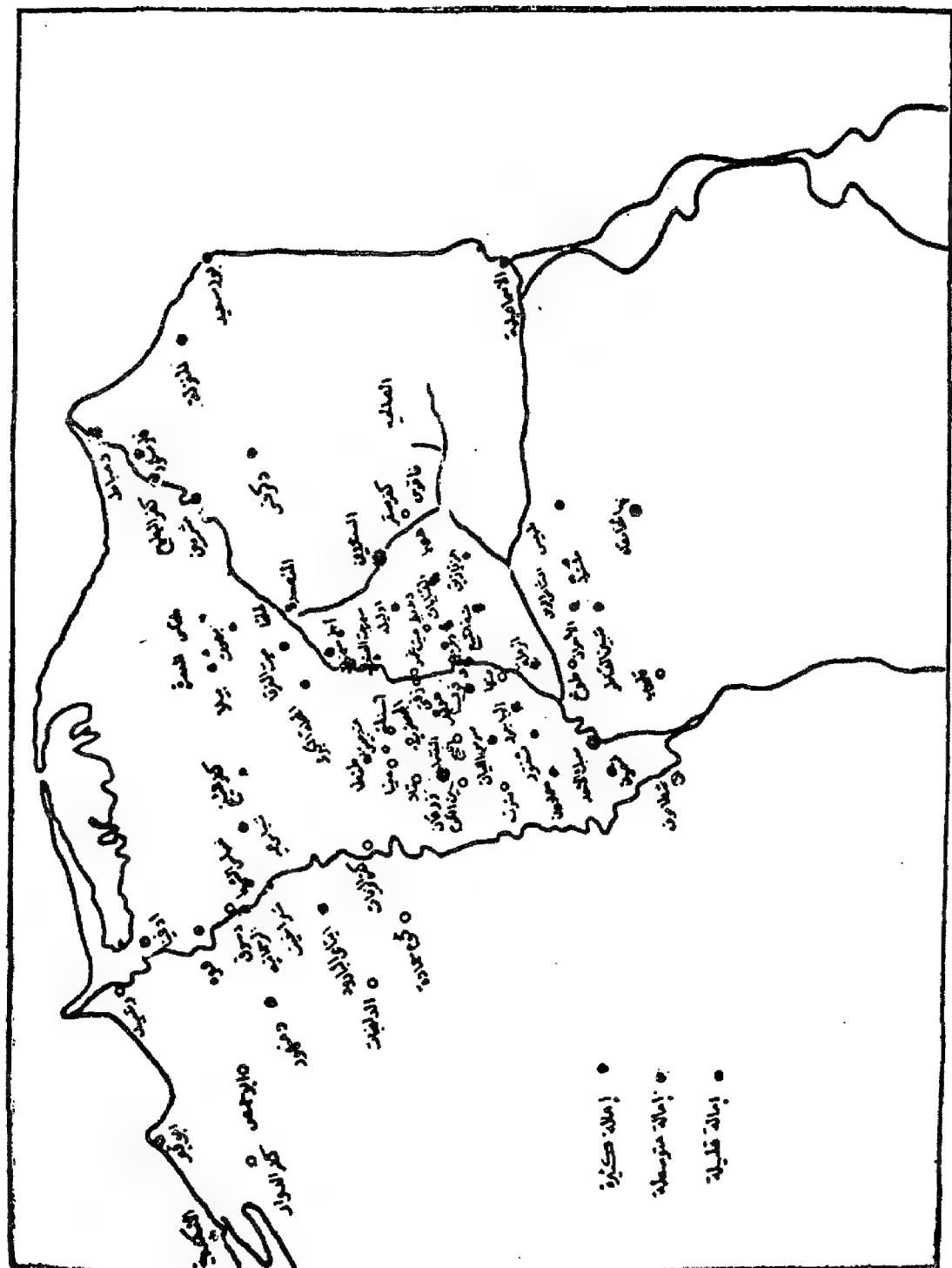
والألفاظ الممالة عند النحاة الأولين من لدن سيبويه هي ما سمع من
العرب، أما مادة الإمالة عند القراء فطبيعي أن تكون حروف القرآن الكريم،
وقد أخذنا على ابن الجزري من قبل أنه مثل بأمثلة النحاة في شرحه
أسباب الإمالة . وربما كان لابن الجزري ومن لف لفه من القراء بعض العذر

(١) انظر الفصل الثاني .

(٢) انظر الفصل الثاني .

(٣) الموضح ص ٨٢ ورقة ٣٤





في ذلك ؛ لأن هذه الأمثلة ذكرت في كتاب سيبويه مسموعة من العرب ،
فجربى المؤلفون على الأخذ برواية سيبويه عنهم •

هذا وتضييق :أثرة الممال عند القراء ؛ فكل ممال عندهم ممال عند
النحاة ولا عكس ، وقد يتنا في مكان آخر الأحرف التي أمالها القراء •

وثامنا : المميلون

(أ) والمميلون عند النحاة القبائل العربية ، أما عند القراء فهم الأئمة،ومن
نقلوا عنهم •

(ب) ويهتم سيبويه بالكم من المميلين، فهذا لفظ يميله ناس من العرب كثير،
وهذا آخر يميله ناس منهم قليل ، وثالث أقل ، ممن لا ترتضى عربيته ،
وبعض الألفاظ يميله ناس من العرب أكثر وهكذا •

أما القراء فيهتمون بالكيف اهتماما ظاهرا ، يهتمون بطريقة
الأداء ، ولا يعينهم الكم في قليل ولا كثير ، ما دامت القراءة متواترة ،
والى الرسول مسندة (١) •

(ج) ويرتبط بذلك أن النحاة أصدروا أحكاما على الألفاظ الإمالة بالجودة،
والحسن ، والجواز ، والقبح ، وهذه الظاهرة تتجلى أكثر ما تتجلى
عند المبرد في كتابه المقتضب ، فقد أميلت الألف - في نحو عابد
وعالم - للكسرة اللازمة لما بعدها ، وهو موضع العين من فاعل ،
وان نصبت في كل هذا فجيء بالغ على الاصل (٢) •

« والألف اذا كانت منقلبة عن ياء اسم او فعل فإمالتها حسنة ،
وأحسن ذلك أن تكون في موضع اللام (٣) » •

« فأما ما كانت من ذوات الواو على ثلاثة أحرف فإن الإمالة فيه قبيحة :

(١) النشر ج ١ ص ١٨ •

(٢) المقتضب ج ٣ القسم الاول ص ٣٥ •

(٣) المصدر السابق ص ٣٦ « ج ٣ القسم الاول من المقتضب للمبرد » •

نحو دعا وغزا (١) » • « فأما عسى فإمالتها جيدة (٢) » •

وهذه ظاهرة لا نجدها عند القراء - وإن وجدت في القليل النادر (٣) فهي منقولة عن النحاة •

تاسعا : إمالة الفتحة في نحو من الضرر ومن الكبر

وإمالة هذا الباب لم ترد عن القراء ، على حين تحتل مكاناً مهما في كتب النحاة ، حتى إن سيبويه عالجه في باب مستقل جعل عنوانه :
(هذا باب ما يمال من الحروف التي ليس بعدها ألف إذا كانت الراء بعدها مكسورة (٤)) •

عاشرا : إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف

يتحدث سيبويه عن إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف حديثاً عابراً ، أما القراء فيتناولونه على نحو أوسع على ما بيناه من قبل •

حادي عشر : موانع الإمالة

لم يتحدث القراء المتقدمون عن موانع الإمالة في كتبهم ، وتابعهم في ذلك كثير من المتأخرين ، ولعل ذلك لأنهم أرادوا أن يبينوا الالفاظ التي أميلت ، وأن يحتجوا لها ، ولم يكن من المهم عندهم أن يتعرضوا لغير الممال •

ثاني عشر : الحصر والاستقصاء

ويظهر ذلك واضحاً عند أهل الأداء ، فهم يحصون في دقة عجيبة جميع ما أميل في القرآن الكريم في فصول الإمالة المختلفة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن عند النحاة ، فهم يكتفون بالتمثيل وإيراد الشواهد ، ولا يعينهم الإحصاء والاستقصاء ، ذلك لأن مادة بحثهم ما نطق به اللسان العربي ،

(١) المصدر السابق ص ٣٧ •

(٢) المصدر السابق ص ٤٦ •

(٣) ينظر حكم ابن مجاهد على إمالة ما قبل هاء السكت في فصل إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف •

(٤) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ •

وحصر ذلك غير ميسور ، على حين أن القراء جرهم الحرص على ما هو متصل بالقرآن إلى حصر ألفاظه في موضوع بعينه ، وساعدهم على ذلك أنها بطبيعتها مما تعد وتحصر .

وبعد

فماذا نبغي من وراء هذه الموازنة بين قواعد الإمامة عند النحاة والقراء ؟

نريد أن نتعرف أي الطائفتين كان أقدر على التقنين والضبط ، كما نريد أن نتعرف مكانة مذاهب القراء في باب الإمامة بين المذاهب العربية العامة التي رواها النحاة وسمعوها عن العرب ، لماذا ضاقت دائرة الإمامة عند القراء ، واتسعت عند النحاة ؟

لا نشك — بعد استعراض هذه الموازنة ، والرجوع إلى مفرداتها في فصولها الخاصة بها من هذا البحث — لا نشك في أن القراء كانوا أقدر على التقنين والضبط من النحاة ، فدرجات الإمامة ، ودرجات الفتح ، والأسماء المختلفة لكل منهما ، ومذهبهم في الحصر والاستقصاء ، كل ذلك وغيره مظهر من مظاهر قدرتهم على الضبط والتقنين .

أما مكانة مذاهب القراء في باب الإمامة بين المذاهب العربية العامة التي رواها النحاة ، وسمعوها عن العرب فهي واضحة كل الوضوح في أن ما أماله القراء أدخل في باب المشاكلة للتهيؤ وإليه أقرب ، وبه أنسب — كما بينا ذلك من قبل ، وقد عرفنا بفضل هذا النوع من المشاكلة على الأخرى مشاكلة الاستصحاب .

وإنك لو اجد سببا يدعوك إلى الارتياح — في ضيق دائرة المال عند القراء . ذلك لأنه بالمقارنة بين نصوص سيويه . والمبرد وما نقل القراء عن أئمتهم في الفتح والإمامة تبين أن مذاهب القراء تمثل مذاهب أكثر العرب ،

كما منحت صفات الجودة والبعد عن القبح والاستهجان ، وإليك البيان:

« باب غزا، وصفاء، ودعا » قال سيويه : وجميع هذا لا يميله ناس كثير

من بني تميم وغيرهم ^(١) ، ويقول المبرد : إن الإمالة قبيحة ^(٢) ، وقال : ومما
تمال ألفه قولهم كيال ويياح ، وسمعنا بعض من يوثق بعريته يقول كيال
كما ترى فيميل ، وإنما فعلوا هذا لأن قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي
تكون قبلها ياء ، فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها ، نحو سراج
وجمال ثم قال - وهنا موضع الاستشهاد :

« وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف » .

وقال المبرد : ومما يمال ما كان ألفه زائدة في الفاعل ، وذلك نحو
قولك رجل عابد وعالم وسالم : فإنما أميلت الألف للكسرة اللازمة لما بعدها
وهو موضع العين من فاعل ، وإن نصبت في كل هذا فحيد .

هذه الاحكام التي أصدرها النحاة على هذه الطوائف من الكلمات ،
تؤيد عندنا سلامة نقل القراء باسنادهم عن أئمتهم ، ذلك لأنهم لم يميلوا
شيئا من ذلك متفقين مع الكثرة الغالبة على اللسان العربي ، قد يقال إنهم أمالوا
تلاها وطحاها وسجى ، وهي واوية لا يميلها ناس كثير من بني تميم وغيرهم
كما قال سيويه ، والإمالة فيها قبيحة كما قال المبرد ، ولكن لو عرف سر
إمالة القراء لهذا الباب ، وأنه يمت بسبب قوي إلى سنن العربية ، بل هو
الظاهرة الشائعة في اللسان العربي :

إنهم لم يميلوا هذا الباب إلا لذلك الانسجام الصوتي أو المشاكلة
السارية في أبواب اللغة المختلفة ، والتي نوهنا بها من قبل ، ومنحناها فضلا
من بيان .

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٢) المقتضب ج ٣ القسم الاول ص ٣٦ .

واذ قد استرحنا إلى مذاهب القراء فيما نقلوه ، وجب علينا أن نتخذ
القراءات حجة ومصدرا ؛ فهي قبل ذلك وبعده سند موثوق بصحته •

القراءات هي المصدّر

« إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم
أولى ، وكثيرا ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في
القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد
التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على
صحتها ، فلأن يجعلوا القرآن على صحتها كان أولى » (١) •

وقال السيوطي في الاقتراح : « أما القرآن فكل ما ورد أنه قرأ به ،
جاز الاحتجاج به في العربية ، سواء أكان متواترا ، أم أحادا ، أم شادا ، وقد
أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا
معروفا ، بل لو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يجز
القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ، ومخالفته القياس في ذلك
الوارد بعينه ولا يقاس عليه (٢) » •

ولا نريد أن نطيل القول في موقف النحاة من بعض القراءات وتخطئتهم
للقرآن في نحو :

- (أ) الفصل بين المتضايقين بغير الظرف والجار والمجرور •
- (ب) قصر الممدود الذي لا يجيزه النحاة إلا لضرورة الشعر •
- (ج) العطف على الضمير من غير إعادة الجار كقراءة : واتقوا الله الذي
تساءلون به والأرحام • بجر الأرحام •
- (د) ماضي يدع •

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ٩٣ •

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ١٤ •

(هـ) كسر الياء في نحو (بمصرخى) في قراءة حمزة •

(و) الإسكان في نحو (يأمركم) •

ولكننا نريد أن نجعل القراءات هي المصدر ، والحكم فيما وقع بين النحويين ، وبينهم وبين القراء من خلاف في موضوعنا الذي نقيم حوله الدرس « وهو الإمالة » على وجه خاص :

فيجب أن نحكم القراء فيما يأتي :

(أ) الكسرة أقوى أم الياء ؟

(ب) قوة الألف المشبهة بالياء من بين أسباب الإمالة •

(ج) هل يمنع الإدغام الإمالة في نحو قراءة أبي عمرو • الأبرار ، ربنا ، والنهار لآيات ؟••

(د) هل تجوز إمالة هاء السكت ؟••

(هـ) هل تمال حتى ؟••

(و) منزلة الإمالة للإمالة من بين أسباب الإمالة •

أما عن المسألة الأولى وأي العلتين أقوى الكسرة أم الياء ؟ فقد اضطربت نصوص سيويه ، فمنها ما يدل ظاهرها على قوة الكسرة ، ومنها ما يدل على قوة الياء ، وقد جاء النحاة من بعده فرأى فريق أن الكسرة أقوى ، ورأى آخرون أن الياء أقوى ، وكان لهم العذر في ذلك ؛ إذ كانت نقولهم عن سيويه تؤيد هذا حيناً ، وتؤيد هذا حيناً آخر •

وقد أوردنا في الحديث عن أسباب الإمالة حجة كل هؤلاء وهؤلاء •

أما نحن الآن فيجب ألا نضطرب اضطرابهم فعندنا الفیصل الذي نستهدي به في ذلك :

هل أمال أحد من القراء كلمة من أجل الياء ؟••

يقول أبو حيان : « ومع كون الياء من أقوى أسباب الإمالة لم يأخذ بها أحد من القراء فيما علمت إلا في قراءة ورش الخيرات ، وحيران بالإمالة » .

وهو يريد بالإمالة هنا الترقيق، ترقيق الراء لا إمالة الألف في الخيرات، وحيران .

وقد جرينا في هذا البحث على استبعاد هذا النوع من باب الإمالة ، وإن كان الداني في الموضح تناول مذهب ورش في ذوات الراء ، وعده نوعا من الإمالة .

ثم تنظر هل آمال بعض القراء من أجل الكسرة ؟؟

اتتهينا في نظرتنا عند الكلام على أسباب الإمالة عند النحاة إلى أن الكسرة لا يعتد بها وحدها سببا للإمالة ، بل لا بد من ضميمة أخرى : كسرة أو ياء .

ورأينا أن بعض القراء آمال كلاهما ، وضعاف وناقشنا ذلك ، ولكن القضية بعد هذا لا تحل ، فللكسرة مرجحاتها ، وللياء مرجحاتها كذلك .
فنتهي إلى أن ما أورده النحاة من المفاضلة بين الكسرة والياء لا تعين عليه النقول ، وأن كلا منهما في القوة سواء .

ب - الألف المشبهة بالياء

ويقول أبو حيان في الارتشاف : إنها سبب ضعيف ، على حين أنه قد دارت عليه أكثر الإمالة عند القراء .

وهذا كاف إلى الاعتداد بالألف المشبهة بالياء سببا قويا من أسباب الإمالة ، ما دام القراء قد اعتدوا به على هذا النحو من الاعتداد .

ج - والنحاة لا يرون الإمالة مع الادغام

في نحو قراءة أبي عمرو الأبرار ربنا ، والنهار لآيات • ونحن نحكم قراءة أبي عمرو وحيث قد ثبت عنده الإمالة مع الادغام ، فلا نظر بعد ذلك في مذاهب النحاة •

د - وقد ذهب ثعلب وابن الأنباري إلى جواز الإمالة فيما قبل هاء السكت نحو كتابيه ، ويقول أبو حيان : والصحيح المنع • ونحن نقول : - والصحيح الجواز ، إذ قد ثبت إمالة هاء السكت عند القراء ، قرأ به أبو مزاحم الخاقاني في قراءة الكسائي (١) •

هـ - و « حتى » يمنع إمالتها سيويه ، وهو محجوج بنقل ابن المقسم إمالة « حتى » عن الكسائي (٢) •

- والإمالة للإمالة - يقول النحاة : إنها سبب ضعيف ، ولكن القراء يعتدون بها ، فقد قرأ الكسائي إمالة تاء اليتامى ، وسين أسارى وكسالي ، وكاف سكارى ، وصاد النصارى إمالة ما بعدها ، ويكفي هذا دليلا على قوة هذا السبب بين الأسباب ، إلى ما بيناه من منزلة المشكلة في اللغة العربية •

وبعد فهذا موقف النحاة من القراءات ، يحتجون بالشعر المجهول ، ولا يحتجون بقراءة صح سندها عن رسول الله !! •

فإلى المجمع اللغوي ورجاله ، وسدنة هذه اللغة الكريمة في جميع أقطار الأرض ، أتوجه راجيا -
الوضع بين القراء والنحاة ، داعيا إلى
ت بين مذاهب النحاة ، ومذاهب القراء
داد بالقراء فيما اختلف فيه • وعسى
دراسة النحو على ضوء هذه
في الأبواب المشتركة بينهما ،

(١) كان أبو مزاحم من اضط الناس بحرف الكسائي - انظر الموضح ص ٣١٧ •

(٢) جمع الجوامع ج ٢ ص ٢٠٠ ، وانظر الموضح ص ٢٧٤ •

أن يصدر المجمع قرارا يذكره له التاريخ بالحمد ، فلا يعتد بقول شاعر مجهول ، ويترك الأخذ بقراءة صح سندها عن رسول الله ﷺ .

كما أرجو أن تتجه الهمة الى إحياء ذخائر الأقدمين من القراء ، وما أكثرها في دور الكتب بمصر والأقطار العربية والإسلامية ، وما أغناها معلمة في اللغة والثقافة العربية .

وإني إذ أدعو هذه الدعوة في ختام هذا البحث — أرجو من الله أن يوفق الجميع لخدمة كتابه الكريم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وحريصة المكرمة في ٦ من رجب ١٤٠٢ هـ

٢٩ من أبريل ١٩٨٢ م

تَبَيُّنُ الْمَرَاجِعِ

أولاً : المراجع العربية

(١)

- ١ - الإبانة لمكي بن ابي طالب حموش القيسي (٢٧ هـ) مخطوطة شمسية برقم (١٩٦٦٤ ب) بدار الكتب المصرية .
- ٢ - إبراز المعاني من حرز الاماني لأبي شامة (٦٦٥ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي شعبان (٣٤٩ هـ) .
- ٣ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي .
- ٤ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المطبعة الكستلية (١٢٧٩ هـ) .
- ٥ - الإصابة في تمييز الصحابة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ .
- ٦ - الاصوات اللغوية للدكتور إبراهيم انيس .
- ٧ - العربية - دراسات في اللهجات والاساليب ليوهان فك مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م القاهرة .
- ٨ - الاغاني لأبي الفرج الأصفهاني .
- ٩ - الاقتراح للسيوطي . طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ .
- ١٠ - الانتصار للباقلاني .
- ١١ - الإنصاف للباقلاني .
- ١٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الانباري .

١٣ - الإنباه على قبائل الرواة .

١٤ - إجابات الإسقاطي الحنفي من أسئلة الوزير عبدالله مخطوط ملحق
قرة العين برقم (٤٧) قراءات بدار الكتب المصرية .

١٥ - أخبار الرسل والملوك لابن جرير الطبري .

١٦ - ارشاد المرید الى مقصود القصید، على هامش إبراز المعاني للشيخ
الضباع طبعة مصطفى الحلبي شعبان (١٣٤٩ هـ) .

١٧ - ارتشاف الضرب لأبي حيان مخطوط برقم (٨٢٨) نحو بدار
الكتب المصرية .

١٨ - أسرار العربية لابن الانباري مطبوع في مدينة ليدن مطبعة بريل
١٢٠٣ هـ - ١٨٨٦ م .

١٩ - إعجام الاعلام للمرحوم محمود مصطفى ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .

٢٠ - الفية ابن مالك .

٢١ - أوراق البردي المحفوظة بمعرض دار الكتب برقم ١٩٠٠ تاريخ .
وكتاب أدولف جروهمان .

(ب)

٢٢ - البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي (٧٥٤ هـ) مطبعة السعادة
١٣٢٨ هـ .

٢٣ - بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي .

٢٤ - بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي بقلم الاستاذ الدكتور
انو ليتمان .

(فصلة من مجلة كلية الآداب « الغدد العاشر » المجلد الاول مايو ١٩٤٨)

٢٥ - بلوغ الأرب للأوسي المطبعة الرحمانية ١٣٤٣ هـ .

٢٦ - البهجة المرضية شرح الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة
للعشر للشيخ الضباع مطبعة مصطفى الحلبي (شعبان سنة ١٩٤٩ هـ) .

٢٧ - البيان والإعراب عما نزل بأرض مصر من الأعراب للمقريزي .

(ت)

- ٢٨ - تاج اللغة .
٢٩ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦٣ هـ) مطبعة السعادة
١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م .
٣٠ - تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر سنة ١٢٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .
٣١ - التبصرة لمكي بن أبي طالب حموش القيسي (٣٤٧ هـ) .
(أ) صورة شمسية برقم (٢٣٩٣٦ ب) بدار الكتب المصرية .
(ب) مخطوطة برقم (٢٣٩٣٦ ب) بدار الكتب المصرية .
٣٢ - التبيان في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن .
٣٣ - التحرير في علوم التفسير للسيوطي مخطوط برقم ١١٧٧ تفسير
دار الكتب .
٣٤ - التذكار في أفضل الأذكار لأبي عبدالله القرطبي (٦٧١ هـ) مطبعة
الخانجي سنة (١٣٥٥ هـ) .
٣٥ - التعريفات للسيد الجرجاني المطبعة الخيرية (١٣٠٦ هـ) .
٣٦ - تقرير للدكتور خليل عساكر عن طريقة لكتابة نصوص اللهجات
الحديثة بحروف عربية (لجنة اللهجات) مجمع فؤاد الأول للغة العربية .
٣٧ - تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد لابن القاصح على عقيلة اتراب
القضايد (للشاطبي) مطبعة مصطفى الحلبي (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) .
٣٨ - التوضيح لابن هشام الانصاري .
٣٩ - التيسير للداني (٤٤٤ هـ) .

(ج)

- ٤٠ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري المطبعة اليمنية
٤١ - جامع البيان في القراءات السبع المشهورة للداني .

- ٤٢ - جمال القراء لعلم الدين السخاوي مخطوط برقم ٩ م قراءات بدار الكتب المصرية .
- ٤٣ - جمع الجوامع للسيوطي .
- ٤٤ - الجمل الكبيرة لأبي القاسم الزجاجي (٣٣٩ هـ) مخطوطة برقم ١٩ نحو بدار الكتب .
- ٤٥ - الجمهرة لابن دريد .
- ٤٦ - جمهرة رسائل العرب « الجزء الاول » للاستاذ احمد زكي صفوت .

(د)

- ٤٧ - حاشية الصبان على شرح الاشموني .
- ٤٨ - حاشية يس الحمصي على التصريح .
- ٤٩ - الحجة لابن خالويه (٣٧٠ هـ) نسخة مخطوطة برقم (١٩٥٢٣ ب) بدار الكتب .
- ٥٠ - الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) نسخة شمسية برقم (٤٦٢ قراءات) بدار الكتب المصرية .
- ٥١ - حرز الأمانى ووجه التهاني (الشاطبية) لأبي القاسم بن فيرة الشاطبي (٥٩٠ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي شعبان ١٣٤٩ هـ .
- ٥٢ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي رقم ٥٨٩٤ تاريخ ، بدار الكتب .
- ٥٣ - الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي مطبعة صبيح ١٣٣٥ هـ .
- ٥٤ - الحواشي المفهمة في شرح المقدمة لابن الجزري .

(ح)

- ٥٥ - خاتمة مصحف (الملك) وفيها تعريف به .
- ٥٦ - الخصائص لابن جني (٣٩٢ هـ) .

(ز)

- ٥٧ - دائرة المعارف الاسلامية .

٥٨ - الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر لابن الجزري
مطبعة مصطفى الحلبي شعبان سنة ١٣٤٩ هـ .

٥٩ - الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لشيخ الإسلام زكريا الانصاري
مخطوط برقم ٦٤ مجاميع بدار الكتب .

(و)

٦٠ - رسالة في الإمامة على قراءة أبي عمرو البصري فرغ من تأليفها
سنة ٨٧٣ هـ الشيخ شمس الدين . محمد بن محمد الوقائي الشافعي مخطوطة
ضمن مجموعة في مجلد برقم (١٧٧) مجاميع المكتبة الازهرية .

٦١ - رسالة بعث بها إليّ المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد من
مانشستر في ترجمة ماكس « جرنيرت » بتاريخ ٢٦ - ٣ - ١٩٥٢ م .

٦٢ - الرعاية في تجويد القراءة ، وتحقيق التلاوة ضمن مجموعة مخطوطة
(برقم ٧٧) قراءات . المكتبة الازهرية .

(ز)

٦٣ - زوال الجهالة بشرح منظومة الإمامة لعبد الحافظ بن علي غنيم
مخطوطة (برقم ٦٤) مجاميع قراءات بدار الكتب المصرية .

(س)

٦٤ - سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصح
ت (٨٠١ هـ) ، مطبعة مصطفى الحلبي (١٣٥٨ - ١٩٢٩ م) .

٦٥ - سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) نسخة
خاصة مخطوطة ملك الاستاذ إبراهيم مصطفى .

(ش)

٦٦ - الشافية لابن الحاجب (٦٤٦ هـ) .

٦٧ - شذا العرف للشيخ احمد الحملاوي .

٦٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ١٠٨٩ هـ
مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ .

- ٦٩ - شرح ابن عقيل (٧٧٩ هـ) لآلفية ابن مالك .
- ٧٠ - شرح ابن الضائع (٦٨٠ هـ) للجمل الكبيرة للزجاجي (٣٤٠ هـ)
مخطوط برقم ١٩ نحو بدار الكتب المصرية .
- ٧١ - شرح الأشموني (٩٢٩ هـ) لآلفية ابن مالك (منهج السالك) .
- ٧٢ - شرح التسهيل للدمايني مخطوط بالمكتبة الازهرية برقم ١٠٥٧ .
- ٧٣ - شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى على التوضيح لابن هشام
الأنصاري .
- ٧٤ - شرح حرز الأماني للامام الجعبري (٧٣٢ هـ) مخطوط بدار الكتب
برقم ٦١٢ قراءات .
- ٧٥ - شرح الرضى (٦٨٨ هـ) لشافعية ابن الحاجب ٦٤٤ هـ .
- ٧٦ - شرح شواهد الأشموني لعبد السلام الجزائري المطبعة الاهلية
بنهج الديوان تونس سنة (١٣٤٧ هـ) : (فتح المالك في شرح شواهد منهج
السالك) .
- ٧٧ - شرح المفصل لابن يعين (٦٤٣) المطبعة المنيرية .
- ٧٨ - الشعر والشعراء لابن قتيبة مطبعة المعاهد ١٩٢٢ م .

(ص)

- ٧٩ - الصحابي لابن فارس مطبعة المؤيد ١٩١٠ م .
- ٨٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي مطبعة دار الكتب .

(ض)

- ٨١ - ضحى الإسلام الجزء الثاني للاستاذ الدكتور احمد امين بك .

(ع)

- ٨٢ - عقيلة أتراب القصائد للشاطبي (٥٩٠ هـ) .
- ٨٣ - علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي الطبعة الثانية (١٣٦٣ هـ -
١٩٤٤ م) مطبعة الاعتماد بمصر .

(غ)

- ٨٤ - غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٨٢٣ هـ) مطبعة السعادة (٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) .
- ٨٥ - غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري على هامش سراج القارئ المبتدئ مطبعة مصطفى البابي الحلبي (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) .

(ف)

- ٨٦ - فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك لعبد السلام الجزائري المطبعة الاهلية (١٣٤٧) تونس .
- ٨٧ - فرائد القلائد في شرح الشواهد للعيني المطبعة الكاستلية (١٢٩٧ هـ) .
- ٨٨ - فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل المال للعوضي البدري الشافعي (١٢١٤ هـ) مخطوط برقم ٦٩ قراءات بدار الكتب .
- ٨٩ - فضائل القرآن لابن كثير القرشي الدمشقي مطبعة المنار ١٣٤٨ هـ .
- ٩٠ - فقه اللغة وسر العربية للشعالبي طبعة مصطفى محمد (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) .
- ٩١ - فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م) مطبعة لجنة البيان العربي .
- ٩٢ - فهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية بمصر (١٣٤٨ هـ) .
- ٩٣ - فهرس دار الكتب في أجزاء مختلفة - في المصاحف والقراءات ، واللغة ، والنحو .
- ٩٤ - فهرست الأغاني ترجمة محمد مسعود مطبعة الجمهور ٣٢٣ هـ .
- ٩٥ - فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لمحمد بن الطيب (مخطوط محفوظ بالخرانة التيمورية) .

(ق)

- ٩٦ - القاموس المحيط للفيروزابادي .

٩٧ - القاموس الفارسي - الانجليزي .

٩٨ - القرآن الكريم .

٩٩ - القرطبي لابن مطرف الكناني (٤٥٤ هـ) .

(١) مشكل القرآن {
(ب) غريب القرآن } لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) .

١٠٠ - قررة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح مخطوط

برقم (٢٦ و ٣٠٦ و ٣٠٩ و ٣١٧ و ٤٠٢) قراءات بدار الكتب .

١٠١ - القراءات واللهجات للأستاذ عبد الوهاب حموده مطبعة السعادة

(١٣٦٨ هـ - ١٩٥٨) .

(ك)

١٠٢ الكافي في القراءات السبع للرعياني الاشبيلي (٤٧٦ هـ) مخطوط

برقم ٦١٤ قراءات بدار الكتب المصرية .

١٠٣ - الكتاب لسيبويه (١٨٢ هـ) .

١٠٤ - كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي كلكته ١٨٦٢ م .

١٠٥ - الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن ابي طالب حموش

القيسي (٤٢٧ هـ) نسخة شمسية برقم ١٩٩٨٢ ب بدار الكتب المصرية .

(ل)

١٠٦ - الباب في تهذيب الانساب لابن الاثير (٦٣٠ هـ) نشر مكتبة

القدس ١٢٥٧ هـ .

١٠٧ - لسان العرب لابن منظور .

١٠٨ - لطائف الإشارات في علم القراءات تأليف شهاب الدين القسطلاني .

١٠٩ - اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس .

(٢)

- ١١٠ - المبهج لسبط الخياط البغدادي .
(١) مخطوط بدار الكتب برقم ٦٨١ قراءات .
(ب) النسخة الشمسية بدار الكتب برقم ٦٧٥ .
١١١ محفوظات معرض دار الكتب قسم المصاحف ، والمخطوطات وأوراق البردى .
١١٢ - محيط المحيط .
١١٣ - مختصر شرح التبريزي للحماسة .
١١٤ - مختصر المنتهى الاصولي لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ .
١١٥ - الزهر للسيوطي مطبعة صبيح .
١١٦ - المصاحف للسجستاني .
١١٧ - معجم الأدباء لياقوت الحموي نشر دار المأمون .
١١٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للاستاذ محمود عبد الباقي .
١١٩ - مغنى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري المطبعة الأزهرية (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م) .
١٢٠ - مفتاح كنوز القرآن .
١٢١ - المفصل للزمخشري (٥٣٨ هـ) .
١٢٢ - المتنضب للمبرد (٢٨٥ هـ) نسخة شمسية برقم (١٥٢٥) نحو بدار الكتب المصرية .
١٢٣ - مقدمة ابن خلدون مطبعة مصطفى محمد .
١٢٤ - المقدمة الجزرية مخطوط برقم ٦٤ مجاميع دار الكتب .
١٢٥ - المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني .
١٢٦ - مميزات لغات العرب للشيخ حمزة فتح الله .

١٢٧ - منجد المقرئين ، ومرشد الطالبين لابن الجزري المطبعة الوطنية
١٢٥٠ هـ .

١٢٨ - منهج السالك (شرح الاشعموني) .

١٢٩ - مهذب الأغاني للشيخ الخصري مطبعة مصر ١٩٢٥ .

١٣٠ - المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله . المطبعة الاميرية
(١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) .

١٣١ - مورد الظمان في رسم القرآن للخراز مطبعة الاستقامة (١٣٦٥ هـ) .

١٣٢ - الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة لابي عمرو
عثمان الداني نسختان مخطوطتان بالكتابة الازهرية :

(١) ضمن مجموعة من ورقة ٢٤ - ٧٣ برقم (١٠٣) قراءات مخطوط سنة
٨٣٦ هـ .

(ب) نسخة اخرى منقولة من النسخة الاولى برقم ٥٩٨٠٢ قراءات مخطوط
سنة (١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م) .

(ن)

١٣٣ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الانباري ت (٥٧٥ هـ)
نشر جمعية إحياء مآثر علماء العرب .

١٣٤ - نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد (٢٨٥ هـ) مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر (١٩٣٦ م) .

(١٣٥) - نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض لشهاب الدين
الخفاجي المطبعة الازهرية سنة ١٣٢٥ هـ .

١٣٦ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري مطبعة مصطفى محمد
بإشراف الشيخ الضباع .

(هـ)

١٣٧ - همع الهوامع للسيوطي مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .

(و)

١٣٨ - وفيات الاعيان لابن خلكان مطبعة السعادة ١٩٤٨ م .

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- 139 — Grunert (Max)¹ Die Imala.
140 — Jeffry : Materials for the History of the Text the Qur'an
E. J. Brill Leiden .
141 — Mahmood Hassan Attia el Saaran. the Phonetic Observa-
tions of the Arab Grammarians. Thesis Submittad for the
Ph. D. Degree. of the Universty of London. June 1951.
142 — Noldeke Th. Gischidete des Qorâns.
143 — Tchaade (Arthur) Sibawaihi's Lautiehre.
144 — W. H. T. Gairdner. the Phonetics of Arabic 1925.
145 — W. Wright. Arabic Grammar.

(١) ولد Max Grünert في ١٨/١٠/١٨٤٩ في بروكسل البلجيكية ،
ودرس في جامعتي فينا وليبزج حيث نال الدكتوراه في فقه اللغات الشرقية ،
وكان أستاذًا في جامعة براغ ، وله مؤلفات في العربية القديمة والفارسية
والتركية ، ونشر أدب الكاتب .
والم كتاب الإمامة المذكور بالألمانية سنة ١٨٧٦ م ، ومات سنة ١٩٣١ م .
(من رسالة للأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد المجيد أرسلها مشكوراً من
مانشستر ، بتاريخ ٢٦/٣/١٩٥٢) .

فهرس الكتاب

الصفحة	المَوْضُوع
٧	كلمة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد علي الضياع شيخ المقاريء المصرية .
٩	تقديم
١٩	مدخل البحث .
٢٧	الفصل الاول : معنى الفتح والإمالة .
٣٩	الفصل الثاني : درجات الفتح والإمالة وأنواعها .
٤٨	تطور الفاظ الفتح والإمالة عند النحاة والقراء .
٦١	الفصل الثالث : الإمالة عند المحدثين .
٧١	مناقشة القدامى في تعاريف الإمالة على ضوء نظرية المحدثين .
٨٣	الفصل الرابع : الفتح والإمالة وإيهما الاصل ؟ .
١٠٣	الفصل الخامس : من يميل من القبائل ومن لا يميل ؟
١٣٥	الفصل السادس : حكم الإمالة : اواجبة هي ام جائزة ؟
١٤٥	الفصل السابع : القراء السبعة والإمالة .
١٨٧	الفصل الثامن : أسباب الإمالة عند النحاة وعند القراء .
٢١٨	موازنة بين قواعد النحاة وقواعد القراء في أسباب الإمالة :
٢٢٥	(اولا) الكسرة التي قبل الألف .
٢٢٩	(ثانيا) الكسرة المقدرة .
	(ثالثا) الكسرة بعد الألف .

- ٢٣٤ (رابعا) الإمالة من أجل الياء .
- ٢٣٥ (خامسا) الإمالة من أجل الراء .
- ٢٤٣ (سادسا) إمالة ما يصير إلى ياء في باب « دعا » .
- ٢٤٩ (سابعا) رسم المصحف .
- ٢٨٣ الفصل التاسع : قد يأتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية .
- ٢٩٥ الفصل العاشر : إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف .
- ٣٠٩ الفصل الحادي عشر : إمالة بعض الحروف والراي في ذلك .
- ٣١٥ الفصل الثاني عشر : موانع الإمالة .
- ٣٢١ الفصل الثالث عشر : فقه أسباب الإمالة .
- ٣٢٧ مشاكلة التهيؤ ومشاكلة الاصطحاب .
- ٣٢٩ امثلة لنوعي المشاكلة في اللغة العربية .
- ٣٣٦ ظهور نوعي المشاكلة في باب الإمالة .
- مشاكلة التهيؤ ابلغ من مشاكلة الاصطحاب، وشيوع مشاكلة التهيؤ في باب الإمالة .
- ٣٣٧
- ٣٤٧ الفصل الرابع عشر : الأبواب التي وافق القراء النحاة في إمالتها .
- ٣٥١ الفصل الخامس عشر : الوقف على المال .
- الفصل السادس عشر : مذاهب القراء في الإمالة ، وظهورها في كتب النحاة .
- ٣٥٧
- ٣٦٧ الفصل السابع عشر : علامات الإمالة الخطية .
- ٣٧٩ - ٣٧٠ عرض صور لهذه العلامات في المصاحف القديمة .
- ٣٨٣ الفصل الثامن عشر : مدى شيوع الإمالة في الأزمنة القديمة
- ٣٩٦ - ٣٨٦ الإمالة في السن المتكلمين الآن : استفتاء ونتائجه .
- ٣٩٧ خاتمة : موازنة عامة بين قواعد الإمالة عند النحاة والقراء .
- ٣٩٩ (اولا) عنونة هذا الباب .

الصفحة

المَوْضُوعُ

٣٩٩	(ثانيا) حديث كل عن درجات الفتح والإمالة .
٣٩٩	(ثالثا) الاسماء المختلفة للإمالة بنوعيتها .
٤٠٠	(رابعا) أصالة الفتح والإمالة .
٤٠٠	(خامسا) التزويق والنظرة اليه .
٤٠٠	(سادسا) أسباب الإمالة .
٤٠٠	(سابعا) الألفاظ الممالاة .
٤٠١	(ثامنا) الميلسون .
٤٠٢	(تاسعا) إمالة الفتحة في نحو من الضرر ومن الكبير .
٤٠٢	(عاشرا) إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف .
٤٠٢	(حادي عشر) موانع الإمالة .
٤٠٢	(ثاني عشر) الحصر والاستقصاء .
٤٠٣	القراء أقدر على التقنين والضبط من النحاة .
٤٠٥	القراءات هي المصدر .
٤١١	ثبت المراجع
٤١٣	(أ) المراجع العربية .
٤٢٣	(ب) المراجع الإفرنجية .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

